الفتنة ووقعة الجمل

رواية

سيف بن عمر الضبي الأسدي

المتوفى سنة ٢٠٠ هـ

جمع وتصنيف

أحمد راتب عرموش

دار النفائس

الطبعة الأولى : ١٣٩١ هـ - ١٩٧٢ م
الطبعة الخامسة : ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

© دار النفائس
بيروت: ص.ب ١١/٦٣٤٧ - هاتف ٨١٠١٩٤ - برقيا: دانفايسكو

الفتنة ووقعة الجمل

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

ليس هذا كتاباً جديداً ، يضاف إلى الكتب الكثيرة التي تناولت موضوع مقتل ثالث الخلفاء الراشدين (عثمان بن عفان) رضي الله عنه ، وما تلاه من أحداث جسام. إنما هو كتاب قديم[1] اعتمده الطبري وأضرابه لتأريخ حوادث صدر الإسلام ، شاءت الظروف أن تفقد مخطوطاته ، ولا يتوفر أصله ، فرأيت أن أجمعه من كتب التاريخ المختلفة ، ليكون في متناول جميع المهتمين بموضوعه. ونظراً لأهمية البحث ، لا بد من مقدمة جهدت أن أجمل فيها الآراء التي تبين لي صوابها من مختلف الدراسات والكتب التي تمكنت من الاطلاع عليها .

وسيظهر جلياً من خلال هذا الكتاب أن دفاع الصحابة عن الشرعية واستعدادهم للموت في سبيل ما يؤمنون به ويعتقدون صوابه ، هو السبب الرئيسي الذي جعلهم يجودون بأرواحهم في قتالهم فيما بينهم تماماً كما جادوا بها في قتالهم لأعدائهم . وهكذا فقد كانت النتائج باهرة عندما كانت قواهم موجهة ضد الأعداء ، ومحزنة عندما استشرت الخلافات بينهم ووجهت قواهم إلى قتال بعضهم بعضاً.

وليس عجيباً أن يكون تاريخ المسلمين كغيرهم من الأمم ذوات الحضارة والأمجاد مليئاً بالصفحات المشرقات . ومن الطبيعي أيضاً ، أن لا يخلو ذلك

---

(١) من كتبه : « الجمل » و « الفتوح الكبير » و « الردة » ، وكلها مفقودة ، لذلك لا نستطيع أن نجزم بأن هذا الكتاب سيكون كتاباً معيناً كاملا من كتب سيف . إنما هو رواية كاملة متسلسلة لمقتل عثمان ووقعة الجمل .

التاريخ من صفحات أخرى تعلوهـا الظلال . وربما كان حادث مقتل (عثمان) الذي اصطلح على تسميته بـ « الفتنة » و « وقعـة الجمل » أقتم تلك الصفحات . لِمَ لا ؟ ومما لا خلاف فيه ، أنّ هـذا الحدث المروع كان نقطة تحول في تاريخ المسلمين ، بل كان بداية الانهيار ، لم تظهر آثاره مباشرة بحكم الاستمرار بتلك الدفعة القوية التي ولدها عهد صدر الإسلام السابق لذلك التاريخ .

بدأ الخلاف سياسياً وانتهى مذهبياً عقائدياً ، فانقسمت الأمة ، وما زالت ، إلى مذاهب شتى بأسها بينها شديد ، تتبادل الطعون حتى التكفير ولا تتورع عن الاقتتال حتى الموت .

ومما يزيد تعقيد تلك القضية ، أنّ جميع الناس ، بمن فيهم المؤرخين والعلماء ، لم يستطيعوا أن يجزموا بحقائق ما حصل وأسباب ما حدث . فالروايات كثيرة وكلها متضاربة ، والرواة ليسوا بالمستوى المطلوب إذا ما وضعوا على مشرحة أهل (الجرح والتعديل) ، لنأخذ رواياتهم كما نأخذ الحديث الصحيح .

لقد كانت الفتنة فرصة أحسن استغلالها أعداء الإسلام ليشنعوا على الإسلام وينالوا من رواده الذين حملوا لواءه ، ومسؤولية نشره مضحين بأرواحهم قبل أموالهم . كذلك وجد فيها « المذهبيون المتعصبون » معيناً لا ينضب لاختلاق الروايات والأقاويل للنيل من صحابي على حساب آخر .

وكثيراً ما كنت أتساءل وأنا أبحث تفاصيل تلك الروايات المختلفة : أصحيح أن الصحابة كانوا على تلك الدرجة من السوء التي تصورها بعض تلك الروايات؟ وإذا صح ذلك ، فكيف استطاعوا أن يبنوا ذلك التاريخ الذي شهد بمجده جميع المنصفين من مختلف الأمم والأجناس ؟

هنا لا بد لي من التنويه برأي المرحوم الدكتور « يوسف العش » الذي لفت نظري لأول مرة في محاضراته التي كان يلقيهـا في جامعة دمشق ، إلى أن معظم

الروايات حول هذه النقطة بالذات يجب أن تؤخذ بكثير من الحذر والتمحيص. وكان مما قاله في هذا الموضوع :

« إنا نجد معظم أخبـــار الفتنة ترد عن طريق (الواقدي) وترد بعض الأخبـــار عن طريق (محمد بن اسحاق) . والواقدي تعرض له (أهل الجرح والتعديل) ، فقال زكريا بن يحيى الساجي في المجلد التاسع (ص ٣٦٣) من تهذيب التهذيب : « الواقدي متهم » ، وقال البخاري : « الواقـــدي متروك الحديث » ، وقال معمر: « ليس بثقة » ، وقال النسائي: « في الضعفاء الكذابين المعروفين بالكذب عن رسول الله ﷺ أربعـــة ، وذكر الواقدي في أولهم . وقال ابن راهويه : « هو عندي ممن يضع » . وقال الشافعي : « كان بالمدينـة سبعة رجال يضعون الأسانيد أحدهم الواقدي » ... والتاريخ يجب أن لا يؤخذ عن كذاب » .

– أضيف :

ومن يكذب عن رسول الله ﷺ فمن باب أولى أن يكذب عن غيره ، طالما أن عقـــاب جريمة الكذب عن رسول الله ﷺ كما ورد في الحديث الشريف : « من كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار » [١] .

« أما محمد بن اسحاق ، فالمحدثون لا يتهمونه بالكذب، إنما يتهمونه بالتدليس والارسال ، فهو يسقط من بعض الأخبـــار رجالاً متهمين بالكذب والوضع ، فالأخبار التي أوردها عن الفتنة يجب أن لا يؤخذ بها إلا إذا كانت تامة السند ، وهي غير تامة. وورد في الفتنة خبر عن ابن سميع أجمع المحدثون على أنه منكر. وهكذا تستبعد الأخبار التي وردت عن هـذه الطرق ، وتبقى لدينا رواية شبه

---

(١) البخاري – كتاب العلم .

كاملة للفتنة وردت في الطبري عن شعيب ، عن سيف ، عن أربعة مؤرخين هم : محمد ، وطلحة ، وأبي حارثة ، وأبي عثمان » .

أقول : ومما يحتم الأخـذ برواية سيف بن عمر أن في متنها ما يرجحها ، فهي الرواية التي يقبلها العقل والمنطق السليم . ولو كان الصحابة كما يصورهم أولئك المؤرخون ، ولو كانت دوافعهم كما يحلو للبعض أن يتخيلوا ، إذن لما كان العرب ولما كان الاسلام ، ولمـا كانت حضارة ودولة وعقيدة . كيف تصدر تصرفات شاذة — كالتي يصورها بعض اولئك المؤرخين — من رجال رضي الله عنهم ورضوا عنه : ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾ [1] . إن الأعمـال الكبيرة لا ينجزها إلا رجال كبار .

لقد كتب تاريخ الفتنة في أوقات صعب على المؤرخين فيها الحياد . فالخوف والتعصب وحداثة البحث العلمي ، كل ذلك سهل الكذب عن الأموات .

● ● ●

للفتنة أسباب كثيرة ، نشأت عن عوامل متعددة ، يمكن تقسيمها الى ثلاثة أقسام :

أ — أسباب أخذها الناس على عثمان وطريقة حكمه .

ب — أسباب فرضتها ظروف الدولة وطبيعة التحول الاجتماعي في ذلك العصر .

جـ — نشاط الفئات السرية المعادية .

---

(١) التوبة : ١٠٠ .

وقبل سرد الأمور التي أخذها الثائرون على عثمان لا بد لنا من الاشارة الى أن العرب بطبيعتهم أكثر من غيرهم ميلاً الى التعلق بالأشخاص ، لذلك هم يطلبون من « القائد » أكثر من غيرهم ، بل وربما أكثر مما يستطيع انسان ، بالاضافة الى اندفاعهم أحياناً كثيرة وراء عواطفهم بعيداً عن التعمق بالدراسة وتحكيم العقل . والعواطف تعطي إذا أحسن استثمارها ، ولكن ما أسهل استغلالها أيضاً .. ومن سوء الحظ أن شاءت إرادة الله عز وجل أن يكون عثمان خليفة لرجلين لم تعرف البشرية لهما مثيلاً . وبعد أن اعتاد المسلمون على حكم عمر وشخصية عمر ومن قبله أبي بكر .. جاء عثمان .

كان جميع الصحابة يرهبون عمر ويخافونه ،ومع ذلك فقد كان رضي الله عنه يحمّل نفسه أكثر مما يحتمل بشر . لما جاع الناس عام الرمادة (١٨ هـ) أقسم ألا يذوق سمناً ولا لبناً ولا لحماً حتى تنتهي المجاعة ويشبع الناس ... والتزم بذلك حتى انتهى القحط رغم تأثر صحته وانحرافها لدرجة أثارت إشفاق الناس عليه .. وجد خادمه في سوق المدينة ، بعد انفراج الغمة ، عكة سمن وقدر لبن ، فاشتراهما وانطلق بهما الى عمر ، وقد رثي لحالته ، وقال له : يا أمير المؤمنين قد أبرّ الله يمينك وعظم أجرك . وقد ورد المدينة عكة سمن وقدر لبن اشتريتهما بأربعين . فماذا كان جواب عمر ؟ قال عمر : أغليت بهما ، فتصدق بهما ، فاني أكره أن آكل إسرافاً . وقال عمر : « كيف يعنيني شأن الرعية اذا لم يمسسني ما مسهم »[1] .

تغير الخليفة ولم يتغير الشعب . فتصرفات عثمان لم تكن كذلك ، في حين أن شخصيته لم تكن في مستوى شخصية عمر من ناحية القوة والرهبة. عمر يقسم أن لا يطعم السمن ما دام الناس جياعاً وعثمان ينخل الدقيق ... يضاف الى ذلك

---

(١) راجع تاريخ الطبري ، ج ٤ — ٩٨ .

أنه طعن في السن. ومن سنن الحياة أن يضعف المرء مع تقدم سنه، ويكثر حدبه على أهله وأقاربه. فتجمعت الأسباب...وكان أهم ما أخذ الناقمون عليه ما يلي:

أ – الأسباب التي أخذها الناس على عثمان وطريقة حكمه :

١ – أنه جمع النـــاس على مصحف واحد . وقد أجاب رضي الله عنه عن ذلك : القرآن من عند الله ، إنمـــا نهيتكم عن الاختلاف فيه . والحقيقة أن ذلك حسنة من حسناته، فقد روى الأئمة [١] بأجمعهم أن زيد بن ثابت قال : أرسل إليّ أبو بكر رضي الله عنه بعد مقتل أهل اليمامة ، فاذا عمر بن الخطاب عنده فقال أبو بكر: إن عمر أتانا فقال : إن القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقرّاء القرآن، واني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تجمع القرآن . قلت لعمر : كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر: هذا والله خير. فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر». وقد تم جمع القرآن في زمن أبي بكر وبقيت الصحف عنده حتى توفاه الله ، ثم عند عمر ، ثم عند ابنته حفصة رضي الله عنها . ولمـا قدم حذيفة ابن اليمان على عثمان من مناطق القتال في العراق والشام قـــال لعثمان : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى. فأرسل عثمان الى حفصة كي ترسل له الصحف حيث تم نسخها بواسطة عـدد من الصحابة : زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن ابن الحارث . فنسخوها في نسخ أرسل عثمان الى كل قطر بنسخة منها ، وردّ الصحف الى حفصة ، وأمر بإتلاف ما عدا ذلك من الكتابات المتفرقة عنـــد الاشخاص .

---

(١) ط ٤ – ٣٤٧ .

(٢) العواصم من القواصم – محب الدين الخطيب ص : ٦٦ .

٢ – أنه حمى الحمى (أي حجز أرضاً ومنع الناس من الرعي فيها) . وكان جوابه على ذلك أنــه حمى تلك الارض لإبل الصدقة وفعل ذلك قبله عمر ، ولما زادت إبل الصدقة زاد في الحمى .

٣ – أنه أعطى مروان مئة الف ، وفي رواية لم تصح أعطاه خمس افريقيا . والذي صح [١] هو إعطاؤه خمس الخمس لعبد الله بن أبي سرح جزاء جهـــاده في فتح افريقيا . ولمــا سخط الناس لذلك واعترضوا بواسطة وفد أرسلوه له أمره برد ذلك ، فرده .

٤ – أنه ضرب عمــار بن ياسر حتى فتق أمعاءه وكذلك ضرب ابن مسعود حتى كسر أضلاعه ، ومنعه العطاء . والذي يبدو أن في الأمر مبالغة . ولكن مما لا شك فيه أنهما تعرضا للتعزير [٢] لأسباب ترد مختلفة في كتب التاريخ ، وفرض العقوبة حق من حقوق الخليفة .

٥ – أنــه نفى أبا ذر الى الربذة ، وذلك أن أبا ذر كان زاهداً وكان يهاجم عمــال عثمان بقسوة ويتلو عليهم ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ﴾[٣]. والحقيقة أنه لم يثبت أكان النفي غصباً، أم أن أبا ذر اختار النفي ليعيش عيشة التقشف حسب مبدئه .

٦ – ردّ الحَـكَمَ [٤] بعد أن نفاه رسول الله ﷺ، واتخذ من ابنه مروان

---

(١) العواصم من القواصم – محب الدين الخطيب ص : ١٠٠ .

(٢) التعزير : هو العقاب الذي يفرضه الامام على من يأتي عملاً لم يرد في عقوبته نص ، وهو دون الحد .

(٣) التوبة : ٣٤ .

(٤) الفتنة ، طه حسين ص : ١٨٤ .

مستشاراً ، واستعمل أقرباءه ، وذلك ما كان يخشاه عمر رضي الله عنه فحذره إن ولي الأمر من تحكيم أقربائه في رقاب الناس .

٧ — أنه قدّم الخطبة في العيد على الصلاة ، وسمح للناس بإخراج زكاتهم بأنفسهم ، وأتم الصلاة في السفر . وكل ذلك اجتهاد يخطىء المرء فيه ويصيب ولا يؤدي الى فتنة .

٨ — أنه وقف على المنبر في الخطبة على الدرجة التي كان يقف عليها رسول الله ﷺ . وكان أبو بكر قد انحطّ عنها درجة وكذلك عمر . والحقيقة أنه لو كان على كل خليفة أن ينزل درجة لكان على الخليفة السابع أو الثامن عشر مثلاً أن يخاطب الناس من بئر .

٩ — أنه لم يحضر بدراً ، وانهزم يوم أحد ، وغاب عن بيعة الرضوان ، وقد بيّن ذلك ابن عمر [1] فقال : « أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له . (وكان معظم الصحابة قد انفضوا عن الرسول في ذلك اليوم ولم يثبت معه سوى عدد يسير) . وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة فقال له رسول الله ﷺ : ان لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه . وأما تغيبه عن بيعة الرضوان ، فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه ، فبعث رسول الله ﷺ عثمان ، وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان الى مكة ، فقال رسول الله ﷺ : بيده اليمنى هذه يد عثمان ، فضرب بها على يده فقال : هذه لعثمان » .

١٠ — أنه امتنع عن قتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب بالهرمزان [2]. وكان

---

(١) العواصم من القواصم ص : ١٠٤ .

(٢) العواصم من القواصم ، محب الدين الخطيب ، ص : ١٠٦ .

عبيد الله قد رأى الخنجر الذي قتل به والده قبل الحادثة المفجعة مع الهرمزان وهو في وضع مريب مع القاتل (أبي لؤلؤة) . فأدرك أن في الأمر مؤامرة وأن للهرمزان يداً في القتل ، فعمد في ثورة غضبه الى الهرمزان فقتله . وقد اختلف الصحابة في الوضع الشرعي لهذه الحادثة وما يجب على عثمان فعله : أيقتل عبيد الله بالهرمزان أم يتركه ؟. ويبدو أن عثمان وجد في ذلك شبهة . وبما أنه ليس للهرمزان ولي ، وعثمان وليه ، كإمام ، فقد عفا عن عبيد الله ودفع دية الهرمزان من جيبه الخاص وأيده في ذلك معظم الصحابة . وربما كان ذلك أسلم وأصح المسالك . وهنا لا بد من وقفة إكبار لأولئك الصحابة وعلى رأسهم علي بن أبي طالب ، الذين رأوا أن يقتل ابن خليفتهم ، العزيز عليهم ، والذي قتل بالأمس غيلة ، بذمي على غير دينهم ، هو الهرمزان .

١١ — أنه اتبع طريقة جديدة في معاقبة الناس فنفى أشخاصاً من الكوفة والبصرة الى الشام ، فأخذ اولئك أينما حلـّوا يؤلبون الناس عليه .

١٢ — أنه عزل سعد بن أبي وقاص عن الكوفة ، وهو الذي نصحه عمر بتوليته ذلك القطر ، وولى مكانه أحد أقربائه هو (الوليد بن عقبة) . كذلك عزل عمرو بن العاص عن مصر ، وولى مكانه (عبد الله بن كريز) . وتهاون مع عماله حتى أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح ضرب رجلاً من الذين شكوه إلى عثمان حتى قتله [١] .

١٣ — أنه أضاع خاتم النبي ﷺ في بئر (اريس) ، وتفصيل ذلك [٢] أن الرسول ﷺ كان قد اتخذ خاتماً نقش عليه اسمه ، وكان يختم به رسائله الرسمية إلى القواد والأمراء والملوك ، ولما توفي ﷺ انتقل الخاتم إلى أبي بكر ثم إلى عمر

(١) أنساب الاشراف ، ص : ١٢٤ .
(٢) الفتنة ، طه حسين ، ص : ٢٠٠ ، وط ٤ - ٢٨٢ .

ثم إلى عثمان ، وكانوا يستعملونه للأغراض نفسها ويتفاءلون به . وصادف أن سقط من يد عثمان (سنة ٣٠ هـ) في بئر أريس[1] وقد حاول المسلمون عبثاً إيجاده، مما أغاظ عثمان وأدى الى تشاؤم المسلمين وحنق بعضهم على عثمان، واعتبارهم إياه متهاوناً في حفظ خاتم رسول الله ﷺ .

هذه الأمور كلها يمكن أن نقول ان عثمان رضي الله عنه سببها ، أو أن الناس أخذوها عليه ، بغض النظر عن وجهة نظر المؤيدين لعثمان أو المعارضين له . لكن تلك الأسباب مجتمعة إنما تشكل جزءاً بسيطاً من مجموع الأسباب ولم تكن لتؤدي الى الفتنة لولا الأسباب الأخرى التي اجتمعت فأدت الى ما أدت اليه .

ب – الاسباب التي فرضتها ظروف الدولة وطبيعة التحول الاجتماعي في ذلك العصر :

١ – كان العرب قبل الاسلام قبائل متفرقة ، يدير كل قبيلة رئيس وفق تقاليد عشائرية موروثة ، مواردهم محدودة ، مصدرها ما تدرّه الماشية ، وما يسلبه بعضهم من بعض ، في غزواتهم وعدوانهم فيما بينهم ، يستثنى من ذلك قريش وبعض القبائل التي أقامت فيما يشبه المدن ، فقد كانت تتعاطى التجارة والزراعة ، لكن لم تكن هناك دولة بمعنى الدولة أو نظام وإدارة . فلما جاء الاسلام انتقل العرب من حال الى حال . جاء بعقيدة ونظام تتناول جميع أمور الحياة ، من الولادة الى ما بعد الممات . فقد كان العرب أشبه بمادة خام تنتظر لها صانعاً ، وكان الاسلام الصانع المنتظر الذي صنع فأحسن الصنع . وحّد العرب في أراضيهم الرحبة وامتد الى خارجها يرفع راياته خفّاقة في الآفاق . وهكذا ولدت في تلك البلاد دولة جديدة ، ولكل دولة مستلزمات . كان عمر – وقبله أبو بكر – كلما واجه احدهما وضعاً جديداً اجتهد فيه وأحسن

---

(١) ط ٤ – ٢٨٢ .

الاجتهاد . فتلك أمور من أعمال الدنيا وللنـــاس أن ينظموها حسب الزمان والمكان ، ولا نجد بخصوصها نصوصاً ثابتة في القرآن أو الحديث .

أما في زمان عثمان فقد وجدت حالات أخرى، وكان على عثمان أن يواجهها، فاجتهد رأيه ، وأعطى حلولاً ، ولكن حلوله لم تكن دائماً في المستوى المطلوب.. وذلك لا ينقص من منزلة عثمان الصحابي والرائد من رواد الاسلام الأول ، فهو انسان وكل انسان خطّاء .

٢ ـ اضطر عثمان الى تجنيد الأعراب وهم الذين قـــال الله عز وجل فيهم : ﴿ الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ، والله عليم حكيم ﴾ [١] . وقـــال أيضاً : ﴿ قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولـمـا يدخل الايمان في قلوبكم ﴾ [٢] . هؤلاء هم الأعراب ، لم يدخل الايمان في قلوبهم ، ذهبوا الى القتـــال ومعظمهم يبغي عرض الحيـــاة الدنيا. فشكلوا بعد فترة طبقة خاصة يمكن تسميتها بلغــة العصر بـ (الرعاع) . وعندما يكون بيد الرعاع سلاح يسهل على المستغلين توجيههم في طريق الفتنة . وما أسوأ السلاح بأيد تضعه في غير مكانه .

٣ - توقفت الفتوحات في أواخر عهد عثمان أمام حواجز طبيعية لم تتجاوزها من بحار وجبال ، ان كان ذلك في جهات فارس وشمالي بـــلاد الشام أم في افريقيا . وبتوقف الجيوش انقطعت الغنائم، وبقي الجنود بدون عمل. ولنتصور جيشاً جاهلاً يمضي نصف يومه في الطعام والنوم وقضاء الحاجات، والنصف الثاني بالخوض في سياسة الدولة والحديث عن تصرفات عثمان التي كانت تهولها عصابة سرية تعمل لهدم الأسلام من داخله ـ كما سنبين ـ وكيف أن الأراضي التي قاموا

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ٩٧ .
(٢) سورة الحجرات ، الآية ١٤ .

هم بفتحها والتي يعتبرونها حقاً من حقوقهم تذهب الى بيت المـال ويوزعها عثمان على من يريد. تجاه هذه الأوضاع وجدت الادارة العليا نفسها عاجزة عن استيعاب الوضع الطارىء ، بل يمكننا القول أنها عجزت عن إدراكه وتقويمه .

٤ – رافق نشوء طبقة (الرعاع) بمن فيها من أعراب وعبيد محررين وموالي، نشوء طبقـة من الأغنياء أصحاب الملايين تركزت الثروات في أيديهم ، وأصبح المال دولة بينهم ، وبدأ شيء من حياة الرفاه .. ويبدو أن من طبيعة الحيـاة أن يرافق الغنى البطر وفساد الأخلاق، إلا ما ندر . ولم يكن على رأس الدولة الرسول ﷺ ولا أبو بكر أو عمر ، فتفاقم الأمر لدرجة أن أولاد الأغنيـاء هؤلاء بدؤوا نوعاً من حياة الفجور . وهنا ثارت ثائرة عثمان الرجل التقي والخليفة الراشد ، وكانت اجراءاته قـاسية – كما يجب أن تكون – فانضم اولئك المستهترون الى صف الناقمين من الرعاع وغيرهم .

ولم يكن نشوء هذه (الطبقية) ليؤدي الى النقمة التي ظهرت لو كان المجتمع جاهلياً ، أما وأنه مجتمع اسلامي ، والفرد فيه في بدء تحرر عقلي شخصي واجتماعي، فقد تأزم الموقف وأخذت فكرة المساواة طريقها الى الوجود، كذلك من طرف آخر، فقد استيقظ شيء من العصبية كان لا يزال غافياً في اللاشعور.. فلم يجد الناقمون غضاضة في حمل السلاح .

جـ – نشاط الفئات السرية المعادية :

في كتب التاريخ روايات مختلفة عن نشاط سري لأفراد وجماعات أظهروا الاسلام وأخفوا دياناتهم القديمة ، بغية العمل في صفوف المسلمين على تحطيم الدولة الاسلامية وإفساد المجتمع الاسلامي، ببث العقائد الفاسدة ونشر الفتنة، بدوافع دينية وعرقية ، بعدما عجزت تلك القوى عن مجابهة المسلمين في العلن ، كما عجزت شعوبها عن مواجهتهم في ميادين القتال .

وعبد الله بن سبأ ، الملقب بابن السوداء ، وهو يهودي من صنعاء أظهر إسلامه في زمن عثمان بن عفان ، اشتهر أكثر من غيره لأنه أسلم متأخراً ، وبدأ نشاطه مباشرة في العراق والشام ومصر ، وظهر مع الثوار يرسم خططاً ويدلي بآراء هدامة ذكرها معظم المؤرخين في كتبهم .

وقد اختلف البحاثة والمؤرخون، الأقدمون منهم والمعاصرون، في دوره وأثره اختلافاً كبيراً ، فمنهم من جعله المحرك الرئيسي للفتنة وصوّره رجلاً رهيباً على درجة كبيرة من الحنكة والذكاء [1] ، ومنهم من شك أو أنكر حتى وجوده [2] .

في نظرنا لا يهم من هو عبد الله بن سبأ ومتى أسلم، وأين وكيف بدأ نشاطه. المهم أنه وجد شخص، بل عدة أشخاص، لا تهمنا أسماؤهم بمقدار ما يهمنا الدور الذي لعبوه ، كانوا يعملون ضمن مخطط واحد مدروس ، لتهديم الدولة الإسلامية من داخلها ، وضرب المسلمين في صميم معتقداتهم ... وإذا كان ذلك مما لا يجوز التهويل من شأنه ، فكذلك لا تجوز الاستهانة بالدور الذي لعبوه . وسيظهر جلياً من خلال هذا الكتاب أن أولئك النفر قد لعبوا دوراً مهماً، كانت توجههم فيه إدارة حسنة ، وفقاً لخطة تشبه ما يسمى « بالحرب النفسية » في العصر الحديث، وذلك ببث الاشاعات وإرسال الرسائل المزورة عن لسان علي وعائشة وطلحة والزبير إلى الأمصار ، هذا بالاضافة إلى حملهم السلاح فعلاً وتنظيمهم لحوادث الاغتيال على أعلى المستويات . ويبدو من مراجعة تاريخ صدر الاسلام أن نشاطهم بدأ قبل الفتنة بزمن بعيد ، وما قتل الخليفة عمر بن الخطاب سوى عمل مدبَّر من تصميم وتنفيذ تلك القوى الحاقدة .

---

(١) الأستاذ سعيد الأفغاني في كتابه « عائشة والسياسة » .

(٢) طه حسين في كتابه الفتنة الكبرى – أحمد لواساني في كتابه « نظرات جديدة في تاريخ الأدب » مع أنه ركز كثيراً على دور اليهود ونشاطهم السري المخرب في المجتمع الاسلامي.

وفي ظروف مهيأة كالتي وصفناهـا يمكن بسهولة لعدة أشخاص يعملون بقيـادة واحدة وفق مخطط مدروس أن يلهبوا نار الفتنة ، ويلعبوا بعواطف الرعاع ، بل حتى العقلاء والفضلاء ، وهذا ما حصل فعلاً كما سنرى .

● ● ●

كان من نتيجة كل ما أوردناه من أسباب،أن خرج من أهل مصر ما بين ٦٠٠ الى ١٠٠٠[1] شخص متجهين الى المدينة ، ولم يجترئوا أن يعلموا الناس بخروجهم الى الحرب ، وإنمـا خرجوا كالحجاج ومعهم ابن السوداء . وخرج من أهل الكوفة عدد كعدد أهل مصر ، ومثلهم من أهل البصرة. ولما وصل الخبر الى أهل المدينة استعدوا لقتالهم ، فاتصل أهل البصرة بطلحة ، وأهل مصر بعـلي ، وأهل الكوفة بالزبير، فلاقوا صدوداً ورداً واحداً . عندها تظاهروا بالعودة ورجعوا الى عساكرهم على بُعد ثلاث مراحل ، حتى اذا تفرّق أهل المدينـة فجؤوها واحتلوهـا ، واخترعوا الأسباب لعودتهم ، كما سيرد في الكتاب ... وحاصروا عثمان في داره مـدة اختلف المؤرخون في مقدارها ، وهي في رواية سيف أربعين ليلة [2] ، كان عثمان خلال ثلاثين يوماً قبلها يصلي بالناس بمن فيهم الثوار أنفسهم ، ولكن لما علموا بقرب وصول جيش معـاوية لنجدته منعوه الخروج والماء والطعام آملين أن يترك الخلافة. وعندما يئسوا من ذلك قتلوه . أما كيف استطاعوا قتله في المدينة وفيهـا علي وطلحة والزبير رضوان الله عليهم وعدد لا بأس به من الصحابة . هنا يعسر الجزم بتحليل ، ولكن الذي يظهر من تتبع النصوص هو ما يلي :

١ — أغلب الظن أنه لم يتوارد الى ذهن أحد من الصحابة أن الأمر سيصل الى حد قتل الخليفة . لقـد كان ذلك في نظر الناس ، حتى الثائرين على عثمان ، أمراً جللاً لا يخطر ببـال . إن تمسك المسلمين بالشرعية بلغ في ذلك الزمن حداً

---

(١) ط ٤ – ٣٤٨ .
(٢) ط ٤ – ٣٥٤ .

لم تبلغه دولة قديمة ولا حديثـــة . وأعتقد أن كثيرين من الذين نقموا على علي فيما بعد ، إنما كانت دوافعهم الدفاع عن الشرعية . فقد أدرك الصحابة بنقـــاء حدسهم وصفاء إخلاصهم أن التجرّؤ على مركز أمير المؤمنين، والتغاضي عن أية فئـة تقتل الخليفة أو تحاول خلعه بالقوة ، يشكل ضربة قاتلة لمفهوم الخلافة ، ويفتح الباب على مصراعيه أمام سلسلة لامتناهية من التآمر والاقتتال في سبيل الوصول الى مركز السلطة .

إن الخليفـة في نظر الاسلام رجل يختاره المسلمون بمـــلء إرادتهم ليتولى قيادتهم وتسيير امورهم ، وأي تعـدٍّ عليه تعـدٍّ على جميع المسلمين ، واستهانة بإرادتهم ، ولا يجوز خلعه شرعاً إلا في حالات معينة حددها الشرع الاسلامي ، مما لا مجال للإطالة في شرحه في مقدمة كتاب تاريخي . كما أن الاسلام واضح في تكريمه للإنسان وحرصه الشديد على المحافظة على حياته، حيث جعل جريمة قتل الانسان أكبر جريمة يمكن أن يرتكبها امرؤٌ على الإطلاق : ﴿ مَن قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ﴾[1]. تلك نظرة الاسلام الى قتل الانسان . فكيف يُقتل الخليفـة ويتهاون المسلمون في إقامة حدود الله على القاتلين ؟

لقـــد اعتبر الصحابة تلك الجريمة أبشع مما تستطيـع أن تصوّره الأقلام ، واعتقدوا أن أي تهاون في إقامة الحدود على القاتلين تهاون بشرع الله وتحطيم للدين.

ولم يكن الإمام علي يخالف هذه النظرة ، فقد كان أشد الصحابة حرصاً على إقامة الحدود ، يؤيد رأينـا أنه كان أكثر المتحمسين لإقامة الحد على عبيد الله ابن عمر لقتله الهرمزان . ولكن ظروفاً خارجة عن إرادته منعته في هذه الحالة من الإسراع في قصاص قتلة عثمان ، ولم يترك ذلك إلا بعـد أن قُتلوا جميعهم في المعارك .

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٣٢ .

وقد أثبتت الأيام التالية صدق حدس الصحابة الذين دافعوا عن الشرعية ، فقد فتح منذ ذلك اليوم باب لم يغلق من حوادث الاعتداء على مركز الخليفة حتى غدا المنصب في يوم من الأيام لعبة بأيدي الأقوى من قادة الجيش .

وكان يزيد في اطمئنان الصحابة ، وعثمان نفسه ، أن المحاصرين سمحوا لعثمان أن يصلي بالناس ، وكانوا يصلون خلفه .

٢ ـ وعلى كل حال فقد منع عثمان الصحابة من القتال دفاعاً عنه . رفض الهرب ، ورفض القتال ، ورفض ترك الخلافة . فأصبح وضع الصحابة حرجاً . وقد يتبادر الى ذهن بعض الناس أنه كان يجب على الصحابة أن يقاتلوا من تلقاء أنفسهم ، وهذا الخطأ عينه، ولو حصل ذلك لكان موقفاً غير صحيح لا يقول به إلا من لا يقدّرون الشرعية حق قدرها ولا يحلّونها المكان الذي كانت تحتله في نفوس المسلمين ، فلا تجوز مخالفة أوامر الخليفة ولا بشكل من الأشكال . ان في موقف الصحابة أقصى غايات الانضباط ، وذلك الانضباط جزء من العقيدة التي بها فتح المسلمون العالم .

٣ ـ يبدو أن عثمان أراد أن يحقن الدماء ، خاصة أنه لاحظ أن عدد الثوار وقواهم أكبر من أهل المدينة. صحيح أن عددهم لم يكن يتجاوز الألفين . ولكن على ما يبدو أنه لم يكن في المدينة يومها نصف ذلك العدد من المقاتلين ، لذهاب معظمهم الى الفتح والثغور والحج . ولذلك استنجد عثمان بالأمصار اعتقاداً منه ، على ما يبدو ، أن وصول الجيوش الكبيرة سيضطر الثوار الى الاستسلام ، ولن يكون قتال ، ولن تراق دماء ، لأنه كان حريصاً على أن لا تراق محجنة دم مسلم من أجله .

٤ ـ حال اتساع رقعة الدولة دون وصول النجدات في الوقت المناسب ، ولما وصلت كان كل شيء قد انتهى ..

٥ – ومع ذلك فقد ترك الصحابة أولادهم على باب عثمان إظهاراً لاستنكارهم الحصار، وترهيباً للثوار، عسى أن يرتدعوا عندما لا يجدون صحابياً مؤيداً لهم.

٦ – إذن فقد حال عثمان دون القتال، وكأني به في أول الأمر مطمئناً الى أنهم لن يجترئوا عليه. ثم لما أيقن أنهم قاتلوه فكأني به قد أحب الشهادة، خاصة أن روايات متعددة تقول، إنه حلم يوم مقتله أنه سيفطر مع الرسول ﷺ فقد جاء في احدى تلك الروايات[1] ثم قال (عن لسان رسول الله ﷺ): « أما أن القوم سينكرون عليك، فإن قاتلتهم ظفرت، وان تركتهم أفطرت عندنا ».

وقد كان لعثمان، كما يبدو، مفهوم خاص للخلافة. فهو لم يفهمها تكليفاً من المسلمين، إنما فهمها أمراً ألبسه الله إياه. لذلك كان يردد: « ما كنت لأخلع قميصاً قمصنيه الله عز وجل ».

« لأن أقدم فتضرب عنقي أحب إلي من أن أنزع سربالاً سربلنيه الله عز وجل »[2].

من كل ذلك يتبين أن مواقف الصحابة لا غبار عليها. فقد بقوا لآخر لحظة خاضعين لأوامر الخليفة، المصدر الشرعي للسلطة.

والخليفة قاد المعركة بالطريقة التي ارتأى فيها خيراً. اجتهد فأخطأ، أو أصاب، لا يهم. المهم أن المواقف لم يدخلها سوء نية كما يحلو للبعض أن يدعي، ممن يجعلون صحابياً متواطئاً وآخر محرضاً. لا شك أن بعض الصحابة استاء من مواقف عثمان المحرجة، وبعضهم أراده أن يتنازل عن الخلافة وبعضهم رغب

---

(١) البداية والنهاية، ٧ – ١٨٣.

(٢) طه حسين، الفتنة الكبرى ص: ١٩١.

إليه أن يقاتل ، ولكن تصرفاتهم لم تتأثر برغباتهم . طلب منهم عدم القتال فلم يقاتلوا ، ولو طلب إليهم القتال ربما كانوا استشهدوا جميعاً دونه .

• • •

قتل عثمان وبقيت الدولة بدون خليفة عدة أيام . أحجم كل من اتصل به الثوار عن قبول القيام بالأمر ، وأصبح أمر المدينة بأيدي الرعاع ، فكان لا بد لأحد من التضحية والقبول باستلام الأمر . وكان البطل ، وكان الضحية ، علي كرّم الله وجهه .

إن سيرة علي وشخصيته تجعلاننا نجزم بأنه كان يقدر مسبقاً المصاعب التي تنتظره والموقف الخطر الذي سيواجهه . ولكنه فهم الحكم على أنه مسؤولية وتضحية ، فتقدم... وبايعه الجميع باستثناء نفر بسيط . ولكنه واجه منذ اليوم الأول مشكلة صعب حلها ، بل لم يكن بيده أو بيد غيره حلها ، وهي مشكلة قتلة الخليفة السابق عثمان بن عفان رضي الله عنه . فقد اختلفت وجهات نظر الصحابة في الموضوع فكان لا بد من الخلاف ، ولكن كيف أدى الخلاف في وجهات النظر إلى القتال ؟

يجب ألا يفوتنا هنا الاشارة إلى أمر قد لا ندركه نحن ولا نقدره حق قدره في عصرنا الحاضر ، لاختلافنا عن ذلك الطراز من الرجال . لقد كان المسلمون الأولون على استعداد للموت دفاعاً عما يؤمنون به ، وربما كانت تلك ميزتهم الكبرى التي فتحوا بها الأقطار وسادوا العالم .

لذلك كان خلافهم عنيفاً ، فكل واحد منهم يؤمن بأنه على حق ، وكلهم على استعداد للجود بأرواحهم لاعلاء كلمة الحق . ولا شك أن الذين كانوا يقيسون الأمور بمقياس الفائدة لا نكاد نجد لهم أثراً ، ولمن يشك في ذلك أن يتبصر بقصة استشهاد عمار بن ياسر رضي الله عنه التي سترد مفصلة خلال الكتاب ، فما هي الفوائد التي كان سيجنيها عمار ، ابن التسعين ، لو ربح علي ؟ .

إذن كان السبب الأول في وقعة الجمل الخلاف بالرأي في موضوع قصاص قتلة عثمان. دخل طلحة والزبير مع عـدد من الصحابة على علي فقـالوا [1]: « يا علي ، إنا قـد اشترطنا إقامة الحدود ، وإن هؤلاء القوم قد اشتركوا في دم هذا الرجل ، وأحلوا بأنفسهم. فقال لهم: يا اخوتاه ، إني لست أجهل مـا تعلمون ، ولكني كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم ، ها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم ، وثابت اليهم أعرابكم وهم خلالكم يسومونكم ما شاؤوا ، فهل ترون موضعاً لقدرة على شيء مما تريدون ؟ قالوا: لا ، قال: فلا والله لا أرى إلا رأياً ترونه إن شاء الله ».

لقد كان موقف علي في غاية الوضوح ، كان راغباً في إقامة الحـدود وإنزال القصاص بمن يستحقه. وربمـا كان يخطط بينه وبين نفسه لذلك. ولكن بعض زملائه من الصحابة أصروا على التدخل في الامر ، فهم حريصون على تطبيق ما أمر الله به ، لكنهم ، على ما يبدو ، قد أسرفوا في ذلك ، ومن هو في موضع المسؤولية يرى الامور بمنظار غير الذي يراها به الآخرون. فتحتم وقوع الخلاف.

وأراد طلحة والزبير أن يؤكدا عـــدم رضائهما باجراء فعلي. فاستأذنا علياً وتوجها الى مكة المكرمة لأداء العمرة. وفي مكة المكرمة قررا ومعهما عائشة وكل من لاذ بمكة من أنصار عثمان التوجه الى البصرة ، والامتناع هناك ، ولمـا علم بذلك علي ، الذي كان يعدّ جيشه للتوجه الى بلاد الشام ، تحول اليهم.

التقى الفريقان وهما ضمنياً أقرب الى التفاهم منهما الى القتال.

ولم يكن الخلاف ليؤدي إلى التصادم لولا أنـه كان للثوار مصلحة في إسعار النار وتعميق الشقة ، لأن أي تفاهم سيعني إنزال العقاب بهم. وكانوا على ثقة من

---

(١) الطبري ٤ – ٤٣٧.

ذلك ، فعلي كرّم الله وجهه لا تأخذه في الحق لومة لائم ، ولا يبالي في مرضاة الله إذا سخط البشر كلهم أم رضوا .

وهنا لعب ابن السوداء أهم أدواره ، ففي ظروف كتلك الظروف لا وقت عند الناس للتروي والتفكير وتقليب الامور ،ويسهل تصديق الاشاعات وتحميس المختلفين . وهكذا وجد اليهودي ، مدعي الاسلام ، مجالاً رحباً لعمله ، وأستطيع أن أجزم بأنه كان يساعده في ذلك كثيرون. وكلما أشرف المختلفون على التفاهم والمصالحة ، وجد اولئك سبيلاً لإعادة الأمور أسوأ مما كانت عليه ، يساعدهم في ذلك خوف كل من ثار مع قتلة عثمان من القصاص .

وحصلت المعركة.. واستمات الطرفان ، ووقع القتلى بالمئات والآلاف ، وكان منهم طلحة والزبير ، وانتصر علي ، لكنه كان حزيناً مع ذلك الانتصار ، بل كان أكثر النـــاس حزناً بين المنتصرين ، كما كانت عائشة رضي الله عنها أكثر الناس حزناً بين المنهزمين . كان علي يقول :

« والله لوددت أني متُّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة » .

وكانت عائشة تقول :

« والله لوددت أني متُّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة » [1] .

الكلام نفسه يصدر عن المنتصر وعن المنهزم . فقد حرص الطرفان على حقن الدماء لكن أمر الله كان قضاء مقضياً .

لقد زاد عدد ضحايا وقعـــة الجمل عن خمسة عشر الف قتيل ، وكانت بداية حرب أهلية قضت تقريباً على جميع الباقين من الصحابة الصالحين . ومع مرور

---

(١) ط ٤ - ٥٣٧ .

الزمن تطور الخلاف السياسي الى خلاف مذهبي ، وتغيرت مفاهيم المسلمين ، وانقرض من الوجود ذلك الضمير الذي خلق المعجزات .

في حروب الجمل تعرض ضمير كل مسلم الى صراع مرير ، واختلط الامر على الناس ، فمنهم من لزم جانب الحيـاد ، وهؤلاء كانوا أكثر الناس راحة ضمير ، ومنهم من وقف مع الامام الشرعي علي كرّم الله وجهه ، وهؤلاء وإن كانوا أقرب إلى الصواب فسرعان ما انتشر الخلاف في صفوفهم ، ومنهم من وقف إلى جانب عائشة وطلحة والزبير ،وهؤلاء كانوا حتى في قياداتهم أكثر الفرقاء تعرضاً لعذاب الضمير وتأرجحاً في موقفهم ، ولعل موقف الزبير ، الذي سيرد مفصلاً فيما بعد ، أبرز مثال على صدق هذا الرأي .

ويجب أن لا يفوتنا هنا،أن الخلاف اقتصر على طريقة تطبيق الشرع ولم يتطرق إلى كنه الشريعة ، بل لم يجرؤ أحد من الفريقين على تكفير الفريق الآخر ، ورجا كل منهما الجنة لقتلاه ولمن نقـّى قلبه من قتلى الفريق الآخر.

لكن تلك الضمائر الحية ذهبت بذهاب أصحابها ، وحوّل الحفدة الخلافات السياسية إلى مذاهب عقائدية فغـدا الدين أدياناً ، ولم نعد نلمس ذلك الصراع في الضمائر بعـد ذهاب تلك الطبقة من المسلمين ، ولم تمض سنوات قليلة حتى تناول التغيير أهم جانب من جوانب الحياة ، هو مفهوم الحكم في الاسلام ،بعدما كان على ذلك الطراز الرائع الذي لم تعرف البشرية له مثيلاً إلا أيامهم هم ، الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم أجمعين .

أحمد راتب عرموش

ترجمة سيف بن عمر [1]

هو سيف بن عمر الضبي الأسدي (أو الأسيدي)، ويقال التميمي البُرجمي، ويقال السّعدي الكوفي، كوفي الأصل ، اشتهر وتوفي في بغداد في خلافة الرشيد سنة ٢٠٠ هـ ويقال سنة ١٨٠ هـ .

جاء في ميزان الاعتدال في ترجمته :

« كان اخبارياً عارفاً ، روى عنه جبارة بن المغلّس ، وأبو معمر القطيعي ، والنضر بن حماد العتكي ، وجماعة » .

وجاء في تقريب التهذيب :

« سيف بن عمر التميمي ، صاحب كتاب الردة . ويقال له الضّبّي ، ويقال غير ذلك ، الكوفي . ضعيف في الحديث ، عمدة في التاريخ » .

له عدة كتب ذكر منها ابن حجر : « الفتوح الكبير » ، « الردة » ، « الجمل وسير عائشة وعلي » .

ويبـــدو من مراجعة كتب التراجم ، أن سيفاً لم يكن من رواة الحديث المعتمدين، لكن يجمع واضعوها على أنه عمدة في التاريخ وأنه كان إخبارياً عارفاً. وقد اعتمد عليه الطبري كثيراً في تأريخ حوادث صدر الاسلام .

---

(١) مصادر هـــذه الترجمة : تقريب التهذيب ، ميزان الاعتدال ، هداية العارفين ، الفهرست ، الذيل الاول لبروكلمان ، الاعلام .

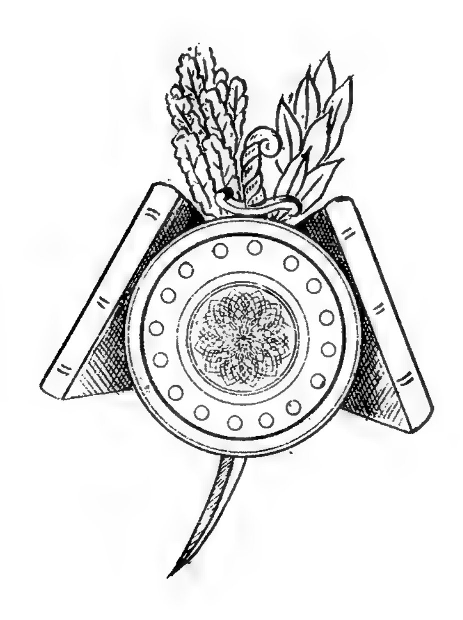
وقد وجه الباحثون مثل ولهوزن Wellhausen وكايتاني Caetani عنايتهم في درس ما نقله سيف وموازنته بما نقله غيره من ثقـات المؤرخين فوجدوه أقل دقة وإن كان أكثر تفصيلاً .

وقيل إنه يتعصب لقبيلة تميم .

روى له الترمذي « فرد حديث ».

ولم يبق لنا منه إلا ما يقتبسه الطبري .

(أضواء على التاريخ الإسلامي)



حول المصادر وطريقة البحث

أشرت في المقدمة إلى أن عملي في هذا الكتاب ، هو جمع رواية سيف بن عمر عن (مقتل عثمان) و (وقعة الجمل) من كتب التاريخ المختلفة وتبويبها وتصنيفها ، ووضع عناوين لها لتشكل في مجموعها موضوعاً واحداً متكاملاً .

وبعد مطالعة هذين الموضوعين في معظم كتب التاريخ القديمة والحديثة ، تبين لي أن تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) هو أوفاها موضوعاً وأكملها رواية ، وقد اعترف بمنزلته القدماء والمعاصرون ، ونقل عنه العلماء والبحاثون ، فهذا ابن خلدون فيلسوف المؤرخين ينقل عنه حوادث الجمل معللاً اعتماده الكلي عليه بقوله [1]: «هذا أمر الجمل ملخصاً من كتاب أبي جعفر الطبري اعتمدناه للوثوق به، ولسلامته من الأهواء الموجودة في كتب ابن قتيبة وغيره من المؤرخين» . كذلك فعل الأستاذ سعيد الأفغاني – من الكتاب المعاصرين – عندما وضع كتابه « عائشة والسياسة » حيث يقول في مقدمة الكتاب [2] :

---

(١) تاريخ ابن خلدون ٢ – ص:٤٥٢ .
(٢) عائشة والسياسة، ص: ٨ .

« ولا بد من الاشارة إلى أني جعلت أكثر اعتمادي – بعد البحث في المصادر التاريخية – على الطبري خاصة ، فهو أقرب المصادر من الواقع ، وصاحبه أكثر المؤرخين تحرياً وأمانة ، وعليه اعتمد كل من أتى بعده من الثقاة ، وليس الكامل لابن الأثير ، إلا تاريخ الطبري منسقاً مختصراً منه الأسانيد واختلاف الروايات » .

وتظهر في تاريخ الطبري رواية سيف بن عمر (للفتنة ووقعة الجمل) كاملة في مقاطع متفرقة ، في صدر كل مقطع سند رواته كاملاً . مما جعلني أنقل تلك المقاطع كلها من تاريخ الطبري[1] ثم أصنفها حسب تسلسل حوادثها ، وأضع لها عناوين وأبواباً ، حتى إذا انتهيت من ذلك ، قابلتها على كتب التاريخ الأخرى ، خاصة كتاب البداية والنهاية لابن كثير ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ، ونهاية الأرب للنويري ، وأنساب الاشراف للبلاذري ، وتاريخ ابن خلدون ، وتاريخ بغداد ، وبعض المصادر الاخرى أقل أهمية ، ولم أعتمد على كتب ابن قتيبة إطلاقاً خاصة أن أهمها وهو « الامامة والسياسة » يشك في نسبته إلى ابن قتيبة .

وبما أن سند كل مقطع يختلف عن سند المقطع الآخر ، فقد ذكرت سند كل مقطع في حاشية الصفحة ، ابتداءً من الشخص الذي روى عنه سيف ، وانتهاءً بالراوي الأول ، حيث أن معظم الروايات نقلها الطبري « كتابة عن السري ، عن شعيب ، عن سيف » ، لذلك حذفت الأشخاص الثلاثة للاختصار وعدم التكرار . أما اذا كان سند الرواية بين الطبري وسيف أشخاصاً آخرين فقد ذكرتهم جميعاً .

وقد أشرت الى المكان الذي يرد فيه كل مقطع في الطبري بذكر الجزء ورقم

---

(١) الطبعة التي اعتمدتها هي من تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم – دار المعارف بمصر .

الصفحة ، مختصراً كلمتي « تاريخ الطبري » بالحرف « ط » . مثـــال ذلك :
(ط ٤ — ٣٠٠)يقصد بها : تاريخ الطبري ، الجزء الرابع ، الصفحة ٣٠٠ .

وإذا وجدت أثناء المقــابلة على كتب التاريخ الاخرى الفكرة نفسها ترد في عدة كتب ، لم أشر الى المصادر الاخرى . أمـا اذا لاحظت اختلافاً في الفكرة أو الرواية ، أو نقصاً ما ، ذكرت النقص أو الاختلاف، وأشرت في الحاشية الى اسم المصدر ورقم الصفحة ،باستثناء البداية والنهاية فقد أشرت اليها بالحرف (ب).

وقد اضطررت في بعض الأحيان لربط الأفكار مع بعضها ، الى إضافة بعض الكلمات أو الجمل ، فأشرت الى ذلك بوضع الكلام المضاف بين قوسين مربعين هكذا [ ] .

وشرحت الكلمات الغريبة بإيجاز ، بحيث يسهل فهم النص مع تفادي كثرة الحواشي .

وبذلك يمكن القول : إن رواية سيف بن عمر عن مقتل عثمان ووقعـة الجمل كما كتبها هو، أصبحت شبه كاملة وغدت فيمتناول جميع المهتمين بهذا الموضوع.

الفِتنة

مقتل عُثمان بن عفّان

نفي المخالفين من أهل الكوفة :

[استعرضنا في مقدمة الكتاب أسباب الفتنة، وبيَّنا أن أحد تلك الأسباب نفي عثمان لبعض المخالفين من بلدانهم الى بلدان اخرى . وسنبدأ متن الكتاب من حادثة نفي بعض أهل الكوفة الى بلاد الشام سنة ٣٣ هـ. للأسباب التي سترد مفصلة فيما بعد] [١] .

يقول سيف بن عمر :

كان سعيد بن العاص [والي عثمان على الكوفة] لا يغشاه إلا نازلة أهل الكوفة ووجوه أهل الأيام ، وأهل القادسية ، وقُرّاء أهل البصرة[٢] والمتسمّتون[٣] ، وكان هؤلاء دَخْلَتَه اذا خلا ، فأما اذا جلس للناس فإنه يدخل عليه كل أحد . فجلس للناس يوماً ، فدخلوا عليه ، فبينا هم جلوس يتحدثون ، قال خُنيس [٤] بن فلان : ما أجود طلحة بن عبيد الله ! فقال سعيد

---

(١) عن محمد وطلحة ط ٤ - ٣١٧ و ٣١٨ .

(٢) في ابن الاثير « الكوفة » .

(٣) السمت : هيئة أهل الخير (لسان العرب) .

(٤) هو خنيس بن حبيش .

ابن العاص : إن من له مثل النّشاستَج [١] لحقيق أن يكون جوّاداً ، والله لو أن لي مثله لأعاشكم الله عيشاً رغداً. فقال عبد الرحمن بن خنيس – وهو حدث – : والله لوددت أن هذا الملطاط لك – يعني ما كان لآل كسرى على جانب الفرات الذي يلي الكوفة – قالوا : فضّ الله فاك ! والله لقد هممنا بك ، فقال : خنيس غلام فلا تجازوه [٢] . فقالوا : يتمنى له سوادنا ! قال : ويتمنى لكم أضعافه ، قالوا : لا يتمنى لنا ولا له ، قال : ما هذا بكم ! قالوا : أنت والله أمرته بها ، فثار اليه الأشتر ، وابن ذي الحبَكة ، وجندب ، وصَعصعة ، وابن الكوّاء ، وكُميَل بن زياد ، وعمير بن ضابىء ، فأخذوه ، فذهب أبوه ليمنع منه ، فضربوهما حتى غشي عليهما ، وجعل سعيد يناشدهم ويأبون ، حتى قضوا منهما وَطراً . فسمعت بذلك بنو أسد ، فجاؤوا وفيهم طليحة ، فأحاطوا بالقصر ، وركبت القبائل ، فعاذوا بسعيد ، وقالوا : أفلتنا وخلصنا .

فخرج سعيد الى الناس فقال : أيها الناس، قوم تنازعوا وتهاوَوا، وقد رزق الله العافية . ثم قعدوا وعادوا في حديثهم ، وتراجعوا ، فساءهم وردّهم ، وأفاق الرجلان ، فقال : أبكما حياة ؟ قالا : قتلتنا غاشيتك ، قال : لا يغشوني والله أبداً ، فاحفظا عليّ ألسنتكما ولا تجرّئا عليّ الناس . ففعلا . ولما انقطع رجاء أولئك النفر من ذلك ، قعدوا في بيوتهم ، وأقبلوا على الاذاعة حتى لامه أهل الكوفة في أمرهم ، فقال : هذا أميركم وقد نهاني أن أحرك شيئاً ، فمن أراد منكم أن يحرك شيئاً فليحركه .

فكتب أشراف أهل الكوفة وصلحاؤهم الى عثمان في إخراجهم ، فكتب : اذا اجتمع ملؤكم على ذلك فألحقوهم بمعاوية . فأخرجوهم ، فذلّوا وانقادوا حتى

---

(١) النشاستج : ضيعة بالكوفة كانت لطلحة بن عبيد الله التيمي ، وكانت عظيمة الدخل اشتراها من أهل الكوفة المقيمين بالحجاز بما كان له بخيبر، وعمرها، فعظم دخلها (ياقوت ٨ – ٢٨٨).
(٢) في نسخة : « تحاوروه » . ط ٤ – ٣١٨ .

أتوه – وهم بضعة عشر – فكتبوا بذلك الى عثمان ، وكتب عثمان الى معاوية : إن أهل الكوفة قد أخرجوا اليك نفراً خُلِقوا للفتنة ، فرُعْهم وقم عليهم ، فإن آنستَ منهم رَشَداً فاقبل منهم ، وإن أعْيَوك فارددهم عليهم . فلما قدِموا على معاوية رحَّب بهم وأنزلهم كنيسة تسمى مريم ، وأجرى عليهم بأمر عثمان ما كان يجري عليهم بالعراق ، وجعل لا يزال يتغدّى ويتعشى معهم ، فقال لهم يوماً : إنكم قوم من العرب لكم أسنان وألسنة ، وقد أدركتم بالاسلام شرفاً ، وغلبتم الأمم وحويتم مراتبهم ومواريثهم ، وقد بلغني أنكم نقمتم قريشاً . وإن قريشاً لو لم تكن عدتم أذلّة كما كنتم ، إن أئمتكم لكم الى اليوم جُنة [1] . فلا تَشِذّوا عن جُنّتكم ، وإن أئمتكم اليوم يصبرون لكم على الجَوْر ، ويحتملون منكم المؤونة ، والله لتنتهُنّ أو ليبتلينكم الله بمن يسومكم ، ثم لا يحمدكم على الصبر ، ثم تكونون شركاء لهم فيما جررتم على الرعية في حياتكم وبعد موتكم.

فقال رجل من القوم : أمّا ما ذكرت من قريش ، فإنها لم تكن أكثر العرب ولا أمنعها في الجاهلية فتخوّفنا ، وأما ما ذكرت من الجُنّة [1] فإن الجنة اذا اختُرِقت خُلص الينا .

فقال معاوية : عرفتكم الآن ، علمت أن الذي أغراكم على هذا قلة العقول ، وأنت خطيب القوم ، ولا أرى لك عقلاً ، أُعْظِم عليك أمر الاسلام ، وأذكرك به ، وتذكرني الجاهلية ! وقد وعظتك . وتزعم لما يجنُّك أنه يخترق ، ولا ينسب ما يخترق الى الجُنّة ، أخزى الله أقواماً أعظموا أمركم ، ورفعوا الى خليفتكم ! إفقهوا – ولا أظنكم تفقهون – أن قريشاً لم تُعَزّ في جاهلية ولا إسلام إلا بالله عز وجل ، لم تكن بأكثر العرب ولا أشدهم ، ولكنهم كانوا أكرمهم أحساباً ، وأمحضهم أنساباً ، وأعظمهم أخطاراً ، وأكملهم مروءة ، ولم

---

(١) الجنة ، بضم الجيم : الوقاية . (أقرب الموارد) .

يمتنعوا في الجاهلية والناس يأكل بعضهم بعضاً إلا بالله الذي لا يُستذلّ من أعَزّ، ولا يوضَع من رَفع ، فبوّأهم حرَماً آمناً يُتخطّفُ النـــاس من حولهم ! هل تعرفون عرباً أو عجماً أو سوداً أو حمراً إلا قـد أصابه الدهر في بلده وحرمته بدوْلة [1] ، إلا ما كان من قريش ، فإنه لم يردْهم أحد من الناس بكيد إلا جعل الله خده الأسفل ، حتى أراد الله أن يستنقذ من أكرم واتبع دينه من هوان الدنيـا وسوء مردّ الآخرة ، فارتضى لذلك خير خلقه ، ثم ارتضى له أصحاباً ، فكان خيارهم قريشاً ، ثم بنى هذا الملك عليهم ، وجعل هذه الخلافة فيهم ، ولا يصلح ذلك إلا عليهم ، فكان الله يحوطهم في الجاهلية وهم على كفرهم بالله . أفتراه لا يحوطهم وهم على دينه وقـد حاطهم في الجاهلية من الملوك الذين كانوا يدينونكم ! أفٍ لك ولأصحابك ! ولو أن متكلماً غـيرك تكلم ، ولكنك ابتدأت . فأمــا أنت يا صعصعة فإن قريتك شرّ قُرىً عربية ، أنتنها نبتاً ، وأعمقهـا وادياً ، وأعرفها بالشر ، وألأمها جيراناً ، لم يسكنها شريف قط ولا وضيع إلا سُبّ بها ، وكانت عليه هُجْنة ، ثم كانوا أقبح العرب ألقاباً ، وألأمه أصهاراً ، نزّاع الأمم [2] ، وأنتم جيران الخطّ وفَعلَة فارس ، حتى أصابتكم دعوة النبي ﷺ ونكبتْك دعوته وأنت نزيع شطير [3] في عمــان . لم تسكن البحرين فتشركهم في دعوة النبي ﷺ ، فأنت شر قومك ، حتى اذا أبرزك الاسلام ، وخلطك بالناس ، وحملك على الأمم التي كانت عليك ، أقبلت تبغي دين الله عِوجاً ، وتنزع الى اللآمة [4] والذلة ، ولا يضع ذلك قريشاً [5] ، ولن

---

(١) دال الزمان دولة : انقلب من حال الى حال ، وأصابه الدهر بدولة أي غـير حاله الى أسوأ .

(٢) نزاع : جمع نازع ، والنازع والنزيع : الغريب . (أقرب الموارد) .

(٣) الشطير :الغريب.ط ٤ — ٣٢٠

(٤) اللآمة : من اللؤم .

(٥) لا يضع ذلك قريشاً : لا يخفض منزلتها .

يضرّهم ولن يمنعهم من تأدية ما عليهم ، إن الشيطان عنكم غير غافل ، قد عرفكم بالشر من بين أمتكم ، فأغرى بكم الناس ، وهو صارعكم[1]. لقد علم أنه لا يستطيع أن يرد بكم قضاء قضاه الله، ولا أمراً أراده الله ، ولا تدركون بالشر أمراً أبداً إلا فتح الله عليكم شراً منه وأخزى .

ثم قام وتركهم ، فتذامروا ، فتقاصرت إليهم أنفسهم ، فلما كان بعد ذلك أتاهم فقال : إني قد أذنت لكم فاذهبوا حيث شئتم ، لا والله لا ينفع الله بكم أحداً ولا يضرّه ، ولا أنتم برجال منفعة ولا مضرة ، ولكنكم رجال نكير . وبعد،فإن أردتم النجاة فالزموا جماعتكم، وليسعكم ما وسع الدهماء ،ولا يبطرنكم الإنعام ، فإن البَطَر لا يعتري الخيار ، إذهبوا حيث شئتم، فإني كاتب إلى أمير المؤمنين فيكم .

فلما خرجوا دعاهم فقال : إني معيد عليكم . إن رسول الله ﷺ كان معصوماً فولاني، وأدخلني في أمره،ثم استُخلف أبو بكر رضي الله عنه فولاني، ثم استخلف عمر فولاني ، ثم استُخلف عثمان فولاني ، فلم آلِ لأحد منهم ، ولم يولني إلا وهو راضٍ عني . وإنما طلب رسول الله ﷺ للأعمال أهل الجزاء عن المسلمين والغَناء ، ولم يطلب لها أهل الاجتهاد والجهل بها والضعف عنها . وإن الله ذو سطوات ونقمات [2] ، يمكر بمن مكر به ، فلا تعرضوا لأمر وأنتم تعلمون من أنفسكم غير ما تظهرون فإن الله غير تارككم حتى يختبركم ويبديَ للناس سرائركم ، وقد قال عز وجل: ﴿ ألم . أحَسِبَ الناسُ أن يُترَكوا أنْ يقولوا آمَنَّا وهم لا يُفتنون ﴾ [3] .

وكتب معاوية إلى عثمان : إنه قدم علي أقوام ليست لهم عقول ولا أديان ،

---

(١) في نسخة « صادعكم » .ط ٤ – ٣٢٠.

(٢) نقمات جمع نقمة على وزن كلمة:اسم من الانتقام وهي المكافأة بالعقوبة (أقرب الموارد).

(٣) سورة العنكبوت ، الآية : ١ – ٢ .

أثقلهم الإسلام ، وأضجرهم العدل ،لا يريدون الله بشيء ، ولا يتكلمون بحجة ، إنما همّهم الفتنة وأموال أهل الذمة ، والله مبتليهم ومختبرهم ،ثم فاضحهم ومخزيهم ، وليسوا بالذين ينكون[1] احداً إلا مع غيرهم ،فانـهَ سعيداً ومن قِبَله عنهم ،فإنهم ليسوا لأكثر من شغب أو نكير .

وخرج القوم من دمشق فقالوا : لا ترجعوا الى الكوفة ، فإنهم يشمّتون بكم وميلوا بنا الى الجزيرة ، ودعوا العراق والشام . فأوَوا إلى الجزيرة ، وسمع بهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد – وكان معاوية قد ولاه حمص ، وولى عامل الجزيرة حرّان والرقة – فدعا بهم ، فقال : يا آلة الشيطان ، لا مرحباً بكم ولا أهلاً ! قد رجع الشيطان محسوراً وأنتم بعد نِشاط ، خسّر الله عبد الرحمن إن لم يؤدبكم حتى يحسركم . يا معشر من لا أدري أعرب أم عجم ، لكي لا تقولوا لي ما يبلغني أنكم تقولون لمعاوية ، أنا ابن خالد بن الوليد، أنا ابن من قد عجمته العاجمات، أنا ابن فاقيء الردة ، والله لئن بلغني يا صعصعة ابن ذلّ أن أحداً ممن معي دق أنفك ثم أمصّك[2] لأطيرن بك طَيْرة بعيدة المهوى . فأقامهم أشهراً كلما ركب أمشاهم، فإذا مر به [أي صعصعة] قال : يابن الحطيئة[3] ، أعلمت أن من لم يصلحه الخير أصلحه الشر ! ما لك لا تقول كما كان يبلغني أنك تقول لسعيد ومعاوية ! فيقول ويقولون : نتوب الى الله ، أقلنا أقالك الله ! فما زالوا به حتى قال : تاب الله عليكم .

وسرّح الأشتر إلى عثمان ، وقال لهم : ما شئتم ، ان شئتم فاخرجوا ، وان شئتم فأقيموا . وخرج الأشتر ، فأتى عثمان بالتوبة والندم والنزوع عنه وعن أصحابه ، فقال : سلمكم الله . وقدم سعيد بن العاص ، فقال عثمان للأشتر :

---

(١) ينكون : من نكى العدو : قهره .
(٢) أمصك، أي قال له: مص هن (ذكر) أبيك .ط٤–٣٢١
(٣) في نسخة « الخطيئة » .

أحلل حيث شئت ، فقال : مع عبد الرحمن بن خالد ، وذكر من فضله ، فقال : ذاك اليكم ، فرجع الى عبد الرحمن .

[وفي رواية أخرى [1]] :

لما قدم مسيَّرة أهل الكوفة على معاوية ، أنزلهم داراً ، ثم خلا بهم ، فقال لهم وقالوا له ، فلما فرغوا ، قال : لم تُؤْتَوا إلا من الحمق ، والله ما أرى منطقاً سديداً ، ولا عذراً مبيناً ، ولا حلماً ولا قوة ، وإنك يا صعصعة لأحمقهم ، اصنعوا وقولوا ما شئتم ما لم تدعوا شيئاً من أمر الله ، فإن كل شيء يحتمل لكم إلا معصيته ، فأما فيما بيننا وبينكم فأنتم أمراء أنفسكم . فرآهم بعدُ وهم يشهدون الصلاة ، ويقفون مع قاصّ الجماعة ، فدخل عليهم يوماً وبعضهم يقرىء بعضاً ، فقال : إن في هـذا لخلفاً مما قدمتم به عليّ من النزاع الى أمر الجاهلية ، إذهبوا حيث شئتم ، واعلموا أنكم إن لزمتم جماعتكم سعدتم بذلك دونهم ، وإن لم تلزموها شقيتم بذلك دونهم ، ولم تضرُّوا أحداً ، فجزَوه خيراً ، وأثنوا عليه ، فقال : يا ابن الكوّاء ، أي رجل أنا : قال : بعيد الثرى ، كثير المرعى طيب البديهة ، بعيد الغور ، الغالب عليك الحلم ، ركن من أركان الاسلام ، سُدَّت بك فرجة مخوفة . قال : فأخبرني عن أهل الإحداث من أهل الأمصار فإنك أعقل أصحابك . قال : كاتبتهم وكاتبوني ، وأنكروني وعرفتهم ، فأما أهل الإحداث من أهل المدينة فهم أحرص الأمة على الشر ، وأعجزه عنه ، وأما أهل الاحداث من أهل الكوفة فإنهم أنظر النـاس في صغير ، وأركبه لكبير ، وأما أهل الاحداث من أهل البصرة فإنهم يَرِدون جميعاً ، ويصدُرون شتى ، وأما أهل الإحداث من أهل مصر فهم أوفى النـاس بشر ، وأسرعه ندامة ، وأمـا أهل الإحداث من أهل الشام فأطوع الناس لمرشدهم ، وأعصاه لمغويهم .

---

(1) عن أبي حارثة وأبي عثمان ، ط ٤ - ٣٢٨ و ٣٢٩ .

نفي المشاغبين من أهل البصرة الى الشام :

لما مضى [١] من إمارة ابن عامر [والي عثمان على البصرة] ثلاث سنين بلغه أن في عبد القيس رجلاً نازلاً على حُكَيم بن جَبَلة ، وكان حكيم بن جبلة رجلاً لصاً ، إذا قفل الجيوش خَنَس عنهم ، فسعى في أرض فارس ، فيُغير على أهل الذمة ، ويتنكرّ لهم ، ويفسد في الأرض ، ويصيب ما شاء ثم يرجع . فشكاه أهل الذمة وأهل القِبلة إلى عثمان ، فكتب إلى عبد الله بن عامر : أن أحبسه ، ومن كان مثله لا يخرجنّ من البصرة حتى تأنسوا منه رُشداً ، فحبسه فكان لا يستطيع أن يخرج منها . فلما قدم ابن السوداء [٢] نزل عليه ، واجتمع إليه نفر فطرَح لهم ابن السوداء ولم يصرح ، فقبلوا منه ، واستعظموه ، وأرسل اليه ابن عامر ، فسأله : ما أنت ؟ فأخبره أنه رجل من أهل الكتاب ، رغب في الإسلام ، ورغب في جوارك ، فقال : ما يبلغني ذلك ، اخرج عني ، فخرج حتى أتى الكوفة ،فأخرج منها،فاستقر بمصر وجعل يكاتبهم ويكاتبونه ، ويختلف الرجال بينهم .

[ثم] إن حُمران [٣] بن أبان تزوج امرأة في عدتها ، فنكل به عثمان ، وفرق بينهما ، وسيره إلى البصرة ، فلزم ابن عامر ، فتذاكروا يوماً الركوب والمرور بعامر بن عبد قيس – وكان منقبضاً عن الناس – فقال حُمران : ألا أسبقكم فأخبره ! فخرج ، فدخل عليه وهو يقرأ في المصحف ، فقال : الأمير أراد أن يمر بك ، فأحببت أن أخبرك ، فلم يقطع قراءته ولم يقبل عليه ، فقام

---

(١) عن عطية ، عن يزيد الفقعسي/ط ٤ – ٣٢٦ و ٣٢٧ .
(٢) هو عبد الله بن سبأ الذي سيرد ذكره ودوره مفصلا .
(٣) عن محمد وطلحة. ط ٤ – ٣٢٧.

من عنده خارجاً . فلما انتهى إلى الباب لقيه ابن عامر ، فقال : جئتك من عند امرىء لا يرى لآل إبراهيم عليه فضلاً ، واستأذن بن عامر ، فدخل عليه ، وجلس اليه ، فأطبق عامرٌ المصحف ، وحدثه ساعة ، فقال له ابن عامر : ألا تغشانا ؟ فقال سعد : ابن أبي العرجاء يحب الشرف ، فقال : ألا نستعملك ؟ فقال : حصين بن أبي الحرّ يحب العمل، فقال : ألا نزوجك ! فقال : ربيعة بن عِسلْ يعجبه النساء ، قال : إن هذا يزعم أنك لا ترى لآل إبراهيم عليك فضلاً ، فتصفّح المصحف ، فكان أول ما وقع عليه وافتتح منه : ﴿ إنّ الله اصطفى آدمَ وَنُوحاً وآلَ إبراهيم وآلَ عمران على العالمين ﴾ [1] ، فلما رُدّ حمران تتبع ذلك منه ، فسعى به ، وشهد له أقوام فسيّره إلى الشام، فلما علموا علمه ، أذنوا له ، فأبى ولزم الشام .

[وفي رواية اخرى [2]] :

أن عثمان سيّر حُمران بن أبان ، أن تزوج امرأة في عدتها ، وفرق بينهما وضربه، وسيّره الى البصرة . فلما أتى عليه ما شاء الله ، وأتاه عنه الذي يحب، أذن له . فقدم عليه المدينة ، وقدم معه قوم سعوا بعامر بن عبد قيس ، أنه لا يرى التزويج ، ولا يأكل اللحم ، ولا يشهد الجمعة — وكان مع عامر انقباض ، وكان عمله كله خفية — فكتب الى عبدالله بن عامر بذلك ، فألحقه بمعاوية . فلما قدم عليه وافقه وعنده ثريدة [3]، فأكل أكلاً غريباً، فعرف أن الرجل مكذوب عليه ، فقال : يا هذا ، هل تدري فيمَ أخرجت ؟ قال : لا ، قال : أُبلِغَ الخليفة أنك لا تأكل اللحم ، ورأيتك وعرفت أن قد كذُب عليك ، وأنك

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٣٣ .

(٢) عن محمد وطلحة أيضاً ، ط ٤ — ٣٢٧ .

(٣) الثريدة : كسر الخبز المغمور بالمرق .

لا ترى التزويج ، ولا تشهد الجمعة ؟ قال : أما الجمعة فإني أشهدها في مؤخر المسجد ثم أرجع في أوائل الناس . وأما التزويج فإني خرجت وأنا يخطب عليّ ، وأما اللحم فقد رأيتَ . ولكني كنت امرأ لا آكل ذبائح القصابين منذ رأيت قصاباً يجرّ شاة الى مذبحها، ثم وضع السكين على مذبحها ، فما زال يقول: النّفاق النّفاق، حتى وجبت (١) . قال : فارجع ، قال : لا أرجع الى بلد استحلّ أهله مني ما استحلّوا ، ولكني أقيم بهذا البلد الذي اختاره الله لي . وكان يكون في السواحل ، وكان يلقى معاوية ، فيُكثر معاوية أن يقول : حاجتك ؟ فيقول : لا حاجة لي ، فلما أكثر عليه ، قال : ترد عليّ من حرّ البصرة لعل الصوم أن يشتد عليّ شيئاً ، فإنه يخف عليّ في بلادكم .

اجتماع الثوار على عثمان :

لما رجع معاوية المسيَّرين (٢) ، قالوا : إن العراق والشآم ليسا لنا بدار ، فعليكم بالجزيرة . فأتوها اختياراً . فغدا عليهم عبد الرحمن بن خالد ، فسامهم الشدة ، فضرعوا له وتابعوه . وسرّح الأشتر الى عثمان، فدعا به، وقال : إذهب حيث شئت ، فقال : ارجع الى عبد الرحمن، فرجع . ووفد سعيد بن العاص الى عثمان في سنة إحدى عشرة من إمارة عثمان . وقبل مخرج سعيد بن العاص من الكوفة بسنة وبعض اخرى ، بعث الأشعث بن قيس على أذربيجان ، وسعيد بن قيس على الري ، وكان سعيد بن قيس على همذان ، فعُزل وجعل عليها النُّسير العجلي ، وعلى أصبهان السايب بن الأقرع ، وعلى ماه مالك بن حبيب اليربوعي،

(١) حتى وجبت : حتى تم بيعها .
(٢) عن المستنير بن يزيد ، عن قيس بن يزيد النخعي ، ط ٤ - ٣٣٠ .

وعلى الموصل حكيم بن سلامة الحِزامي ، وجرير بن عبد الله على قرقيسياء ، وسلمان بن ربيعة على الباب ، وعلى الحرب القعقاع بن عمرو ، وعلى حلوان عتيبة ابن النهّاس ، وخلت الكوفة من الرؤساء إلا منزوعاً أو مفتوناً . فخرج يزيد بن قيس وهو يريد خلع عثمان ، فدخل المسجد ، فجلس فيه ، وثاب اليه الذين كان فيهم ابن السوداء يكاتبهم ، فانقضّ عليه القعقاع ، فأخذ يزيدَ بن قيس ، فقال : إنما نستعفي من سعيد ، قال : هذا ما لا يعرض لكم فيه ، لا تجلس لهذا ولا يجتمعُنّ اليك ، واطلب حاجتك ، فلعمري لتُعْطِيَنّها. فرجع الى بيته واستأجر رجلاً ، وأعطاه دراهم وبغلاً على أن يأتي المسيَّرين . وكتب اليهم : لا تضعوا كتابي من أيديكم حتى تجيئوا ، فإن أهل المصر قد جامعونا[1] . فانطلق الرجل فأتى عليهم وقد رجع الأشتر ، فدفع اليهم الكتاب ، فقالوا : ما اسمك ؟ قال : بُغثُر ، قالوا : ممن ؟ قال : من كلب ، قالوا : سبع ذليل يبغثِر النفوس ، لا حاجة لنا بك . وخالفهم الأشتر ، ورجع عاصياً ، فلما خرج قال أصحابه : أخرَجنا أخرجه الله ، لا نجد بداً مما صنع ، إن علم بنا عبد الرحمن لم يصدقنا ولم يستقلها ، فاتبعوه فلم يلحقوه ، وبلغ عبد الرحمن أنهم قد رحلوا فطلبهم في السواد ، فسار الأشتر سبعاً والقوم عشراً ، فلم يفجإ الناس في يوم جمعة إلا والأشتر على باب المسجد يقول: أيها الناس، إني قد جئتكم من عند أمير المؤمنين عثمان ، وتركت سعيداً يريده على نقصان نسائكم الى مائة درهم . ورد أهل البلاء منكم الى ألفين ، ويقول : ما بال أشراف النساء ، وهذه العلاوة بين هذين العِدلين ! ويزعم أن فيئكم بستان قريش ، وقد سايرته مرحلة ، فما زال يرجز بذلك حتى فارقته ، يقول :

ويلٌ لأشرافِ النساء مني صَمَحْمحٌ[2] كأنني من جنّ

---

(١) جامعونا : اجتمعوا معنا ووافقونا .

(٢) الصمحمح : الرجل الشديد المجتمع الألواح .

فاستخفّ الناسَ ، وجعل أهل الحجى ينهونه فلا يسمع منهم ، وكانت نفجة [١] ، فخرج يزيد ، وأمر منادياً ينادي : من شاء أن يلحق بيزيد بن قيس لرد سعيد وطلب أمير غيره فليفعل ، وبقي حلماء الناس وأشرا ُفهم ووجوههم في المسجد ، وذهب من سواهم ، وعمرو بن حريث يومئذ الخليفة ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : اذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ، بعد أن كنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، فلا تعودوا في شر قد استنقذكم الله عز وجل منه . أبَعْد الإسلام وَهدْيه وسنته لا تعرفون حقاً ، ولا تصيبون بابه ! فقال القعقاع بن عمرو : أترد السيل عن ُعبابه [٢]؟فاردد الفرات عن أدراجه ،هيهات !لا والله لا تسكّن الغوغاءَ إلا المشرَفيّة [٣] ، ويوشك أن ُتنتَضى، ثم يَعجِّون عجيج العِتدان [٤]، ويتمنون ما هم فيه فلا يرده الله عليهم أبداً. فاصبر، فقال: أصبر، وتحول إلى منزله. وخرج يزيد بن قيس حتى نزل الجرَعَة، ومعه الأشتر، وقد كان سعيد تلبّث في الطريق فطلع عليهم سعيد وهم مقيمون له معسكرون ، فقالوا : لا حاجة لنـا بك . فقال : فما اختلفتم الآن ، إنما كان يكفيكم أن تبعثوا إلى أمير المؤمنين رجلاً وتضعوا إلي رجلاً . وهل يخرج الألف لهم عقولٌ إلى رجل ؟ ثم انصرف عنهم ، وتحسّوا بمولىً له على بعير قد ُحسر ، فقال : والله ما كان ينبغي لسعيد أن يرجع . فضرب الأشترُ عنقه . ومضى سعيد حتى قدم على عثمان ، فأخبره الخبر، فقال : ما يريدون ؟ أخلعوا يداً من طاعة ؟ قال : أظهروا أنهم يريدون البدل.

---

(١) أي ضجة . ط ٤ – ٣٣١ .

(٢) أي عن ارتفاعه وكثرته .

(٣) المشرفية : ضرب من السيوف ينسب إلى مشارف ، وهي قرى قرب حوران في جنوبي سوريا .

(٤) العتود : الجدي إذا بلغ الحول وجمعه عتدان .

قال : فمن يريدون ؟ قال : أبا موسى ، قال : أثبتنا أبا موسى عليهم ، ووالله لا نجعل لأحد عذراً ، ولا نترك لهم حجة ، ولنصبرن كما أُمِرنا حتى نبلغ ما يريدون. ورجع من قرب عمله من الكوفة ، ورجع جرير من قَرْقيسياء وعتيبة من حلوان . وقام أبو موسى فتكلم بالكوفة فقال : أيها الناس ، لا تنفروا في مثل هذا ، ولا تعودوا لمثله ، إلزموا جماعتكم والطاعة ، وإياكم والعجلة ، اصبروا ، فكأنكم بأمير . قالوا: فصلّ بنا ، قال : لا ، إلا على السمع والطاعة لعثمان بن عفان ، قالوا : على السمع والطاعة لعثمان .

[قال عبدالله بن عُمير الأشجَعي][1]: قام من المسجد في الفتنة فقال: أيها الناس، اسكتوا، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من خرج وعلى الناس امام — والله ما قال : عادل — ليشق عصاهم ، ويفرق جماعتهم ، فاقتلوه كائناً من كان » .

[وفي رواية أخرى][2] .

لما استغوى يزيد بن قيس الناس على سعيد بن العاص، خرج منه ذِكرٌ لعثمان ، فأقبل إليه القعقاع بن عمرو حتى أخذه ، فقال : ما تريد ؟ ألكَ علينا في أن نستعفي سبيل ؟ قال : لا ، فهل إلا ذلك ؟ قال : لا ، قال : فاستعف . واستجلب يزيد أصحابه من حيث كانوا ، فردوا سعيداً وطلبوا أبا موسى ، فكتب إليهم عثمان :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فقد أمَّرت عليكم من اخترتم ، وأعفيتكم من سعيد ، والله لأفرُشنّكم عرضي ، ولأبذلن لكم صبري

---

(١) عن يحيى بن مسلم ، عن واقد بن عبد الله ، عن عبد الله بن عمير الأشجعي ، ط ٤ — ٣٣٦ .

(٢) عن محمد وطلحة ، واستغوى القوم : دعاهم إلى الفتنة .

ولأستصلحنكم بجهدي،فلا تدعوا شيئاً أحببتموه لا يُعصي الله فيه إلا سألتموه، ولا شيئاً كرهتموه لا يُعصى الله فيه إلا استعفيتم منه ، أُنْزِل فيه عندما أحببتم حتى لا يكون لكم علي حجة .

وكتب بمثل ذلك في الأمصار ، فقدمت إمارة أبي موسى وغزو حذيفة ، وتأمّر أبو موسى ، ورجع العمال إلى أعمالهم ، ومضى حذيفة إلى الباب .

دعوة عبد الله بن سبأ :

كان عبد الله بن سبأ يهودياً [1] من أهل صنعاء ، أمه سوداء ، فأسلم زمان عثمان ، ثم تنقل في بلدان المسلمين ، يحاول ضلالتهم ، فبدأ بالحجاز ، ثم البصرة ثم الكوفة ، ثم الشام ، فلم يقدر على ما يريد عن أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصر ، فاعتمر فيهم ، فقال لهم فيما يقول : لعَجَبٌ ممن يزعم أن عيسى يرجع ، ويكذب بأن محمداً يرجع ، وقد قال الله عز وجل : ﴿ إنَّ الذي فرضَ عليكَ القرآنَ لرادُّك إلى معاد ﴾[2]فمحمدٌ أحق بالرجوع من عيسى. قال: فقبل ذلك عنه ، ووضع لهم الرجعة ، فتكلموا فيها . ثم قال لهم بعد ذلك : إنه كان ألف نبي ، ولكل نبي وصيّ ، وكان علي وصيَّ محمد ، ثم قال : محمد خاتم الأنبياء ، وعلي خاتم الأوصياء ،ثم قال بعد ذلك: من أظلم ممن لم يُجز وصية رسول الله ﷺ ووثب على وصي رسول الله ﷺ وتناول أمر الأمة ! ثم قال لهم بعد ذلك : إن عثمان أخذها بغير حق ، وهذا وصي رسول الله ﷺ ، فانهضوا في هذا الأمر فحركوه ، وابدؤوا بالطعن على أمرائكم ، واظهروا

---

(١) عن عطية ، عن يزيد الفقعسي ط ٤ - ٣٤٠

(٢) سورة القصص ، الآية : ٨٥

الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، تستميلوا النـــاس ، وادعوهم إلى هذا الأمر .

فبثّ دعاته [1] ، وكاتب من كان استفسد من الأمصار وكاتبوه ، ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم ، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار كتباً يضعونهـا في عيوب ولاتهم ، ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك ، ويكتب أهل كل مصرٍ منهم إلى مصرٍ آخرَ بما يصنعون ، فيقرؤه أولئك في أمصارهم ، وهؤلاء في أمصارهم . حتى تناولوا بذلك المدينة ، وأوسعوا الأرض إذاعة ، وهم يريدون غيرَ ما يُظهرون ، ويسرون غير ما يُبدون ، فيقول أهل كل مصر : إنا لفي عافية مما ابتـُلي به هؤلاء ، إلا أهل المدينة فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار ، فقالوا : إنا لفي عافية مما فيه الناس ، وجامعه محمد وطلحة من هذا المكان [2] ، قالوا : فأتوا عثمان ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، أيأتيك عن الناس الذي يأتينا ؟ قال : لا والله ، مـــا جاءني إلا السلامة ، قالوا : فإنا قد أتانا ... وأخبروه بالذي أسقطوا إليهم ، قال : فأنتم شركائي وشهود المؤمنين ، فأشيروا عليّ ، قالوا : نشير عليك أن تبعث رجالاً ممن تثق بهم إلى الأمصار ، حتى يرجعوا إليك بأخبارهم . فدعا محمد بن مسلمة فأرسله إلى الكوفة ، وأرسل أسامة بن زيد إلى البصرة ، وأرسل عمار بن ياسر إلى مصر ، وأرسل عبد الله بن عمر إلى الشام ، وفرّق رجالاً سواهم ، فرجعوا جميعاً قبل عمار ، فقالوا : أيهـا الناس ، ما أنكرنا شيئاً ، ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامُّهم ، وقالوا جميعاً :

---

(١) ط ٤ - ٣٤١ .

(٢) أي اشترك مع الراوي في الرواية محمد وطلحة اعتباراً من هـــذه النقطة . ويستنتج من هذا الكلام ، أن عبد الله بن سبأ لم يكن إلا أحد أفراد جماعة سرية مؤلفة من اليهود وغيرهم ، كانت تعمل جـاهدة ، وفق مخطط مدروس لتحطيم الوحدة الإسلامية والقضاء على دولة المسلمين من داخلها بعد ما عجزت تلك القوى عن مجابهة المسلمين في ميادين القتال .

الأمر أمر المسلمين، إلا أن أمراءهم يُقسِطون بينهم، ويقومون[1] عليهم. واستبطأ الناس عماراً حتى ظنوا أنه قد اغتيل، فلم يفجأهم إلا كتابٌ من عبد الله بن سعد بن أبي سرح يخبرهم أن عماراً قد استماله قوم بمصر، وقد انقطعوا إليه، منهم عبد الله بن السوداء، وخالد بن مُلجم، وسودان بن حُمران، وكنانة ابن بشر.

مشاورات عثمان مع ولاته :

كتب عثمان [2] إلى أهل الأمصار : أما بعد، فإني آخذ العمال بموافاتي في كل موسم، وقد سلطت الأمة منذ وليت على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا يرفع عليّ شيء ولا على أحد من عمالي إلا أعطيته، وليس لي ولعيالي حق قِبَل الرعية إلا متروك لهم، وقد رفع إليّ أهل المدينة أن أقواماً يُشتَمون، وآخرون يُضرَبون، فيامن ضُربَ سراً، وشتم سراً، من ادعى شيئاً من ذلك فليواف الموسم، فليأخذ بحقه حيث كان، مني أو من عمالي، أو تصدقوا فإن الله يجزي المتصدقين.

فلما قرىء في الأمصار، أبكى الناس، ودعوا لعثمان وقالوا : إنّ الأمة لتمخّض بشرّ، وبعث إلى عمال الأمصار فقدموا عليه : عبد الله بن عامر، ومعاوية، وعبد الله بن سعد، وأدخل معهم في المشورة سعيداً وعمراً، فقال : ويحكم ! ما هذه الشكاية ؟ وما هذه الاذاعة ؟ إني والله لخائف أن تكونوا مصدوقاً عليكم، وما يُعصَب [3] هذا إلا بي، فقالوا له : ألم تبعث ! ألم نرجع إليك الخبر

---

(١) في نسخة يقيمون.

(٢) عن محمد وطلحة وعطية، ط ٤ - ٣٤٢.

(٣) يعصب بي : أي يناط بي.

عن القوم[1] ! ألم يرجعوا ولم يشافههم أحد بشيء ؟ لا والله ما صدقوا ولا برّوا ، ولا نعلم لهذا الأمر أصلاً ، وما كنت لتاخذ به أحداً فيقيمك على شيء ، وما هي إلا إذاعة لا يحل الأخذ بها ، ولا الانتهاء إليها . قال : فأشيروا علي ،فقال: سعيد بن العاص : هذا أمر مصنوع يُصنع في السر ، فيُلقى به غير ذي المعرفة فيخبَر به ، فيتحدَّث به في مجالسهم ، قال : فما دواء ذلك ؟ قال : طلب هؤلاء القوم ، ثم قتل هؤلاء الذين يخرج هذا من عندهم .

وقال عبد الله بن سعد : خذ من الناس الذي عليهم إذا أعطيتهم الذي لهم ، فإنه خير من أن تدعهم .

قال معاوية : قد ولّيتني فوليت قوماً لا يأتيك عنهم إلا الخير ، والرجلان أعلم بناحيتيهما ، قال : فما الرأي ؟ قال : حسنُ الأدب ، قال : فما ترى يا عمرو ؟ قال : أرى أنك قد لنت لهم ، وتراخيت عنهم ، وزدتهم على ما كان يصنع عمر ، فأرى أن تلزم طريقة صاحبيك فتشتد في موضع الشدة ، وتلينَ في موضع اللين . إن الشدة تنبغي لمن لا يألو الناس شراً ، واللين لمن يخلف الناس بالنصح ، وقد فرشتهما جميعاً اللين .

وقام عثمان فحمد الله وأثنى عليه وقال : كل ما أشرتم به علي قد سمعتُ ، ولكل أمرٍ بابٌ يؤتى منه ، إن هذا الأمر الذي يخاف على هذه الأمة كائن ، وإن بابه الذي يُغلق عليه فيُكفكَف به اللين والمؤاتاة والمتابعة ، إلا في حدود الله تعالى ذكره ، التي لا يستطيع أحد أن يباديَ بعيب أحدها ، فإن سدّه شيء فرفق ، فذاك والله ليُفتَحنّ ، وليست لأحد عليّ حجة حق ، وقد علم الله أني لم آلُ الناس خيراً ، ولا نفسي . ووالله إن رحا الفتنة لدائرة ، فطوبى لعثمان

---

(١) في ابن الأثير « العوام » .

إن مات ولم يحرّكها . كفكفوا الناس . وهبوا لهم حقوقهم ، واغتفروا لهم ، وإذا تعوطيت حقوق الله فلا تدهنوا فيها .

فلما نفر عثمان أشخص معاوية وعبد الله بن سعد الى المدينة، ورجع ابن عامر وسعيد معه ، ولما استقلّ عثمان رَجَزَ الحادي :

قد عَلِمتْ ضَوامِرُ المَطِيّ   وضامراتُ عَوَجِ القِسِيّ
أنّ الأميرَ بعدَه عليُّ   وفي الزبير خلفٌ رضيُّ
وطلحةُ الحامي لها وليُّ

فقال كعب وهو يسير خلف عثمان: الأميرُ والله بعده صاحب البغلة — وأشار الى معاوية .

• • •

ما زال معاوية يطمع فيها [1] بعد مقدمه على عثمان حين جمعهم ، فاجتمعوا اليه بالموسم ، ثم ارتحل ، فحدا به الراجز :

إنّ الأمير بعدَه عليُّ   وفي الزبير خلفٌ رضيُّ

قال كعب: كذبت! صاحب الشهباء بعده — يعني معاوية — فأخبر معاوية، فسأله عن الذي بلغه ، قال : نعم ، أنت الأمير بعده ، ولكنها والله لا تصل اليك حتى تكذّب بحديثي هذا . فوقعت في نفس معاوية .

[وشاركهم في هذا المكان أبو حارثة وأبو عثمان، عن رجاء بن حَيْوة وغيره قالوا] : فلما وردَ عثمان المدينة ردّ الأمراء الى أعمالهم ، فمضوا جميعاً ، وأقام

---

(١) عن بدر بن الخليل بن عثمان بنقطبة الأسدي، عن رجل من بني أسد ، ط ٤ — ٣٤٣ .

سعيد بعدهم ، فلما ودع معاوية عثمان خرج من عنده وعليه ثياب السفر متقلداً سيفه ، متنكباً قوسه ، فإذا هو بنفر من المهاجرين ، فيهم طلحة والزبير وعلي ، فقام عليهم ، فتوكأ على قوسه بعدما سلم عليهم ، ثم قال : إنكم قد علمتم أن هذا الأمر كان إذ الناس يتغالبون الى رجال ، فلم يكن منكم أحد إلا وفي فصيلته من يُرئِسُه ، ويستبد عليه ، ويقطع الأمر دونه ، ولا يُشهده ، ولا يؤامِرُه ، حتى بعث الله جلّ وعزّ نبيه ﷺ وأكرم بـه من اتبعه ، فكانوا يُرئِسون من جاء من بعده ، وأمرهم شورى بينهم ، يتفاضلون بالسابقة والقُدْمة والاجتهاد ، فإن أخذوا بذلك وقاموا عليه كان الأمر أمرهم ، والناس تبَعٌ لهم ، وإن أصغَوا الى الدنيا وطلبوها بالتغالب سُلبوا ذلك ، ورده الله الى من كان يرئسُهم . وإلا فليحذروا الغِيَرَ ، فإن الله على البدل قادر ، وله المشيئة في ملكه وأمره . إني قد خلفت فيكم شيخاً فاستوصوا به خيراً ، وكانِفوُه تكونوا أسعد منه بذلك. ثم ودّعهم ومضى ، فقال علي : ما كنت أرى أن في هذا خيراً ، فقال الزبير : لا والله ، ما كان قط أعظم في صدرك وصدورنا منه الغداة .

وكان معاوية (١) قد قال لعثمان غداة ودّعه وخرج : يا أمير المؤمنين ، انطلق معي الى الشأم قبل أن يهجم عليك من لا قِبَل لك به ، فإن أهل الشام على الأمر لم يزالوا . فقـال : أنا لا أبيع جوار رسول الله ﷺ بشيء ، وإن كان فيه قطع خَيْطِ عنقي . قال : فأبعث اليك جنداً منهم يقيم بين ظهراني أهـل المدينة ، لنائبة إن نابت المدينـة أو إياك . قال : أنا أقتّر على جيران رسول الله ﷺ الأرزاق بجندٍ تساكنهم ، وأضيّقُ على أهل دار الهجرة والنصرة ! قـال : والله يا أمير المؤمنين ، لتُغتالنّ أو لتُغزَيَنّ ، قال : حسبيَ الله ونعم الوكيل . وقال معاوية : يا أيسار الجزور ! وأين أيسار الجزور ! ثم خرج حتى وقف على النفر ، ثم مضى .

---

(١) الحديث هنا لسيف عن شيوخه. ط ٤ - ٣٤٥ .

المواجهة الاولى سنة ٣٤ هـ[١] :

وقــد كان أهل مصر كاتبوا أشياعهم من أهل الكوفة وأهل البصرة وجميع من أجابهم أن يثوروا خلاف أمرائهم. واتـّعدوا[٢] يوماً حيث شخص أمراؤهم، فلم يستقم ذلك لأحد منهم ، ولم ينهض إلا أهــل الكوفة ، فإن يزيد بن قيس الأرحَبي ثار فيها . واجتمع اليه أصحابه ، وعلى الحرب يومئذ القعقاع بن عمرو ، فأتاه ، فأحاط الناس بهم ، وناشدوهم، فقال يزيد للقعقاع : ما سبيلك عليّ وعلى هؤلاء ! فوالله إني لسامع مطيع ، وإني للازم لجمــاعتي إلا أني أستعفي ومن ترى من إمارة سعيد ، فقال : استعفى الخاصة من أمر قــد رضيته العامة ؟ قال: فذاك الى أمير المؤمنين . فتركهم والاستعفاء ، ولم يستطيعوا أن يظهروا غــير ذلك ، فاستقبلوا سعيداً ، فردُّوه من الجرَعَة ، واجتمع الناس على أبي موسى ، وأقرّه عثمان رضي الله تعــالى عنه . ولما رجع الأمراء لم يكن للسبئية سبيل الى الخروج الى الأمصار ، وكاتبوا أشياعهم من أهل الأمصار أن يتوافوا بالمدينـة لينظروا فيما يريدون ، وأظهروا أنهم يأمرون بالمعروف ، ويسألون عثمان عن أشياء لتطير في الناس، ولتُحقق عليه ، فتوافوا بالمدينة، وأرسل عثمان رجلين: مخزومياً وزُهرياً ، فقال : انظرا ما يريدون ، واعلما علمهم — وكانا ممن قد ناله من عثمان أدب ، فاصطبرا للحق ، ولم يضطغنا — فلمــا رأوهما باثّوهما وأخبروهما بما يريدون ، فقالا : من معكم على هــذا من أهل المدينة ؟ قالوا : ثلاثة نفر ، فقالا : هل إلا ؟ قالوا : لا ! قالا : فكيف تريدون أن تصنعوا ؟ قــالوا : نريد أن نذكر له أشياء قــد زرعناها في قلوب الناس ، ثم نرجع اليهم فنزعم لهم أنـّا قررناه بها . فلم يخرج منها ولم يتب ، ثم نخرج كأنـّا حجاج حتى نقدم فنحيط به فنخلعه ، فإن أبى قتلناه . وكانت إياها ، فرجعــا الى عثمان بالخبر ، فضحك وقال : اللهم سلـّم هؤلاء ، فإنك إن لم تسلـّمهم شقوا .

---

(١) ط ٤ - ٣٤٥ .

(٢) اتعدوا : تواعدوا .

أمـا عمار فحمل على عباس بن عتبة بن أبي لهب وعركه . وأما محمـد بن أبي بكر فإنه أعجب حتى رأى أن الحقوق لا تلزمه، وأما ابن سهلة فإنه يتعرض للبلاء . فأرسل الى الكوفيين والبصريين ، ونادى : الصلاة جامعة ! وهم عنـده في أصل المنـبر ، فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى أحاطوا بهم ، فحمد الله وأثنى عليه، وأخبرهم خبر القوم[1] ، وقام الرجلان ، فقالوا جميعاً[2] : اقتلهم، فإن رسول الله ﷺ قال : « من دعا الى نفسه أو الى أحد ، وعلى الناس إمام ، فعليه لعنة الله ، فاقتلوه » . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لا أحلّ لكم إلا ما قتلتموه وأنا شريككم . فقـال عثمان : بل نعفو ونقبل ونبصرهم بجهدنا ، ولا نُحـادّ أحداً حتى يركب حدّاً ، أو يبدي كفراً . إن هؤلاء ذكروا اموراً قد علموا منها مثل الذي علمتم ، إلا أنهم زعموا أنهم يذاكرونيها ليُوجبوها عليّ عند من لا يعلم .

وقـالوا : أتمّ الصلاة في السفر ، وكانت لا تُتَم ، ألا وإني قدمت بلداً فيه أهلي ، فأتممت لهذين الأمرين ، أوَ كذلك ؟ قالوا : اللهم نعم .

وقالوا : وحميت حمىً ، وإني والله ما حميتُ ، حُمِيَ قبلي ، والله مـا حموا شيئاً لأحد ما حموا إلا غلب عليه أهل المدينة . ثم لم يمنعوا من رِعْيـة أحداً ، واقتصروا لصدقات المسلمين يحمونها لئلا يكون بين من يليها وبين أحد تنازع ، ثم مـا منعوا ولا نحّوا منها أحداً إلا من ساق درهماً ، ومـا لي من بعير غير راحلتين ، وما لي ثاغية ولا راغية ، وإني قد وُلّيتُ ، وإني أكثر العرب بعيراً وشاءً ، فمـا لي اليوم شاة ولا بعير غـير بعيرين لحجّي ، أكذلك ؟ قالوا : اللهم نعم .

---

(١) أي خبر المنشقين .

(٢) أي جميع الصحابة . واقتلهم : المقصود بالقتل الثوار .

وقـالوا : كان القرآن كتباً ، فتركتها إلا واحداً . ألا وإن القرآن واحد ، جاء من عنـد واحد ، وإنمـا أنا في ذلك تابع لهؤلاء ، أكذلك ؟ قالوا : نعم ، وسألوه أن يقيلهم [1] .

وقالوا : إني رددت الحَكَم ، وقـد سيَّره رسول الله ﷺ والحَكَم مكيٌّ، سيَّره رسول الله ﷺ من مكة الى الطائف ، ثم ردَّه رسول الله ﷺ ، فرسول الله ﷺ سيَّره ، ورسول الله ﷺ ردَّه ، أكذلك ؟ قالوا : اللهم نعم .

وقالوا : استعملتَ الأحداث . ولم أستعمل إلا مجتمِعاً محتمِلاً مرضياً ، وهؤلاء أهل عملهم، فسلوهم عنه ، وهؤلاء أهل بلده ، ولقد وَلَّى مَن قبلي أحدثَ منهم ، وقيل في ذلك لرسول الله ﷺ أشد ممـا قيل لي في استعماله أسامة ، أكذلك ؟ قالوا : اللهم نعم ، يعيبون للناس ما لا يفسرون .

وقالوا : إني أعطيت ابن أبي سرح ما أفاء الله عليه ، وإني إنما نفلته خُمسَ ما أفاء الله عليه من الخمس ، فكان مائة الف، وقد أنفذ مثل ذلك أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، فزعم الجُند أنهم يكرهون ذلك ، فرددته عليهم وليس ذاك لهم ، أكذلك ؟ قالوا : نعم .

وقالوا : إني أحب أهل بيتي وأعطيهم ، فأما حبي فإنـه لم يمل معهم على جور ، بل أحمل الحقوق عليهم ، وأما إعطاؤهم فإني ما أعطيهم من مالي ، ولا أستحلُّ أموال المسلمين لنفسي ، ولا لأحد من النـاس ، ولقـد كنت أعطي العطية الكبيرة الرغيبة من صلب مالي أزمان رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وأنا يومئذ شحيح حريص . أفحين أتيت على أسنان أهل بيتي، وفني عُمري ، وودعت الذي لي في أهلي ، قـال الملحدون ما قالوا ! وإني والله ما حملت على مصر من الأمصار فضلاً فيجوز ذلك لمن قاله ، ولقد رددته عليهم ، وما قـدم علي إلا الأخماس ، ولا يحل لي منها شيء ، فولي المسلمون وضعها في

---

(١) في نسخة أن يقتلهم ، ط ٤ - ٣٤٨ .

أهلها دوني ، ولا يُتلَفُ من مال الله بفلس فما فوقه ، وما أتبلغ منه ، ما آكل إلا مالي .

وقالوا: أعطيت الأرض رجالاً، وإن هذه الأرضين شاركهم فيها المهاجرون والأنصار أيام افتتحت ، فمن أقام بمكان من هـذه الفتوح فهو أسوة أهله ، ومن رجع الى أهله لم يُذهِب ذلك ما حوى الله له ، فنظرت في الذي يصيبهم مما أفاء الله عليهم فبعته لهم بأمرهم من رجال أهل عقـار ببلاد العرب فنقلت اليهم نصيبهم ، فهو في أيديهم دوني .

وكان عثمان قـد قسم ماله وأرضه في بني أمية ، وجعل ولده كبعض من يعطي ، فبدأ ببني أبي العاص ، فأعطى آل الحكم رجالهم عشرة آلاف عشرة آلاف ، فأخذوا مئة الف ، وأعطى بني عثمان مثل ذلك، وقسم في بني العاص وفي بني العيص وفي بني حرب .

ولانت حاشية عثمان لأولئك الطوائف ، وأبى المسلمون إلا قتلهم ، وأبى إلا تركهم ، فذهبوا ورجعوا الى بلادهم على أن يغزوه مع الحجاج كالحجاج ، فتكاتبوا وقالوا : موعدكم ضواحي المدينة في شوّال ، حتى إذا دخل شوال من سنة خمس وثلاثين ضربوا كالحجاج فنزلوا قرب المدينة .

خروج الثوار الى المدينة عام ٣٥ هـ :

[وهكذا] لما كان شوال (١) سنة خمس وثلاثين خرج أهل مصر في أربع رفاق على أربعة أمراء ، المقلّل يقول : ستمائة (٢) . والمكثر يقول : الف . على الرفاق عبد الرحمن بن عُدَيس البلويّ ، وكنانة بن بشر التجيبي (٣) ، وسودان

(١) عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان ، ط ٤ - ٣٤٨ .
(٢) أي عددهم ما بين ٦٠٠ - ١٠٠٠ .
(٣) في ب ٧ - ١٧٣ « الليثي » بدلاً من التجيبي .

ابن حُمران السَّكونيّ ، وقُتيرة بن فلان السكوني ، وعلى القوم جميعاً الغافقي ابن حرب العَكّيّ [1] ، ولم يجترئوا أن يعلموا النـاس بخروجهم الى الحرب ، وإنمـا خرجوا كالحجاج ، ومعهم ابن السوداء . وخرج أهل الكوفة في أربع رفاق ، وعلى الرفاق زيد بن صوحان العبدي ، والأشتر النخعي ، وزياد بن النضر الحارثي ، وعبد الله بن الأصم ، أحد بني عامر بن صعصعة [2] ، وعددهم كعدد أهل مصر ، وعليهم جميعاً عمرو بن الأصم . وخرج أهل البصرة في أربع رفاق ، وعلى الرفاق ، حكيم بن جبلة العبدي ، وذريح بن عباد العبدي ، وبُشر بن شريح الحُطم بن ضبيعة القيسي وابن المحرّش بن عبد بن عمرو الحنفي ، وعددهم كعدد أهل مصر ، وأميرهم جميعاً حُرقوص بن زهير السعدي ، سوى من تلاحق بهم من الناس . فأما أهل مصر فإنهم كانوا يشتهون علياً ، وأما أهل البصرة فإنهم كانوا يشتهون طلحة ، وأما أهل الكوفة فإنهم كانوا يشتهون الزبير .

فخرجوا وهم على الخروج جميع . وفي النـاس شتى ، لا تشك كل فرقة إلا أن الفـُلج [3] معها ، وأن أمرها سيتم دون الآخرين ، فخرجوا حتى إذا كانوا من المدينة على ثلاث ، تقدم ناس من أهل البصرة فنزلوا ذا خُشُب ، وناس من أهل الكوفـة فنزلوا الأعوص ، وجاءهم ناس من أهل مصر ، وتركوا عامتهم بذي المرْوة . ومشى فيما بين أهل مصر وأهل البصرة زياد بن النضر وعبد الله ابن الاصم ، وقالا : لا تعجلوا ولا تُعجلونا حتى ندخل لكم المدينة ونرتاد ، فإنه بلغنا أنهم قد عسكروا لنا ، فوالله إن كان أهل المدينة قـد خافونا واستحلوا

---

(١) اعتمدت في ذكر الاسماء رواية ابن كثير في البداية والنهاية ص ١٧٣ لأن الطبري قال أربع رفاق وذكر أربعة أشخاص زيادة ربما يكونون نواب القواد وهم:« عروة بن شيم الليثي ، أبو عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي ، سواد بن رومان الأصبحي ، زرع بن يشكر اليافعي».

(٢) ب ٧ – ١٧٣ (وعلى الجميع عمرو بن الأصم) .

(٣) الفلج : الظفر والفوز .

قتالنا ولم يعلموا علمنا فهم إذا علموا علمنا أشدّ ، وإن أمرنا هذا لباطل ، وإن لم يستحلوا قتالنا ووجدنا الذي بلغنا باطلا لنرجعن اليكم بالخبر .

قالوا : إذهبا ، فدخل الرجلان فلقيا أزواج النبي ﷺ وعلياً وطلحة والزبير ، وقالا : إنما نأتم هذا البيت ، ونستعفي هذا الوالي من بعض عمالنا ، ما جئنا إلا لذلك ، واستأذناهم للناس بالدخول ، فكلهم أبى ، ونهى ، وقال : بَيْض ما يفرِخنّ ، فرجعا إليهم ، فاجتمع من أهل مصر نفر فأتوا علياً ومن أهل البصرة نفر فأتوا طلحة ، ومن أهل الكوفة نفر فأتوا الزبير ، وقال كل فريق منهم : إن بايعوا صاحبنا وإلا كدناهم وفرقنا جماعتهم ، ثم كررنا حتى نبغتهم .

ما قاله علي وطلحة والزبير للثوار وتظاهرهم بالعودة :

فأتى المصريون علياً وهو في عسكر عند أحجار الزيت ، عليه حلة أفوافٍ [1] معتّم بشقيقة حمراء يمانية ، متقلد السيف ، ليس عليه قميص ، وقد سرّح ابنه الحسن إلى عثمان فيمن اجتمع إليه . فالحسن جالس عند عثمان ، وعلي عند أحجار الزيت ، فسلم عليه المصريون وعرضوا له ، فصاح بهم واطّردهم ، وقال : لقد علم الصالحون أن جيش ذي المَروة وذي خُشب [2] ملعونون على لسان محمد ﷺ ، فارجعوا لا صحبكم الله ! قالوا : نعم ، فانصرفوا من عنده على ذلك .

---

(١) الفوف : ضرب من برود اليمن ، وجمعها أفواف . والفوف أيضاً : القطن .
(٢) أضاف ابن الأثير « والأعوص » .

وأتى البصريون طلحة وهو في جماعة أخرى إلى جنب علي ، وقد أرسل إبنيه إلى عثمان ، فسلم البصريون عليه وعرضوا له ، فصاح بهم واطردهم ، وقال: لقد علم المؤمنون أن جيش ذي المروة وذي خُشب والأعوص ملعونون على لسان محمد ﷺ .

وأتى الكوفيون الزبير وهو في جماعة أخرى ، وقد سرح إبنه عبد الله إلى عثمان ، فسلموا عليه وعرّضوا له ، فصاح بهم واطردهم ، وقال : لقد علم المسلمون أن جيش ذي المَروة وذي خُشب والأعوص ملعونون على لسان محمد ﷺ فخرج القوم وأروهم أنهم يرجعون[1] ، فانفشوا عن ذي خُشب والأعوص حتى انتهوا إلى عساكرهم ، وهي ثلاث مراحل ، كي يفترق أهل المدينة ، ثم يكرُّوا راجعين ، فافترق أهل المدينة لخروجهم .

مباغتة المدينة :

فلما بلغ القوم عساكرهم كروا بهم ، فبغتوهم ، فلم يفجأ أهل المدينة إلا والتكبير[2] في نواحي المدينة ، فنزلوا في مواضع عساكرهم ، وأحاطوا بعثمان وقالوا : من كف يده فهو آمن .

وصلى عثمان بالناس أياماً ، ولزم الناس بيوتهم ، ولم يمنعوا أحداً من كلام ، فأتاهم الناس فكلموهم ، وفيهم علي ، فقال : ما ردكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم ؟ قالوا أخذنا مع [ال] بريد كتاباً بقتلنا ، وأتاهم طلحة فقال البصريون مثل ذلك ، وأتاهم الزبير فقال الكوفيون مثل ذلك ، وقال الكوفيون والبصريون : فنحن ننصر إخواننا ونمنعهم جميعاً ، كأنما كانوا على ميعاد .

---

(١) أي تظاهروا أمام علي وطلحة والزبير رضي الله عنهم بأنهم عائدون .
(٢) ط ٤ – ٣٥١ .

فقال لهم علي : كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقي أهل مصر ، وقد سرتم مراحل ، ثم طويتم نحونا ؟ هـذا والله أمر أُبرِم بالمدينة ! قالوا : فضعوه على ما شئتم ، لا حاجة لنا في هذا الرجل ، ليعتزلنا . وهو في ذلك يصلي بهم ، وهم يصلّون خلفه ، ويغشى من شاء عثمان وهم في عينه أدق من التراب . وكانوا لا يمنعون أحداً من الكلام ، وكانوا زمراً بالمدينة ، يمنعون الناس من الاجتماع .

كتابة عثمان الى الأمصار :

وكتب عثمان الى أهل الأمصار يستمدهم : بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد ، فإن الله عز وجل بعث محمداً بالحق بشيراً ونذيراً ، فبلّغ عن الله ما أمره به ، ثم مضى وقد قضى الذي عليه ، وخلّف فينا كتابه ، فيه حلاله وحرامه ، وبيان الامور التي قدر ، فأمضاها على ما أحبّ العباد وكرهوا ، فكان الخليفة أبو بكر رضي الله عنه ، وعمر رضي الله عنه ، ثم أُدخلتُ في الشورى عن غير علم ولا مسألة عن مَلأٍ من الأمة ، ثم أجمع أهل الشورى عن ملأٍ منهم ومن النـاس عليّ ، على غير طلب مني ولا محبـة ، فعملت فيهم ما يعرفون ولا ينكرون تابعاً غير مستتبع ، متبعاً غير مبتدع ، مقتدياً غير متكلف . فلمـا انتهت الامور ، وانتكث الشر بأهـله ، بَدَتْ ضغائن وأهواء على غير إجرام ولا ترة فيما مضى إلا إمضاء الكتاب ، فطلبوا أمراً وأعلنوا غيره بغير حجة ولا عذر ، فعابوا عليّ أشياء ممـا كانوا يرضون ، وأشياء عن ملأ من أهل المدينة لا يصلح غيرها ، فصبرت لهم نفسي وكففتها عنهم منـذ سنين (١) وأنا أرى وأسمع ، فازدادوا على الله عز وجل جرأة ، حتى أغاروا علينا في جوار رسول الله ﷺ وحرمه وأرض الهجرة ، وثابت اليهم الأعراب ، فهم كالأحزاب أيام

---

(١) في نسخة « منذ سنتين » .

الأحزاب ، أو من غزانا بأحُد ، إلا ما يُظهرون ، فمن قدر على اللحاق بنـــا فليلحق .

فأتى الكتابُ أهلَ الأمصار ، فخرجوا على الصعبة والذلول ، فبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهري ، وبعث عبد الله بن سعد معاوية بن حُديج السكوني ، وخرج من أهل الكوفة القعقاع بن عمرو .

وكان المحضّضين بالكوفة على إعانة أهل المدينة عقبة بن عمرو وعبد الله بن أبي أوفى ، وحنظلة بن الربيع التميمي ، في أمثـالهم من أصحاب النبي ﷺ ، وكان المحضضين بالكوفة من التـــابعين أصحاب عبد الله مسروق بن الأجدع ، والأسود بن يزيد ، وشريح بن الحارث ، وعبـد الله بن عكيم [1] ، في أمثالهم ، يسيرون فيها ، ويطوفون على مجالسها ، يقولون : يا أيها الناس، إن الكلام اليوم وليس به غداً ، وإن النظر يحسن اليوم ويقبح غداً ، وإن القتـــال يحلُّ اليوم ويحرم غداً ، إنهضوا الى خليفتكم وعصمة أمركم .

وقام بالبصرة عمران بن حصين وأنس بن مالك، وهشام بن عامر في أمثالهم من أصحاب النبي ﷺ ، يقولون مثل ذلك. ومن التابعين كعب بن سور وهرم ابن حيان العبدي ، وأشباه لهما يقولون ذلك . وقـام بالشأم عبادة بن الصامت وأبو الدرداء وأبو أمامة في أمثالهم من أصحاب النبي ﷺ ، يقولون مثل ذلك. ومن التابعين شريك بن خُباشة النميري ، وأبو مسلم الخولاني ، وعبد الرحمن بن غنم بمثل ذلك . وقام بمصر خارجة في أشباه له. وقد كان بعض المحضّضين قد شهد قدومهم ، فلما رأوا حالهم انصرفوا الى أمصارهم بذلك وقاموا فيهم .

ولما جاءت الجمعة التي على أثر نزول المصريين مسجد رسول الله ﷺ ، خرج

---

(١) ابن الأثير « حكيم » .

عثمان فصلّى بالناس ، ثم قـــام على المنبر فقال : يا هؤلاء العدَى ، الله الله ! فوالله ، إن أهل المدينة ليعلمون أنكم ملعونون على لسان محمـــد ﷺ ، فامحوا الخطايا بالصواب ، فإن الله عز وجل لا يمحو السيء إلا بالحسن .

فقام محمـــد بن مسلمة ، فقال : أنا أشهد بذلك ، فأخذه حكيم بن جبلة فأقعده ، فقـام زيد بن ثابت فقال : ابغني الكتاب [1] ، فثـار اليه من ناحية اخرى محمد بن أبي قتيرة فأقعده ، وقال فأفظع ، وثار القوم بأجمعهم ، فحصبوا النـاس حتى أخرجوهم من المسجد ، وحصبوا عثمان حتى صرع عن المنبر مغشياً عليه ، فاحتُمل فأدْخِل داره . وكان المصريون لا يطمعون في أحد من أهل المدينة أن يساعدهم إلا في ثلاثة نفر ، فإنهم كانوا يراسلونهم : محمد بن أبي بكر ، ومحمد بن أبي حذيفة ، وعمار بن ياسر . وشمّر أُناس من الناس فاستقتلوا ، منهم سعد بن مـالك ، وأبو هريرة ، وزيد بن ثابت ، والحسن بن علي ، فبعث اليهم عثمان بعزمه لما انصرفوا ، فانصرفوا . وأقبل علي عليه السلام حتى دخل على عثمان ، وأقبل طلحـة حتى دخل عليه ، وأقبل الزبير حتى دخل عليه ، يعودونه من صرعته ، ويشكون بثهم ، ثم رجعوا الى منازلهم .

وقد سأل أبو عمر الحسن[2] هل شهدت حَصْر عثمان ؟ قال : نعم ، وأنا يومئذ غلام في أتراب لي في المسجد ، فإذا كثر اللغط جثوت على ركبتي أو قمت ، فأقبل القوم حين أقبلوا حتى نزلوا المسجد وما حوله ، فاجتمع إليهم أناس من أهل المدينة ، يعظمون ما صنعوا . وأقبلوا على أهل المدينة يتوعدونهم ، فبينا هم كذلك في لغطهم حول الباب ، فطلع عثمان ، فكأنمـا كانت ناراً طفئت ، فعمد إلى المنبر ، فصعده ، فحمد الله وأثنى عليه ، فثار رجل ، فأقعده رجل ،

---

(١) أبغني الكتاب : أحضر لي الكتاب .

(٢) عن أبي عمرو ، عن الحسن «وقد وردت في النص عن لسان أبي عمر : قلت له هل...» ، ط ٤ - ٣٥٣ .

وقــام آخر فأقعده آخر ، ثم ثار القوم فحصبوا عثمان حتى صرع ، فاحتمل فأدخل ، فصلى بهم عشرين يوماً ، ثم منعوه من الصلاة .

[وفي رواية أخرى لسيف] [1] .

صلى عثمان بالناس بعدمــا نزلوا به في المسجد ثلاثين يوماً ، ثم أنهم منعوه الصلاة ، فصلى بالناس أميرهم الغافقي ، دان له المصريون والكوفيون والبصريون وتفرق أهل المدينة في حيطانهم ، ولزموا بيوتهم ، لا يخرج أحد ولا يجلس إلا وعليه سيفه يمتنع به من رَهَقَ القوم ، وكان الحصار أربعين يوماً ، وفيهن كان القتل ، ومن تعرض لهم وضعوا فيــه السلاح ، وكانوا قبل ذلك ثلاثين يوماً يكفون .

آخر خطبة لعثمان :

[وكانت] آخر خطبة [2] خطبها عثمان رضي الله عنه في جماعة : إن الله عز وجل إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ، ولم يعطكموها لتركنوا إليها ، إن الدنيا تفنى ، والآخرة تبقى ، فلا تبطرنكم الفــانية ، ولا تشغلنكم عن الباقية ، فآثروا ما يبقى على ما يفنى ، فإن الدنيا منقطعة ، وإن المصير إلى الله. اتقوا الله جلّ وعز . فإن تقواه جنة من بأسه ، ووسيلة عنده واحذروا من الله الغيرَ ، والزموا جماعتكم ، لا تصيروا أحزاباً ﴿ واذكرُوا نعمةَ اللهِ عليكم اذ كنتم أعداءً فألـّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمتهِ اخواناً ﴾ [3] .

---

(١) عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان ، ط ٤ - ٣٥٤ .
(٢) عن بدر بن عثمان ، عن عمه ، ط ٤ - ٣٨٤ .
(٣) آل عمران : ١٠٣ .

لمـــا قضى عثمان [١] في ذلك المجلس حاجاته وعزم ، وعزم له المسلمون على الصبر والامتناع عليهم بسلطان الله، قال: اخرجوا رحمكم الله فكونوا بالباب، وليجامعكم هؤلاء الذين حُبسوا عني . وأرسل الى طلحة والزبير وعلي وعدّة : أن ادنُوا . فاجتمعوا فأشرف عليهم ، فقال : يا أيها الناس ، اجلسوا ، فجلسوا جميعاً ، المحارب الطارىء ، والمسالم المقيم ، فقال : يا أهل المدينة ، إني استودعكم الله ، وأسأله أن يحسن عليكم الخلافـة من بعدي ، وإني والله لا أدخل على أحد بعد يومي هذا حتى يقضي الله فيّ قضاءه ، ولأدعَنّ هؤلاء ومـا وراء بابي غير معطيهم شيئاً يتخذونه عليكم دَخَلاً في دين الله أو دنيا حتى يكون الله عز وجل الصانع في ذلك ما أحب . وأمر أهل المدينة بالرجوع وأقسم عليهم ، فرجعوا إلا الحسن ومحمداً وابن الزبير وأشباهاً لهم [٢] ، فجلسوا بالباب عن أمر آبائهم، وثاب إليهم ناس كثير ولزم عثمان الدار .

الحصـار :

كان الحصر [٣] أربعين ليلة والنزول سبعين ، فلمـا مضت من الأربعين ثماني عشرة ، قدم ركبان من الوجوه فأخبروا خبر من قـد تهيأ إليهم من الآفاق : حبيب من الشام ، ومعـــاوية من مصر ، والقعقاع من الكوفة ، ومجاشع من البصرة ، فعندها حالوا بين الناس وبين عثمان ، ومنعوه كل شيء حتى الماء ،وقد كان يدخل علي بالشيء مما يريد . وطلبوا العلل فلم تطلع عليهم علة ، فعثروا في

---

(١) عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان . ط ٤ – ٣٨٥ .

(٢) كان الصحابة يهدفون من ذلك إظهار تأييدهم لعثمان . وبذلك يدرك المنحرفون الذين كان عامتهم ـ وليس مدبرو الفتنة منهم ـ يميلون إلى تولية أحد الصحابة بعده .

(٣) عن أبي حارثة وأبي عثمان ومحمد وطلحة ، ط ٤ ـ ٣٨٥ .

داره بالحجارة ليُرْمَوا ، فيقولوا : قوتلنا — وذلك ليلاً — فناداهم : ألا تتقون الله ! ألا تعلمون أن في الدار غيري ؟ قـــالوا : لا والله ما رميناك . قال : فمن رمانا ؟ قالوا : الله ، قال : كذبتم ، إن الله عز وجل لو رمـانا لم يخطئنا وأنتم تخطئوننا. وأشرف عثمان على آل حَزم وهم جيرانه ، فسرّح إبناً لعمرو إلى علي بأنهم قد منعونا الماء ، فإن قدرتم أن ترسلوا إلينـا شيئاً من الماء فافعلوا . وإلى طلحة وإلى الزبير ، وإلى عائشة رضي الله عنها وأزواج النبي ﷺ فكان أولهم إنجاداً له علي وأُم حبيبة ، جاء علي في الغلس ، فقال : يا أيها الناس ، إن الذي تصنعون لا يشبه أمر المؤمنين ولا أمر الكافرين ، لا تقطعوا عن هـــذا الرجل المادة، فإن الروم وفارس لتأسر فتطعم وتسقي، وما تعرّض لكم هذا الرجل، فيمَ تستحلون حصره وقتله ، قالوا : لا والله ولا نعمة عين ، لا نتركه يأكل ولا يشرب ، فرمى بعمامته في الدار بأني قد نهضت فيما أنهضتني ، فرجع . وجاءت أُم حبيبة على بغلة لهـــا برحالة [1] مشتملة على إداوة [2] ، فقيل : أُم المؤمنين أُم حبيبة ، فضربوا وجه بغلتها، فقالت : إن وصايا بني أُمية إلى هذا الرجل ، فأحببت أن ألقاه فأسأله عن ذلك كيلا تهلِك أموال أيتام وأرامل . فقـالوا : كاذبة ، وأهوْوا لها وقطعوا حبل البغلة بالسيف ، فندّت بأم حبيبة ، فتلقاها الناس ، وقد مالت رحالتها ، فتعلقوا بها وأخذوها وقد كادت تقتل ، فذهبوا بها إلى بيتها . وتجهزت عائشة خارجة إلى الحج هاربة ، واستتبعت أخاهـــا ، فأبى ، فقالت : أما والله لئن استطعت أن يحرمهم الله ما يحاولون لأفعلن .

وجاء حنظلة الكاتب حتى قام على محمد بن أبي بكر ، فقال يا محمد تستتبعك أُم المؤمنين فلا تتبعها ، وتدعوك ذؤبان العرب إلى ما لا يحل فتتبعهم !

---

(١) الرحالة : السرج من الجلد يتخذ للركض الشديد،ط ٤ – ٣٨٦.

(٢) الإدواة : وعاء من جلد يعتمل للماء .

فقال : ما أنت وذاك يا بن التميمية ! فقال : يا بن الخثعمية ، إن هذا الأمر إن صار إلى التغالب غلبتك عليه بنو عبد مناف ، وانصرف وهو يقول :

عجبتُ لما يخوض الناسُ فيه ... يرومون الخلافــة أن تزولا
ولو زالت لزال الخيرُ عنهم ... ولاقوا بعدهــا ذلاً ذليلا
وكانوا كاليهود أو النصارى ... سواء كلهم ضلوا السبيلا

ولحق بالكوفة . وخرجت عائشة وهي ممتلئة غيظاً على أهل مصر، وجاءها مروان بن الحكم فقال : يا أم المؤمنين ، لو أقمت كان أجدر ان يراقبوا هــذا الرجل ، فقالت : أتريد ان يصنع بي كا صنع بأم حبيبة ، ثم لا أجد من يمنعني ! لا والله ولا أعيَّر ولا أدري إلامَ يسلم أمر هؤلاء ! وبلغ طلحة والزبير ما لقي علي وأم حبيبة . فلزموا بيوتهم ، وبقي عثمان يسقيه آل حزم في الغفلات ، عليهم الرقباء ، فأشرف عثمان على الناس ، فقال : يا عبد الله بن عباس – فدعي له – فقال: اذهب فأنت على الموسم – وكان ممن لزم الباب – فقال: والله يا امير المؤمنين لجهــاد هؤلاء أحب إليّ من الحج ، فأقسم عليه لينطلقن . فانطلق ابن عباس على الموسم تلك السنة، ورمى عثمان الى الزبير بوصيته، فانصرف بها – وفي الزبير اختلاف: أأدرك مقتله أو خرج قبله – وقال عثمان : ﴿ يا قوم لا يجرمنـّكم شقائي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح ﴾[1] ، اللهم حُل بين الاحزاب وبين ما يأملون كما فُعِل بأشياعهم من قبل .

[و] بعثت[2] ليلى ابنة عميس الى محمد بن ابي بكر ومحمد بن جعفر، فقالت: إنّ

---

(١) سورة هود ، الآية : ٨٩ ، أصل الآية :« ويا قوم ... » .

(٢) عن عمرو بن محمد .

المصباح يأكل نفسه ، ويضيء للنـــاس ، فلا تأثما في امر تسوقانه الى من لا يأثم فيكما ، فإن هذا الأمر الذي تحاولون اليوم لغيركم غداً ، فاتقوا ان يكون عملكم اليوم حسرة عليكم. فلجّا وخرجا مغضبين يقولان : لا ننسى ما صنع بنا عثمان ، وتقول : ما صنع بكما ! ألا ألزمكما الله ؟ فلقيهما سعيد بن العاص ، وقد كان بين محمد بن ابي بكر وبينه شيء ، فأنكره حين لقيه خارجاً من عند ليلى ، فتمثل له في تلك الحال بيتاً :

استبق وُدَّك للصديق ولا تكن   فيئاً يَعَضُّ بخاذلٍ ملجاجا

فأجابه سعيد متمثلاً :

ترونَ إذاً ضرباً صميماً من الذي   له جانبٌ ناءٍ عن الجُرمِ مُعْوِرِ

فلما بويع الناس (١) جاء السابق فقدم بالسلامة ، فأخبرهم من الموسم (٢) أنهم يريدون جميعاً المصريين وأشياعهم ، وأنهم يريدون أن يجمعوا ذلك الى حجهم ، فلما أتاهم ذلك مع ما بلغهم من نفور اهل الأمصار ، أعلقهم الشيطان ، وقالوا : لا يخرجنا مما وقعنا فيه إلا قتل هذا الرجل ، فيشتغل بذلك النـــاس عنا ، ولم يبق خصلة يرجون بها النجاة إلا قتله . فراموا البـــاب ، فمنعهم من ذلك الحسن وابن الزبير ومحمد بن طلحة ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص ومن كان من أبناء الصحابة أقـام معهم ، واجتلدوا ، فناداهم عثمان : الله الله ! أنتم في حلٍ من نصرتي فأبوا ، ففتح الباب ، وخرج ومعه الترس والسيف لينهنهَهم ، فلما رأوه أدبر المصريون ، وركبهم هؤلاء ونهنهوهم ، فتراجعوا وعظم على الفريقين ، وأقسم

---

(١) عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان ، ط ٤ - ٣٨٧ .

(٢) أي من أمر أهل الموسم .

على الصحابة ليدخلن،فأبوا ان ينصرفوا ، فدخلوا فأغلق الباب دون المصريين، وقد كان المغيرة بن الأخنس بن شريق فيمن حج ، ثم تعجل في نفر حجوا معه ، فأدرك عثمان قبل ان يقتل وشهد المناوشة ، ودخل الدار فيمن دخل وجلس على الباب من داخل، وقال: ما عذرنا عند الله إن تركناك ونحن نستطيع ألا ندعهم حتى نموت ؟ فاتخذ عثمان تلك الأيام القرآن نحْباً[1] ، يصلي وعنده المصحف، فإذا أعيا جلس فقرأ فيه – وكانوا يرون القراءة في المصحف من العبادة – وكان القوم الذين كفكفهم بينه وبين البـــاب ، فلما بقي المصريون لا يمنعهم احد من الباب ولا يقدرون على الدخول جاؤوا بنار ، فأحرقوا الباب والسقيفة ، فتأجج الباب والسقيفة ، حتى اذا احترق الخشب خرّت السقيفة على الباب، فثار اهل الدار وعثمان يصلي ، حتى منعوهم الدخول ، وكان اول من برز لهم المغيرة بن الأخنس ، وهو يرتجز :

قـــد علمت جارية عُطبولُ ذاتُ وشاح ولهـــا جديل
أني بنصل السيف خنشليلُ لأمنعن منكم خليـــلي
بصارم ليس بذي فلول

وخرج الحسن بن علي وهو يقول :

لا دينهم ديني ولا أنا منهم حتى أسير الى طَمَار شَمـام

وخرج محمد بن طلحة وهو يقول :

أنا ابن من حامى عليه بأحُدْ وردّ أحزاباً على رغم مَعَدّ

---

(١) أي هماً وعبادة .

وخرج سعيد بن العاص وهو يقول :

صبرنا غداة الدار والموت واقبٌ   بأسيافنا دون ابن أروَى نضاربُ
وكنا غداة الروع في الدار نُصرةً   نشافههم بالضرب والموت ثاقبُ

فكان آخر من خرج عبد الله بن الزبير ، وأمره عثمان أن يصير الى أبيه في وصية بما أراد ، وأمره أن يأتي أهل الدار فيأمرهم بالانصراف الى منازلهم ، فخرج عبد الله بن الزبير آخرهم ، فما زال يدعي بها ، ويحدث الناس عن عثمان بآخر ما مات عليه .

وأحرقوا [1] الباب وعثمان في الصلاة ، وقد افتتح ﴿ طه . ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾ [2] — وكان سريع القراءة ، فما كرثه ما سمع ، وما يخطىء وما يتعتع حتى أتى عليها قبل أن يصلوا اليه — ثم عاد فجلس الى عند المصحف وقرأ : ﴿ الذينَ قالَ لهمُ الناسُ إنّ الناسَ قد جمَعوا لكم فاخشَوهم، فزادهم إيماناً وقالوا حَسْبُنا اللهُ ونِعْمَ الوكيل ﴾ [3] .

وارتجز المغيرة بن الأخنس وهو دون الدار في أصحابه :

قد علِمَت ذات القرون الميل   والحلي والأنامل الطُّفول
لتصدُقَنْ بيعتي خليلي   بصارمٍ ذي رونق مصقول
لا أستقيلُ إن أقلْتُ قيلي

---

(١) عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان . ط ٤ — ٣٨٩ .

(٢) سورة طه ، الآية : ١ — ٢ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ١٧٣ .

وأقبل أبو هريرة ، والناس محجمون عن الدار إلا أولئك العصبة ، قد سروا فاستقتلوا ، فقام معهم وقال : أنا إسوتكم ، وقال : هـذا يوم طابَ امْضَرْب – يعني أنه حلّ القتال وطاب ، وهذه لغة حِمْير – ونادى : يا قوم ، مـا لي أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النـار ! وبادر مروان يومئذ ونادى : رجل رجل ، فبرز له رجل من بني ليث يدعى النّباع ، فاختلفا ، فضربه مروان أسفل رجليـه ، وضربه الآخر على أصل العنق فقلّبه ، فانكبّ مروان ، واستلقى ، فاجترّ هذا أصحابه ، واجتر الآخر أصحابه ، فقال المصريون : أما والله لولا أن تكونوا حجة علينا في الأمة لقد قتلناكم بعد تحذير ، فقال المغيرة : مَن يبارز ؟ فبرز له رجل فاجتلد ، وهو يقول :

أضربهمُ باليـابس ضرب غـلامٍ بائس
من الحيـاة آيس

فأجابه صاحبه : ... [1] وقال الناس : قتل المغيرة بن الأخنس . فقـال الذي قتله : إنّا لله ! فقال له عبد الرحمن بن عديس : مالك ؟ قال : إني أُتيت فيما يرى النـائم ، فقيل لي : بشر قاتل المغيرة بن الأخنس بالنار ، فابتليت به . وقَتَل قَباث الكِناني نِيار بن عبد الله الأسلمي ، واقتحم الناس الدار من الدور التى حولها حتى ملؤها ولا يشعر الذين بالبـاب . وأقبلت القبائل على أبنائهم ، فذهبوا بهم إذ غلبوا على أميرهم ، وندبوا رجلاً لقتله ، فانتدب له رجل ، فدخل عليه البيت ، فقال : اخلعها وندعك ، فقال : ويحك ! والله مـا كشفتُ امرأة في جاهلية ولا إسلام ، ولا تغنيت ولا تمنيت ، ولا وضعت يميني على عورتي منذ بايعت رسول الله ﷺ ولست خالعاً قميصاً كسانيه الله عز وجل ، وأنا على مكاني حتى يكرم الله أهل السعادة ، ويهين أهل الشقاء .

---

(١) كلام ناقص لم أجده في مراجع اخرى ، ط ٤ – ٣٩٠ .

مقتل عثمان :

فخرج، وقالوا : ما صنعت ؟ فقال : علقنا والله ، والله ما ينجينا من الناس إلا قتله ، وما يحل لنــا قتله ، فأدخلوا عليه رجلاً من بني ليث ، فقال : ممن الرجل ؟ فقال : ليثي ، فقال : لست بصاحبي ، قال : وكيف ؟ فقال ألست الذي دعا لك النبي ﷺ في نفر أن تحفظوا يوم كذا وكذا ؟ قال : بلى ، قال : فلن تضيع ، فرجع وفارق القوم ، فأدخوا عليه رجلاً من قريش ، فقــال : يا عثمان ، إني قاتلك ، قال : كلا يا فلان ، لا تقتلني ، قــال : وكيف ؟ قال : إن رسول الله ﷺ استغفر لك يوم كذا وكذا ، فلن تقارف دماً حراماً . فاستغفر ورجع ، وفارق أصحابه فأقبل عبد الله بن سلام حتى قـام على باب الدار ينهاهم عن قتله ، وقال : يا قوم ، لا تسلوا سيف الله عليكم ، فوالله إن سللتموه لا تغمدوه ، ويلكم ! إن سلطانكم اليوم يقوم بالدِّرَّة ، فإن قتلتموه لا يقم إلا بالسيف . ويلكم ! إن مدينتكم محفوفة بملائكة الله ، والله لئن قتلتموه لتتركنها ، فقالوا : يابن اليهودية ، وما أنت وهذا ؟ فرجع عنهم .

قالوا : وكان آخر من دخل عليه ممن رجع إلى القوم محمد بن أبي بكر ، فقال له عثمان : ويلك ! أعلى الله تغضب ؟ هل لي اليك جرم إلا حقّه [1] أخذته منك ! فنكل ورجع .

قالوا : فلما خرج محمد بن أبي بكر وعرفوا انكساره ، ثار قُتيرة وسودان ابن حمران السّكونيان ، والغافقي ، فضربه الغافقي بحديدة معه ، وضرب المصحف برجله فاستدار المصحف ، فاستقر بين يديه ، وسالت عليه الدماء ، وجاء سودان بن حمران ليضربه ، فانكبت عليه نائلة ابنــة الفرافصة ، واتقت

(١) لعلها « لا أحقه » بمعنى لا أذكره ، ط ٤ - ٣٩١ . والأرجح أن المقصود الا حق الله أخذته منك .

السيف بيدها ، فتعمدها ، ونفح أصابعها ، فأطنّ أصابع يدها وولت ، فغمز أوراكها ، وقال : إنها لكبيرة العجيزة ، وضرب عثمان فقتله ، ودخل غِلمة لعثمان مع القوم لينصروه — وقد كان عثمان أعتق من كف منهم — فلما رأوا سودان قد ضربه ، أهوى له بعضهم فضرب عنقه فقتله، ووثب قتيرة على الغلام فقتله ، وانتهبوا ما في البيت ، وأخرجوا من فيه ، ثم أغلقوه على ثلاثة قتلى . فلما خرجوا الى الدار ، وثب غلام لعثمان آخر على قتيرة فقتله ، ودار القوم فأخذوا ما وجدوا ، حتى تناولوا ما على النساء ، وأخذ رجل ملاءة نائلة — والرجل يدعى كلثوم بن تُجيب — فتنحت نائلة ، فقال : ويح أمّك ِ من عجيزة ما أتمك ! وبصر به غلام لعثمان فقتله وقُتل، وتنادى القوم : أبصر رجل مَنْ صاحبه ، وتنادوا في الدار : أدركوا بين المال لا تُسبقوا اليه ، وسمع اصحاب بيت المال اصواتهم ، وليس فيه إلا غِرارتان ، فقالوا : النجاء ، فإن القوم إنما يحاولون الدنيا ، فهربوا وأتوا بيت المال فانتهبوه ، وماج الناس فيه ، فالتانىء [1] يسترجع ويبكي ، والطارىء يفرح . وندم القوم ، وكان الزبير قد خرج من المدينة ، فأقام على طريق مكة لئلا يشهد مقتله ، فلما أتاه الخبر بمقتل عثمان وهو بحيث هو ، قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! رحم الله عثمان. وانتصر له ، وقيل : إن القوم نادمون ، فقال : دبّروا دبّروا ﴿ وَحِيلَ بينهم وبينَ ما يشْتَهون.. ﴾ الآية[2]. وأتى الخبر طلحة،فقال: رحم الله عثمان! وانتصر له وللاسلام، وقيل له: إن القوم نادمون، فقال: تبّاً لهم ! وقرأ ﴿ فلا يستطيعون توصيةً ولا الى أهلهم يرجعون ﴾ [3] . وأتى عليّ فقيل : قُتِل عثمان ، فقال :

---

(١) التانيء : المقيم . ط ٤ ٣٩٢ .

(٢) سورة سبأ ، الآية : ٥٤ .

(٣) سورة يس ، الآية : ٥٠ .

رحم الله عثمان ، وخلف علينا بخير ! وقيل ندم القوم ، فقرأ ﴿ كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر ... الآية [1] ﴾ . وطُلب سعد، فإذا هو في حائطه، وقد قال : لا أشهد قتله ، فلما جاءه قتله قال : فررنا إلى المدنية تُدنينا ، وقرأ : ﴿ الذين ضلّ سَعْيُهم في الحياة الدنيا وهم يحسبُون أنهم يُحسنون صُنْعاً ﴾ [2]. اللهم أندِمهم ثم خذهم .

وعن المغيرة بن شعبة [3] أنه قال : قلت لعلي : إن هـذا الرجل مقتول ، وإنه إن قتل وأنت بالمدينة اتخذوا فيك ، فاخرج فكن بمكان كذا وكذا ، فإنك إن فعلت وكنت في غار باليمن طلبك الناس . فأبى وحُصر عثمان إثنين وعشرين يوماً ، ثم أحرقوا الباب ، وفي الدار أناس كثير، فيهم عبدالله بن الزبير ومروان، فقالوا: ائذن لنا، فقال : إن رسول الله ﷺ عهد إلي عهداً ، فأنا صابر عليه ، وإن القوم لم يحرقوا باب الدار إلا وهم يطلبون مـا هو أعظم منه ، فأحرّج على رجل يَستَقْتِلُ ويقاتل [4] .

وخرج النـاس كلهم ، ودعا بالمصحف يقرأ فيه والحسن عنده ، فقال : إن أباك الآن لفي أمر عظيم ، فأقسمت عليك لما خرجت ! وأمر عثمان أبا كَرِب – رجلاً من همذان – وآخر من الأنصار أن يقوما على باب بيت المال ، وليس فيه إلا غِرارتان من وَرِق [5] . فلمـا أُطفئت النار بعدما ناوشهم ابن الزبير

---

(١) سورة الحشر ، الآية : ١٦ .

(٢) سورة الكهف ، الآية : ١٠٤ .

(٣) عن المجالد ، عن الشعبي عن المغيرة بن شعبة : ط ٤ - ٣٩٢ .

(٤) ابن الأثير « أو يقاتل »

(٥) الورق : الفضة .

ومروان ، وتوعد محمد بن أبي بكر ابن الزبير ومروان ، فلما دخل على عثمان هربا . ودخل محمد بن أبي بكر على عثمان، فأخذ بلحيته ، فقال : أرسل لحيتي ، فلم يكن أبوك ليتناولها ، فأرسلها . ودخلوا عليه، فمنهم من يجَؤه بنصل سيفه ، وآخر يلكزه، وجاءه رجل بمشاقص معه ، فوجأه في تَرْقُوته ، فسال الدم على المصحف ، وهم في ذلك يهابون في قتله ، وكان كبيراً ، وغُشِي عليه . ودخل آخرون ، فلما رأوه مغشياً عليه جرُّوا برجله ، فصاحت نائلة وبناته ، وجاء التُّجيبي مخترطاً سيفه ليضعه في بطنه ، فوقته نائلة ، فقطع يدها ، واتكأ بالسيف عليه في صدره . وقتل عثمان رضي الله عنه قبل غروب الشمس، ونادى منادٍ : ما يحلّ دمه ويحرَج مالُه ، فانتهبوا كل شيء ، ثم تبادروا بيت المال ، فألقى الرجلان المفاتيح ونجوا ، وقالوا : الهرب الهرب ! هذا ما طلب القوم .

بعض سِير عثمان بن عفان رضي الله عنه :

كان عمر بن الخطاب [١] قد حجر على أعلام قريش من المهاجرين الخروج في البلدان إلا باذن وأجل ، فشكوه فبلغه ، فقام فقال : ألا إني قد سننت الاسلام سنّ البعير ، يبدأ فيكون جذعاً ، ثم ثنياً ، ثم رباعياً ، ثم سَديساً، ثم بازلاً[٢]، ألا فهل ينتظر بالبازل إلا النقصان ! ألا فان الاسلام قد بَزَل . ألا وان قريشاً يريدون أن يتخذوا مال الله معونات دون عباده ، ألا فأما وابن الخطاب هي فلا ، إني قائم دون شعب الحرة ، آخذ بحلاقيم قريش وحُجزَها أن يتهافتوا في النار .

---

(١) عن عمارة بن القعقاع ، عن الحسن البصري ، ط ٤ - ٣٩٦ .

(٢) الثني : الذي يلقي ثنيته (٣ سنوات) والجذع قبله ، والرباعي : الذي ألقى رباعيته وهو بعد الثني ، والسديس : ما أتت عليه السادسة ، والبازل : الذي انشق نابه بدخوله في السنة التاسعة .

فلما ولي عثمان [1] لم يأخذهم بالذي كان يأخذهم به عمر ، فانساحوا في البلاد، فلما رأوها ورأوا الدنيا ، ورآهم النـاس ، انقطع اليهم من لم يكن له طول ولا مزية في الاسلام ، فكان مغموماً [2] في الناس، وصاروا أوزاعاً اليهم وأمّلوهم، وتقدموا في ذلك فقالوا : يملكون فنكون قد عرفناهم ، وتقدمنا في التقريب والانقطاع اليهم ، فكان ذلك أول وهن دخل على الاسلام واول فتنة كانت في العامة ، ليس إلا ذلك .

آراء متفرقة في تحليل الفتنة :

لم يمت عمر رضي الله عنه حتى ملـّته قريش[3] ، وقد كان حصرهم بالمدينة ، فامتنع عليهم ، وقال : إنّ أخوف ما أخاف على هذه الأمة انتشاركم في البلاد ، فإن كان الرجل ليستأذنه في الغزو – وهو ممن حبس بالمدينة من المهاجرين ، ولم يكن فعل ذلك بغيرهم من اهل مكة – فيقول : قد كان في غزوك مع رسول الله ﷺ ما يبلـّغك، وخير لك من الغزو اليوم ألا ترى الدنيا ولا تراك،فلما ولي عثمان خلـّى عنهم ، فاضطربوا في البلاد ، وانقطع اليهم النـــاس ، فكان أحب اليهم من عمر .

[و] لما ولي عثمان[4] حج سنواته كلها إلا آخر حجة ،وحج بأزواج رسول الله ﷺ كما كان يصنع عمر ، فكان عبد الرحمن بن عوف في موضعه ، وجعل في

---

(١) عن محمد وطلحة ، ط ٤ – ٣٩٧ .
(٢) مغموماً . أي مغطى وهو استعمال قديم لأهل المدينة (شفاء الغليل ص : ١٩٣) .
(٣) عن عمرو ، عن الشعبي .
(٤) عن مبشر بن الفضيل ، عن سالم بن عبد الله .

موضع نفسه سعيد بن زيد ، هــــذا في مؤخر القطار ، وهذا في مقدمه ، وأمن الناس،وكتب في الأمصار أن يوافيه العمال في كل موسم ومن يشكوهم . وكتب الى الناس الى الأمصار ، ان ائتمروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر ، ولا يذل المؤمن نفسه ، فإني مع الضعيف على القوي ، ما دام مظلوماً إن شاء الله ، فكان الناس بذلك ، فجرى ذلك الى ان اتخذه أقوام وسيلة الى تفريق الأمة .

[و] لم تمض سنة [1] من إمارة عثمان حتى اتخذ رجال من قريش أموالاً في الأمصار ، وانقطع اليهم النـــاس ، وثبتوا سبع سنين ، كل قوم يحبون ان يلي صاحبهم . ثم ان ابن السوداء أسلم ، وتكلم وقد فاضت الدنيا وطلعت الأحداث على يديه ، فاستطالوا عمر عثمان رضي الله عنه .

[وقد كان] اول منكر[2] ظهر بالمدينة حين فاضت الدنيا ، وانتهى وسع الناس طيران الحمام والرمي على الجُلاهقات [3]، فاستعمل عليها عثمان رجلاً من بني ليث سنة ثمان ، فقصها وكسر الجلاهقات .

[وهكذا فإن] أول من منع الحمام الطيارة[4] والجلاهقات عثمان ، ظهرت بالمدينة فأمّر عليها رجلاً ، فمنعهم منها .

[وفي رواية اخرى] [5] زيادة : وحدث بين الناس النـّشو . قال : فأرسل عثمان طائفاً يطوف عليهم بالعصا ، فمنعهم من ذلك ، ثم اشتد ذلك فأفشى

---

(١) عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٣٩٨ .
(٢) عن عثمان بن حكيم بن عباد بن حنيف ، عن أبيه .
(٣) الجلاهق : قوس البندق الذي يرمى به .
(٤) عن محمد بن عبد الله ، عن عمرو بن شعيب .
(٥) عن سهل بن يوسف عن القاسم بن محمد ، عن أبيه .

الحدود ، ونبّأ ذلك عثمان ، وشكاه الى النـــاس ، فاجتمعوا على أن يجلدوا في النبيذ ، فأخِذ نفر منهم فجلدوا .

[و] لما حدثت الأحداث [١] بالمدينة ، خرج منها رجـــال الى الأمصار مجاهدين ، وليدنوا من العرب ، فمنهم من أتى البصرة، ومنهم من أتى الكوفة، ومنهم من أتى الشأم ، فهجموا جميعاً من أبنــاء المهاجرين بالأمصار على مثل ما حدث في أبناء المدينة إلا ما كان من أبناء الشأم، فرجعوا جميعاً الى المدينة إلا من كان بالشام ، فأخبروا عثمان بخبرهم، فقام عثمان في الناس خطيباً فقال: يا أهل المدينة ، أنتم أصل الاسلام ، وإنما يفسد الناس بفسادكم ويصلحون بصلاحكم ، والله ، والله ، لا يبلغني عن احد منكم حدث أحدثه إلا سيّرته ، ألا فلا أعرفن احــداً عرض دون اولئك بكلام ولا طلب ، فإن من كان قبلكم كانت تقطع اعضاؤهم دون ان يتكلم احد منهم بما عليه ولا له . وجعل عثمان لا يأخذ احداً منهم على شر او شهر سلاح — عصا فما فوقها — إلا سيره ، فضج آباؤهم من ذلك حتى بلغه أنهم يقولون : ما أحدث التسيير [٢] إلا أن رسول الله ﷺ سيّر الحكم بن ابي العاص ، فقــال : إن الحكم كان مكياً ، فسيّره رسول الله ﷺ منها الى الطائف، ثم ردّه الى بلده، فرسول الله ﷺ سيّره بذنبه، ورسول الله ﷺ رده بعفوه . وقد سيّر الخليفة من بعده ، وعمر رضي الله عنه من بعد الخليفة ، وأيم الله لآخذن العفو من أخلاقكم ، ولأبذلنه لكم من خلقي ، وقد دنت امور ، ولا احب ان تحلّ بنا وبكم ، وأنا على وجلٍ وحذَر ، فاحذروا واعتبروا .

---

(١) عن مبشر بن الفضيل ، عن سالم بن عبد الله .

(٢) التسيير : هو النفي بالمعنى المعروف حالياً تقريباً .

[وقد] سأل سائل سعيد بن المسيب[1] عن محمد بن ابي حذيفة: ما دعاه الى الخروج على عثمان؟ فقال: كان يتيماً في حجر عثمان، فكان عثمان والي أيتام أهل بيته، ومحتمل كَلِّهم، فسأل عثمانَ العملَ حين وُلِّيَ، فقال: يا بني، لو كنتَ رضاً ثم سألتني العمل لاستعملتك، ولكن لست هناك! قال: فاذن لي فلأخرج فلأطلب ما يقوتني، قال: اذهب حيث شئت، وجهزه من عنده، وحمله وأعطاه، فلما وقع الى مصر كان فيمن تغير عليه أن منعه الولاية. قيل: فعمار ابن ياسر؟ قال: كان بينه وبين عباس بن عتبة بن ابي لهب كلامٌ، فضربهما عثمان، فأورث ذاك بين آل عمار وآل عتبة شراً حتى اليوم وكَنَى عما ضُربا عليه وفيه.

قال مبشر[2]: سألت سالم بن عبد الله عن محمد بن أبي بكر: ما دعاه الى ركوب عثمان؟ فقال: الغضب والطمع، قلت: ما الغضب والطمع؟ قال: كان من الاسلام بالمكان الذي هو به، وغرّه أقوام فطمع. وكانت له دالّة فلزمه حق، فأخذه عثمان من ظهره، ولم يدهن، فاجتمع هذا الى هذا، فصار مذمماً بعد أن كان محمداً.

لما ولي عثمان لان لهم، فانتزع الحقوق انتزاعاً، ولم يعطل حقاً، فأحبُّوه على لينه، فأسلمهم ذلك الى أمر الله عز وجل.

[و] كان مما أحدث عثمان[3] فرُضِيَ به منه، أنه ضرب رجلاً في منازعة استخف فيها بالعباس بن عبد المطلب، فقيل له، فقال: نعم، أيفخّم

---

(١) عن عبد الله بن سعيد بن ثابت ويحيى بن سعيد.

(٢) عن مبشر.

(٣) عن سهل، عن القاسم.

رسول الله ﷺ عمه ، وأرخّص في الاستخفاف به ! لقد خالف رسول الله ﷺ مَن فعل ذلك ، ومَن رضي به منه .

قال حُمران بن أبان [١] : أرسلني عثمان الى العباس بعدما بويع ، فدعوته اليه ، فقال : مالك تعبدتني ! قال : لم أكن قط أحوجَ اليك مني اليوم ، قال : الزم خمساً ، لا تنازعك الأمة خزائمها ما لزمتها ، قال : وما هنّ ؟ قال : الصبر عن القتل ، والتحبب ، والصفح ، والمداراة ، وكتمان السر .

[و] بلغ عثمان[٢] أن ابن ذي الحبَكة النّهدي يعالج نيرنجاً – قال محمد بن سلمة : إنما هو نيرج [٣] – فأرسل الى الوليد بن عقبة ليسأله عن ذلك ، فإن أقرّ به فأوجعه ، فدعا به فسأله، فقال : إنما هو رفق وأمرٌ يعجب منه ، فأمر به فعزِّر ، وأخبر الناس خبره ، وقرأ عليهم كتاب عثمان : إنه قد جُدّ بكم ، فعليكم بالجِدّ ، وإياكم والهُزّال ، فكان الناس عليه ، وتعجبوا من وقوف عثمان على مثل خبره ، فغضب ، فنفر في الذين نفروا ، فضرب معهم ، فكتب الى عثمان فيه ، فلما سيِّر الى الشأم من سيِّر ، سيِّر كعب بن ذي الحبَكة ومالك بن عبد الله – وكان دينه كدينه – الى دُنباوند ، لأنها أرضٌ سَحِرة ، فقال في ذلك كعب بن ذي الحبكة للوليد :

لعمري لئن طردتني ما إلى التي طمِعتَ بها من سقطتي لَسَبيلُ
رَجَوتُ رجوعي يابن أروى ورجعتي إلى الحق دهراً غال ذلك غول

---

(١) عن رزيق بن عبد الله الرازي ، عن علقمة بن مرثد .

(٢) عن محمد وطلحة ، ط ٤ – ٤٠١ .

(٣) النيرج : أخذ كالسحر وليس به .

وإن اغترابي في البلاد وجفوتي وشتمي في ذات الإله قليلُ
وإن دُعائي كل يومٍ وليلة عليك بدُنباوَنْدِكم لَطَويلُ

فلما ولي سعيد أقفله، وأحسن إليه واستصلحه، فكفره، فلم يزدد إلا فساداً.

واستعار ضابيء بن الحارث البرهمي في زمان الوليد بن عقبة من قوم من الأنصار كلباً يدعى قَرْحان، يصيد الظباء، فحبسه عنهم، فنافره الأنصاريون واستعانوا عليه بقومه فكاثروه، فانتزعوه منه وردوه على الأنصار، فهجاهم وقال في ذلك:

تجشَّم دوني وفدُ قرحان خطة تضلُّ لها الوَجناءُ وهي حَسيرُ
فباتوا شباعاً ناعمين كأنما حباهم ببيت المَرزُبان أمير
فكلبكمُ لا تترُكوا فهو أمُّكم فإنّ عقوق الأمهات كبيرُ

فاستعدوا عليه عثمان، فأرسل إليه، فعزره وحبسه كما كان يصنع بالمسلمين، فاستثقل ذلك، فما زال في الحبس حتى مات فيه. وقال في الفتك يعتذر إلى أصحابه:

هَممتُ ولم أفعل وكدت وليتني فَعَلتُ ووليتُ البكاءَ حلائله
وقائلةٍ قد مات في السجن ضابيء ألا من لخصم لم يَجِد من يجادله
وقائلة لا يبعدِ الله ضائباً فنعم الفتى تخلو به وتحاوله

فلذلك صار عمير بن ضابيء سبئياً.

عن المستنير، عن أخيه قال [١]: والله ما علمت ولا سمعت بأحد غزا عثمان

---

(١) عن سيف، عن المستنير، ط ٤ - ٤٠٣.

رضي الله عنه ، ولا ركب إليه إلا قتل ، لقد اجتمع بالكوفة نفرٌ، فيهم الأشتر وزيد بن صُوحان وكعب بن ذي الحبكة وأبو زينب وأبو مورّع وكُميل بن زياد وعمير بن ضابيء ، فقالوا : لا والله لا يُرفع رأسٌ ما دام عثمان على الناس ، فقال عمير بن ضابيء ، وكميل بن زياد : نحن نقتله . فركبا إلى المدينة ، فأما عمير فإنه نكل عنه ، وأما كميل بن زياد فإنه حسر وثاوره ، وكان جالساً يرصده حتى أتى عليه عثمان ، فوجأ عثمان وجهه ؛ (فوقع على أسته ، وقال : أوجعتني يا أمير المؤمنين ! قال : أولستَ بفاتك ؟ قال : لا والله الذي لا إله إلا هو ، فحلف وقد اجتمع عليه الناس ، فقالوا : نفتشه يا أمير المؤمنين ، فقال : لا ، قد رزق الله العافية ، ولا أشتهي أن أطّلع منه على غير ما قال . وقال : إن كان كما قلت يا كميل فاقتدْ مني ـ وجثا ـ فوالله ما حسبتك إلا تريدني ، وقال إن كنتَ صادقاً فأجزل الله ، وإن كنت كاذباً فأذّل الله . وقعد له على قدميه وقال : دونك ! قال : قد تركت .

فبقيا حتى أكثر الناس في نجائهما ، فلما قدم الحجاج قال : من كان من بعث المهلب فليواف مكتبه ، ولا يجعل على نفسه سبيلاً . فقام إليه عمير ، وقال : إني شيخ ضعيف ، ولي إبنان قويان ، فأخرج أحدهما مكاني أو كليهما ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا عمير بن ضابيء ، فقال : والله لقد عصيت الله عز وجل منذ أربعين سنة ، ووالله لأنكّلن بك المسلمين ، غضبت لسارق الكلب ظالماً ، إن أباك إذ غُل لهمّ ، وإنك هممت ونكلت ، وإني أهمُّ ثم لا أنكل . فضربت عنقه .

قال سيف : حدثنا رجل من بني أسد ، قال : كان من حديثه أنه كان قد غزا عثمان رضي الله عنه فيمن غزاه ، فلما قدم الحَجاج ونادى بما نادى به ، عرض

رجل عليه ما عِوَض نفسه ، فقبل منه ، فلما ولـّى قال اسماء بن خارجة : لقد كان شأن عمير مما يهمني ، قال : ومن عمير ؟ قال : هذا الشيخ ، قال :

ذكرتني الطعن وكنت ناسياً[١]

أليس فيمن خرج إلى عثمان ؟ قال : بلى ، قال : فهل بالكوفة أحد غيره ؟ قال : نعم ، كـُميل ، قال : عليّ بعمير ، فضرب عنقه ، ودعا بكميل فهرب ، فأخذ النـّخع به ، فقال له الأسود بن الهيثم: ما تريد من شيخ قد كفاكه الكِبر ! فقال : أما والله لتحبسنّ عني لسانك او لأحسُنّ رأسك بالسيف . قال : افعل . فلما رأى كميل ما لقيَ قومه من الخوف وهم ألفا مقاتل ، قال : الموت خير من الخوف إذا أُخيف ألفان من سَبَبي وحُرِموا . فخرج حتى أتى الحجاج، فقال له الحجاج : أنت الذي أردت ثم لم يكشفك أمير المؤمنين ، ولم ترضَ حتى أقعدته للقصاص إذ دفعك عن نفسه ؟ فقال : على أي ذلك تقتلني ! تقتلني على عفوه او على عافيتي ؟ قال : يا أدهم بن المحرِز ، اقتله ؛ قال : والأجر بيني وبينك ؟ قال : نعم ، قال أدهم : بل الأجر لك ، وما كان من إثم فعلي . وقال مالك بن عبد الله – وكان من المسيرين :

مَضَتْ لابنِ أروَى في كـُميَلٍ ظُلامةٌ
عفاهـا له والمُستقيدُ يُلامُ
وقال له لا أُقبِحُ اليومَ مثلَـةً   عَليكَ أبا عَمْرو وأنت إمامُ
رُوَيدَكَ رأسي والذيَ نسَكـْتُ له   قريشٌ بنا على الكبير حرامُ

---

(١) مثل تستعمله العرب .

وَلِلعفْوِ أمنٌ تعْرِفُ الناسُ فضلهُ ... وليسَ علينا في القصاصِ أثامُ
ولو علم الفاروق ما أنت صانعٌ ... نَـهى عنك نهياً ليسَ فيه كلامُ

دفن عثمان رضي الله عنه :

لما قتل عثمان (١) أرسلت نائلة الى عبد الرحمن بن عُديس ، فقالت له : إنك أمسّ القوم رَحِماً ، وأولاهم بأن تقوم بأمري ، اغرِبْ عني هؤلاء الأموات . قـال : فشتمها وزجرها ، حتى إذا كان في جوف الليل خرج مروان حتى أتى دار عثمان ، فأتاه زيد بن ثابت وطلحة بن عبيدالله وعلي والحسن وكعب بن مالك وعامة مَن ثَمَّ من صحابه، فتوافى الى موضع الجنائز صبيان ونساء ، فأخرجوا عثمان فصلى عليه مروان ، ثم خرجوا به حتى انتهوا إلى البقيـع ، فدفنوه فيه مما يلي حَشّ كوكب،حتى إذا أصبحوا أتوا أعبُد عثمان الذين قتلوا معه فأخرجوهم، فرأوهم فمنعوهم من أن يدفنوا ، فأدخلوهم حشّ كوكب، فلما أمسوا خرجوا بعبدين منهم فدفنوهما إلى جنب عثمان ، ومع كل واحد منهما خمسة نفر وامرأة ، فاطمة أم ابراهيم بن عدي ، ثم رجعوا فأتوا كنانة بن بشر ، فقالوا : إنك أمسّ القوم بنا رحمـــاً ، فأمُر بهاتين الجيفتين اللتين في الدار أن تُخرجا ، فكلمهم في ذلك، فأبوا، فقال: أنا جار لآل عثمان من أهل مصر ومن لفّ لفهم، فأخرجوهما فارموا بهما ، فجرّا بأرجلهما ، فرمي بهما على البلاط ، فأكلتهما الكلاب ، وكان العبدان اللذان قتلا يوم الدار يقال لهما نُجيح وصُبيح ، فكان اسماهما الغالب على

---

(١) عن أبي حارثة ، وأبي عثمان ومحمد وطلحة ، ط ٤ - ٤١٤ .

الرقيق لفضلها وبلائها ، ولم يحفظ الناس اسم الثالث ، ولم يغسَل عثمان ، وكُفِّن في ثيابه ودمائه ولا غُسِل غلاماه .

ودفن [1] عثمان رضي الله عنه في الليل ، وصلى عليه مروان بن الحكم ، وخرجت ابنته تبكي في أثره ، ونائلة ابنة الفرافصة ، رحمهم الله .

وكان قتل [2] عثمان رضي الله عنه يوم الجمعة لثماني عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين [٣٥ هـ] على رأس إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً واثنين وعشرين يوماً من مقتل عمر رضي الله عنه . وقُتل وهو ابن ثلاث وستين سنة [3] .

ولاة الأمصار عند وفاة عثمان :

مات عثمان [4] رضي الله عنه وعلى الشأم معاوية ، وعامل معاوية على حمص عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وعلى قنّسرين حبيب بن مسلمة ، وعلى الاردن أبو الأعور بن سفيان ، وعلى فلسطين علقمة بن حكيم الكناني ، وعلى البحر عبد الله بن قيس الفزاري ، وعلى القضاء أبو الدرداء .

---

(١) عن مجالد ، عن الشعبي ، ط ٤ — ٤١٥ .

(٢) عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان ، ط ٤ — ٤١٦ .

(٣) يبدو أن هنا خطأ بين ٦٣ و ٨٣ ، لأن الرواة اختلفوا في عمره بين ٨٢ و ٩٠ سنة ، وواقع حاله رضي الله عنه يدل أنه كان قد جاوز الثانين .

(٤) عن أبي حارثة وأبي عثمان ط ٤ — ٤٢١ .

وفي رواية سيف عن عطية [١] : مات عثمان رضي الله عنه ، وعلى الكوفة ، على صلاتها أبو موسى، وعلى خراج السّواد جابر بن عمرو المزني — وهو صاحب المسناة الى جانب الكوفة — وسماك الأنصاري . وعلى حربها القعقاع بن عمرو ، وعلى قرقيسياء جرير بن عبد الله ، وعلى أذربيجان الأشعث بن قيس ، وعلى حُلوان عتيبة بن النّهاس ، وعلى ماه مالك بن حبيب ، وعلى همذان النُّسير ، وعلى الري سعيد بن قيس ، وعلى اصبهان السائب بن الأقرع ، وعلى ماسَبَذان حُبيش، وعلى بيت المال عقبة بن عمرو. وكان على قضاء عثمان يومئذٍ زيد بن ثابت.

بعض خطب عثمان :

خطب عثمان الناس بعدما بويع فقال [٢] :

أما بعد ، فإني قد حُمّلت وقد قبلت ، ألا وإني متّبع ولست بمبتدع ؛ ألا وإن لكم عليّ بعد كتاب الله عز وجل وسُنّة نبيه ﷺ ثلاثاً : اتباع مَن كان قبلي فيما اجتمعتم عليه وسننتم ، وسَنّ سُنّة أهل الخير فيما لم تسنّوا عن ملأ ، والكف عنكم إلا فيما استوجبتم . ألا وإن الدنيا خَضِرة قد شُهّيَتْ الى الناس ، ومال اليها كثير منهم . فلا تركنوا الى الدنيا ولا تثقوا بها ، فإنها ليست بثقة ، واعلموا أنها غير تاركة إلا من تركها .

[و] آخر خطبة خطبها عثمان رضي الله عنه في جماعة [٣] :

---

(١) ط ٤ — ٤٢٢ .
(٢) عن القاسم بن محمد ، عن عون بن عبدالله بن عتبة . ط ٤ — ٤٢٢ .
(٣) عن بدر بن عثمان ، عن عمه .

إن الله عزّ وجلّ إنمـا أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ، ولم يُعطِكموها لتركنوا اليها . إن الدنيـــا تفنى والآخرة تبقى ، فلا تبطرنـّكم الفانيـة ، ولا تشغلنـّكم عن الباقية ، فآثروا ما يبقى على ما يفنى ، فإن الدنيا منقطعة ، وإن المصير الى الله. إتقوا الله جلّ وعزّ ، فإن تقواه جُنـّة من بأسه ، ووسيلة عنده ، واحذروا من الله الغِيَر ، والزموا جمـاعتكم لا تصيروا أحزاباً ، ﴿ واذكروا نعمـةَ اللهِ عليكم إذ كنتم أعـداءً فألـّف بين قلوبِكم فأصبحتمْ بنعمته إخواناً ﴾[1] .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٣ .

خلافة علي بن أبي طالب

الدولة بلا خليفة :

بقيت المدينة [١] بعد قتل عثمان رضي الله عنه خمسة أيام ، وأميرها الغافقي ابن حرب يلتمسون من يجيبهم إلى القيام بالأمر فلا يجدونه ، يأتي المصريون علياً فيختبىء منهم ويلوذ بحيطان [٢] المدينة ، فإذا لقوه باعدهم وتبرأ منهم ومن مقالتهم مرة بعـد مرة ، ويطلب الكوفيون الزبير فلا يجدونه ، فأرسلوا اليه حيث هو رسُلاً ، فباعدهم وتبرأ من مقالتهم ، ويطلب البصريون طلحة ، فإذا لقيهم باعدهم وتبرأ من مقالتهم مرة بعـد مرة ، وكانوا مجتمعين على قتل عثمان مختلفين فيمن يهوَوْن ، فلما لم يجدوا ممالئاً ولا مجيباً جمعهم الشر على أوّل من أجابهم ، وقالوا : لا نولي احداً من هؤلاء الثلاثة ، فبعثوا الى سعد بن أبي وقاص وقالوا : إنك من أهل الشورى فرأيُنا فيك مجتمع ، فاقدَم نبايعك ، فبعث اليهم : إني وابن عمر خرجنا منها فلا حاجة لي فيها على حال ، وتمثل :

لا تخلِطـَنّ خبيثاتٍ بطيّبة   واخلع ثيابَك منها وانجُ عُرياناً

ثم إنهم أتوا ابنَ عمر عبدالله، فقالوا : أنت ابن عمر فقم بهذا الأمر ، فقال:

---

(١) عن محمد بن عبد الله بن سواد بن نويرة ، وطلحة بن الأعلم ، وأبي حارثة ، وأبي عثمان ، ط ٤ – ٤٣٢ .

(٢) أي بساتين المدينة .

إن لهذا الأمر انتقاماً ، والله لا أتعرض له ، فالتمسوا غيري . فبقوا حيارى لا يدرون ما يصنعون والأمر أمرهم .

وكانوا إذا لقوا طلحة أبى وقال[1] :

ومن عَجَبِ الأيام والدهر أنني بقيتُ وحيداً لا أُمِرُ ولا أُحلي

فيقولون : إنك لتوعدنا . فيقومون فيتركونه ، فإذا لقوا الزبير وأرادوه أبى وقال :

متى أنت عن دارٍ بفيحان راحلٌ وباحتِها تخنو عليك الكتائب

فيقولون : إنك لتوعدنا ! فإذا لقوا علياً وأرادوه أبى ، وقال :

لو أن قومي طاوعتني سَرَاتهم أمرتهم أمراً يديخ الأعاديا

فيقولون : إنك لتوعدنا ! فيقومون ويتركونه .

[و] لما كان يوم الخميس[2] على رأس خمسة أيام من مقتل عثمان رضي الله عنه ، جمعوا أهل المدينة ، فوجدوا سعداً والزبير خارجين ، ووجدوا طلحة في حائط له ، ووجدوا بني أمية قد هربوا إلا من لم يُطِق الهرب ، وهرب الوليد وسعيد الى مكة في أول من خرج ، وتبعهم مروان ، وتتابع على ذلك من تتابع ، فلما

---

(١) عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد .

(٢) عن أبي حارثة وأبي عثمان ، ط – ٤٣٣ .

اجتمع لهم أهل المدينة قال لهم أهل مصر : أنتم أهل الشورى وأنتم تعقدون الامامة ، وأمركم عابر [1] على الأمة ، فانظروا رجلاً تنصبونه ، ونحن لكم تبَع ، فقال الجمهور : علي بن أبي طالب نحن به راضون .

المبايعة لعلي :

فقالوا لهم [2] : دونكم يا أهل المدينة فقد أجلناكم يومين ، فوالله لئن لم تفرغوا لنقتلن غداً علياً وطلحة والزبير وأناساً كثيراً . فغشي الناس علياً ، فقالوا : نبايعك فقد ترى ما نزل بالإسلام ، وما ابتُلينا به من ذوي القربى [3] فقال علي : دعوني والتمسوا غيري فإنا مستقبلون أمراً له وجوه وله ألوان ، لا تقوم له القلوب ، ولا تثبت عليه العقول. فقالوا: ننشدك الله ألا ترى ما نرى! ألا ترى الإسلام ! ألا ترى الفتنة ! ألا تخاف الله ! فقال قد أجبتكم لما أرى ، واعلموا ان أجبتكم ركبت بكم ما أعلم ، وإن تركتموني فإنما أنا كأحدكم ،إلا أني أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم . ثم افترقوا على ذلك واتعدوا الغد.

وتشاور الناس فيما بينهم وقالوا: إن دخل طلحة والزبير فقد استقامت. فبعث البصريون إلى الزبير بصرياً ، وقالوا : إحذر لا تحادّه – وكان رسولهم حُكَيم ابن جبلة العبدي في نفر – فجاؤوا به يحدّونه بالسيف . وإلى طلحة كوفياً ، وقالوا له : إحذر لا تحادّه ، فبعثوا الأشتر في نفر فجاؤوا به يحدّونه بالسيف . وأهل الكوفة وأهل البصرة شامتون بصاحبهم ، وأهل مصر فرحون بما اجتمع عليه أهل المدينة ، وقد خشع أهل الكوفة وأهل البصرة أن صاروا أتباعاً

---

(١) ابن الأثير « جائز » .
(٢) عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٤٣٤ .
(٣) ابن الأثير والنويري « بين القرى » .

لأهل مصر وحِشوة فيهم ، وازدادوا بذلك على طلحة والزبير غيظاً ، فلما أصبحوا من يوم الجمعة حضر الناس المسجد ، وجاء علي حتى صعد المنبر ، فقال يا أيها الناس — عن ملإ وإذن — إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم وقد افترقنا بالأمس على أمر ، فإن شئتم قعدت لكم ، وإلا فلا أجد على أحد . فقالوا : نحن على مـا فارقناك عليه بالأمس . وجاء القوم بطلحة فقالوا : بايع ، فقال : إني إنما أبايع كرهاً ، فبايـع — وكان به شلل — أول الناس ، وفي الناس رجل يعتاف (١) ، فنظر من بعيد ، فلما رأى طلحة أول من بايـع قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! أول يد بايعت أمير المؤمنين يدٌ شلاء ! لا يتم هذا الأمر ! ثم جيء بالزبير فقال مثل ذلك وبايـع — وفي الزبير اختلاف — ثم جيء بقوم كانوا قد تخلفوا فقالوا : نبايـع على إقامة كتاب الله في القريب والبعيد، والعزيز والذليل ، فبايعهم ، ثم قام العامة فبايعوا .

مبايعة طلحة والزبير :

لما قتل عثمان (٢) رضي الله عنه واجتمع الناس على علي ، ذهب الأشتر فجاء بطلحة ، فقال له : دعني أنظر إلى ما يصنع الناس ، فلم يدعه وجاء به يتُلُّه تلاً عنيفاً (٣) ، فصعد المنبر فبايع .

---

(١) يعتاف : يتكهن .

(٢) عن أبي زهير الأزدي ، عن عبد الرحمن بن جندب ، عن أبيه ، ط ٤ — ٤٣٥ .

(٣) يتله تلا عنيفاً : يدفعه دفعاً شديداً .

[و] جاء حُكيم بن جبلة بالزبير حتى بايع [١] ، فكان الزبير يقول : جاءني لصٌ من لصوص عبد القيس فبايعت واللجُّ [٢] على عنقي .

وبايع الناس كلهم [٣] .

أول خطبة لعلي رضي الله عنه :

[بويع علي يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة ، وكانت أول خطبة خطبها[٤] بعد أن حمد الله وأثنى عليه ، أن قال :]

إن الله عز وجل أنزل كتاباً هـــادياً بيَّن فيه الخير والشر ، فخذوا بالخير ودعوا الشر . الفرائض أدُّوهـا الى الله سبحانه يؤدِّكم الى الجنة . إن الله حرَّم حُرَماً غير مجهولة ، وفضل حُرْمة المسلم على الحُرَم كلّهـــا ، وشدَّ بالإخلاص والتوحيد المسلمين . والمسلم مَن سلِم النـاس من لسانه ويده إلا بالحق . لا يحلُّ أذى المسلم إلا بما يجب . بادروا أمر العامة ، وخاصة أحدكم الموت ، فإن الناس أمامكم ، وإن ما من خلفكم الساعةُ تحدوكم. تخففوا تلحقوا ،فإنما ينتظر الناس اخراهم . إتقوا الله عباده في عباده وبلاده ، إنكم مسؤولون حتى عن البقـــاع والبهائم . أطيعوا الله عز وجل ولا تعصوه ، وإذا رأيتم الخير فخذوا به ، وإذا رأيتم الشر فدعوه ، ﴿واذكروا إذ أنتم قليلٌ مستضعَفون في الأرض﴾ .

---

(١) عن محمد بن قيس ، عن الحارث الوالبي .

(٢) اللج : السيف .

(٣) عن محمد وطلحة ، ط ٤ – ٤٣٥ .

(٤) عن سليمان بن أبي المغيرة ، عن علي بن الحسين ، ط ٤ – ٤٣٦ .

ولما فرغ علي من خطبته وهو على المنبر قال المصريون :

خذها واحذراً أبا حسن[1] إنـّا نُمِرُّ الأمرَ إمرارَ الرَّسَنْ

وإنما الشعر :

خذها اليك واحذراً أبا حسن

فقال عليّ مُجيباً :

إني عَجَزتُ عَجزةً ما أعتذر سوفَ أكيسُ بعدها وأستَمِرّ

[وفي رواية أُخرى][2] :

ولما أراد علي الذهاب الى بيته قالت السبئية :

خذها اليك واحذراً أبا حسن إنـّا نُمِرُّ الأمرَ إمرارَ الرَّسَنْ
صولةَ أقوامٍ كأسداد السُّفُن بمَشرفياتٍ كـَغـُدرانِ اللـَّبَن
ونطعُن المُلكَ بلينٍ كالشَّطَن حتى يُمَرَّنَّ على غيرِ عَنَنْ

فقال علي وذكر تركهم العسكر والكينونة على عِدَة ما مُنُّوا حين غمزوهم ورجعوا اليهم ، فلم يستطيعوا أن يمتنعوا حتى ...[3]

(١) هكذا غير موزون .

(٢) عن محمد وطلحة ، ط ٤ – ٤٣٦ .

(٣) يوجد نقص في الأصل .

إني عَجَزتُ عجزةً لا أعتذِر سوف أكيس بعدها وأستمِر
أرفعُ من ذَيْلِيَ ما كنتُ أجُرّ وأجمعُ الأمرَ الشتيتَ المنتشر
إن لم يُشاغِبْني العَجولُ المنتصِر أو يترُكوني والسلاحُ يُبتَدَر

مطالب طلحة والزبير :

واجتمع الى علي، بعدما دخل، طلحة والزبير في عدة من الصحابة ، فقالوا : يا علي ، إنا قد اشترطنا إقامة الحدود ، وإن هؤلاء القوم قد اشتركوا في دم هذا الرجل وأحلّوا بأنفسهم . فقال لهم : يا اخوتاه ، إني لست أجهل ما تعلمون ، ولكني كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم ! ها هم هؤلاء قد ثارت معهم عُبدانُكم ، وثابَت اليهم أعرابُكم ، وهم خِلالكم يسومونكم ما شاؤوا ، فهل ترون موضعاً لقدرة على شيء مما تريدون ؟ قالوا : لا ، قال : فلا والله لا أرى إلا رأياً ترونه إن شاء الله ، إن هذا الأمرُ أمر جاهلية ، وإن لهؤلاء القوم مادة ، وذلك أن الشيطان لم يشرع شريعة قط فيبرح الأرضَ من أخذ بها أبداً . إن الناس من هذا الأمر إن حُرِّك على امور : فرقة ترى ما ترون ، وفرقة ترى ما لا ترون ، وفرقة لا ترى هذا ولا هذا ، حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها وتؤخَذ الحقوق ، فاهدؤوا عني وانظروا ماذا يأتيكم ، ثم عودوا .

واشتد على قريش ، وحال بينهم وبين الخروج على حالٍ ، وإنما هيَّجه على ذلك هربُ بني أمية . وتفرّق القوم ، وبعضهم يقول : والله لئن ازداد الأمر لا قدرنا على انتصار من هؤلاء الأشرار ، لتركُ هذا إلى ما قال علي أمثل .

وبعضهم يقول : نقضي الذي علينا ولا نؤخره، ووالله إن علياً لمستغن برأيه وأمره عنا ، ولا نراه إلا سيكون على قريش أشدّ من غيره . فذكر ذلك لعلي فقام فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر فضلهم وحاجته اليهم ونظره لهم وقيامه دونهم ، وأنــه ليس له من سلطانهم إلا ذلك ، والأجر من الله عز وجل عليه ، ونادى: برئت الذمة من عبد لم يرجع إلى مواليه. فتذامرت السبئية والاعراب، وقالوا : لنا غداً مثلها ، ولا نستطيع نحتج فيهم بشيء .

[و] خرج علي في اليوم الثالث [١] على الناس ، فقال : يا أيها النـــاس ، أخرجوا عنكم الأعراب . وقال : يا معشر الاعراب ، الحقوا بمياهكم . فأبت السبئية وأطاعهم الأعراب . ودخل علي بيته ودخل عليه طلحة والزبير وعدة من أصحاب النبي ﷺ فقال: دونكم ثأركم فاقتلوه،فقالوا: عَشوا[٢] عن ذلك، قال : هم والله بعد اليوم أعشى وآبى . وقال :

لو أن قومي طاوعتني سَرَاتهم أمرتهمُ أمراً يديخ الأعـــاديا

وقـال طلحة : دعني فلآتِ البصرة فلا يفجؤك إلا وأنا في خيل ، فقال : حتى أنظر في ذلك . وقـال الزبير : دعني آتِ الكوفة فلا يفجؤك إلا وأنا في خيل ، فقال : حتى أنظر في ذلك . وسمع المغيرة بذلك المجلس فجاء حتى دخل عليه ، فقال : إن لك حق الطاعة والنصيحة ، وإن الرأي اليوم تُحرز به ما في

---

(١) عن محمد وطلحة ، ط ٤ – ٤٣٨ .

(٢) عشوا : أعرضوا .

غد ، وإن الضّياع اليوم تضيع به ما في غـد ، أقرر معاوية على عمله ، واقرر ابن عامر على عمله ، وأقررِ العمال على أعمالهم ، حتى إذا أتتك طاعتهم وبيعة الجنود استبدلت أو تركت . قال : حتى أنظر .

فخرج من عنده وعاد اليه من الغد ، فقال : إني أشرت عليك بالأمس برأي، وإن الرأي أن تعاجلهم بالنزوع فيعرف السامع من غـيره ويستقبل أمرك، ثم خرج . وتلقّاه ابن عباس خارجاً وهو داخل ، فلما انتهى الى علي قال : رأيت المغيرة خرج من عندك ، ففيمَ جاءك ؟ قال : جاءني أمس بذيّة وذيّة ، وجاءني اليوم بذية وذية ، فقال : أما أمس فقد نصَحَك ، وأمـا اليوم فقد غشّك . قال : فمـا الرأي ؟ قال : كان الرأي أن تخرج حين قُتل الرجل أو قبل ذلك ، فتأتي مكة فتدخل دارك وتغلق عليك بابك ، فإن كانت العرب جائلة مضطربة في أثرك لا تجد غيرك ، فأمـا اليوم ، فإن في بني أمية مَن يستحسنون الطلب بأن يلزموك شعبة من هذا الأمر ، ويشبّهون على الناس،ويطلبون مثل ما طلب أهل المدينة ، ولا تقدر على مـا يريدون ولا يقدرون عليه ، ولو صارت الأمور اليهم حتى يصيروا في ذلك أمْوت لحقوقهم ، وأترك لهـا إلا ما يعجّلون من الشبهة .

وقال المغيرة : نصحته والله ، فلما لم يقبل غششته . وخرج المغيرة حتى لحق بمكة

اخبار عمال علي :

[ولما دخلت سنة ست وثلاثين] بعث علي عماله على الأمصار [1] ، فبعث

---

(١) عن محمد وطلحة ، ط ٤ – ٤٤٢ .

عثمان بن حُنيف على البصرة ، وعُمارة بن شهاب على الكوفة ، وكانت له هجرة ، وعبيدالله بن عباس على اليمن ، وقيس بن سعد على مصر ، وسهل بن حُنيف على الشأم .

فأما سهل فإنه خرج حتى إذا كان بتبوك لقيته خيلٌ ، فقالوا : مَن أنت ؟ قال : أمير ، قالوا : على أي شيء ؟ قال : على الشأم ، قالوا : إن كان عثمان بعثك فحيَّهلاً بك ، وإن كان بعثك غيره فارجع . قال : أوَما سمعتم بالذي كان ؟ قالوا : بلى ، فرجع الى علي .

وأما قيس بن سعد فإنه لما انتهى الى ايلَة لقيته خيلٌ ، فقالوا : من أنت ؟ قال : من فالَّة عثمان ، فأنا أطلب مَن آوي اليه وأنتصر به ، قالوا : من أنت ؟ قال : قيس بن سعد ، قالوا : امضِ ، فمضى حتى دخل مصر ، فافترق أهل مصر فِرَقاً ، فرقة دخلت في الجماعة وكانوا معه ، وفرقة وقفت واعتزلت الى خَرْبتا ، وقالوا : إن قُتِل قَتَلَةُ عثمان فنحن معكم ، وإلا فنحن على جديلتنا حتى نحرّك او نُصيب حاجتنا ، وفرقة قالوا : نحن مع علي ما لم يَقد إخواننا ، وهم في ذلك مع الجماعة ، وكتب قيس الى أمير المؤمنين بذلك .

وأما عثمان بن حُنَيف فسار فلم يردّه أحد عن دخول البصرة ولم يوجد في ذلك لابن عامر رأي ولا حزم ولا استقلال بحرب . وافترق الناس بها ، فاتبعت فرقةٌ القوم ، ودخلت فرقة في الجماعة ، وفرقة قالت : ننظر ما يصنع أهل المدينة فنصنع كما صنعوا .

وأما عُمارة فأقبل حتى إذا كان بزُبالة لقيه طلحة بن خُويلد ، وقد كان حين بلغهم خبر عثمان خرج يدعو الى الطلب بدمه ويقول : لهفي على أمرٍ لم يسبقني ولم ادركه .

يا ليتني فيها جَذَع أكرُّ فيهـــا وأضَعْ

فخرج حين رجع القعقاع من إغاثة عثمان فيمن أجابــه حتى دخل الكوفة ، فطلع عليه عمارة قادماً على الكوفة ، فقال له : إرجع فإن القوم لا يريدون بأميرهم بدلاً ، وإن أبيت ضربتُ عنقك . فرجع عمــارة وهو يقول : إحذر الخطر ما يماسُّك الشرُّ خير من شر منه .

فرجع إلى علي بالخبر . وغلب على عمارة بن شهاب هذا المثل من لدن اعتاصت عليه الأمور إلى أن مات . وانطلق عبيد الله بن عباس إلى اليمن ، فجمع يعلى ابن أُمية كل شيء من الجباية وتركه وخرج بذلك وهو سائر على حاميته إلى مكة فقدمها بالمــــال . ولما رجع سهل بن حنيف من طريق الشام وأتته الأخبار ، ورجع من رجع ، دعا علي طلحة والزبير ، فقال : إن الذي كنت أحذركم قــد وقع يا قوم ، وإن الأمر الذي وقع لا يدرك إلا بإماتته ، وإنهـا فتنة كالنار ، كلما سُعِّرت ازدادت واستنارت . فقالا له : فأذن لنا أن نخرج من المدينة ، فإما أن نُكابر وإما أن تَدَعنا . فقال : سأمسك الأمر مــا استمسك ، فإذا لم أجد بُدّاً ، فآخر الدواء الكيّ .

كتابة علي إلى أبي موسى ومعاوية :

وكتب [علي] إلى معاوية وإلى أبي موسى، وكتب إليه أبو موسى بطاعة أهل الكوفة وبيعتهم ، وبيّن الكاره منهم للذى كان ، والراضي بالذي قــد كان ، ومن بَيْن ذلك ، حتى كأن علياً على المواجهة من أمر أهل الكوفة . وكان رسول علي إلى أبي موسى معبد الأسلمي .

وكان رسول أمير المؤمنين إلى معاوية سَبرة الجُهَني ، فقدم عليه فلم يكتب معاوية بشيء ولم يجبه ، ورد رسوله ، وجعل كلما تنجّز جوابه لم يزد على قوله :

أدِم إدامة حِصن أو خذاً بيدي حرباً ضروساً تشب الجزْلَ والضرَما
في جارِكم وابنكم إذ كان مقتلهُ شنعاء شيبت الأصداع واللّمَمَا
أعيَا المَسودُ بهَا والسَيدون فلم يوجد لها غيرُنا مولى ولا حَكَمَا

وجعل الجهني كلما تنجّز الكتاب لم يزده على هذه الأبيات ، حتى إذا كان الشهر الثالث من مقتل عثمان في صفر ، دعا معاوية برجل من بني عبس ، ثم أحد بني رواحة يدعى قبيصة ، فدفع إليه طوماراً مختوماً ، عنوانه: من معاوية إلى علي . فقال إذا دخلت المدينة فاقبض على أسفل الطومار ، ثم أوصاه بما يقول وسرّح رسول علي . وخرجا فقدما المدينة في ربيع الأول لغرته ، فلما دخلا المدينة رفع العبسي الطومار كما أمره ، وخرج الناس ينظرون إليه ، فتفرقوا إلى منازلهم وقد علموا أن معاوية معترض ، ومضى حتى يدخل على علي ، فدفع إليه الطومار ، ففض خاتمه فلم يجد في جوفه كتابة ، فقال للرسول: ما وراءك ؟ قال : آمنٌ أنا ؟ قال : نعم ، إن الرسل آمنة لا تقتل ، قال : ورائي أني تركت قوماً لا يرضون إلا بالقود ، قال : ممن ؟ قال : من خيط نفسك [1] ، وتركت ستين ألف شيخ يبكي تحت قميص عثمان وهو منصوب لهم ، قد ألبسوه منبر دمشق . فقال : مني يطلبون دمَ عثمان ؟ ألستُ موتوراً كتره عثمان ؟ اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان ، نجا والله قتلة عثمان إلا أن يشاء الله ،

---

(١) ابن الأثير والنويري « رقبتك » .

فإنه إذا أراد أمراً أصابه ، أخرج ، قال : وأنا آمن ؟ قـــال : وأنت آمن . فخرج العبسي ، وصاحت السبئية قالوا : هذا الكلب ، هـذا وافد الكلاب ، اقتـلوه ! فنادى : يا آل مُضر ، يا آل قيس ، الخيل والنبل ، إني أحلف بالله جل اسمه ليُردّنّها عليكم أربعة آلاف خصي ، فانظروا كم الفحولة والركاب ! وتعاوَوْا عليه ومنَعَتْه مضر، وجعلوا يقولون له: أسكت ، فيقول : لقد حل بهم ما يحذرون ، انتهت والله أعمالهم ، وذهبت ريحهم ، فوالله ما أمسوا حتى عرف الذّل فيهم .

وقعة الجمل

استئذان طلحة والزبير علياً في العمرة :

استأذن (١) طلحة والزبير علياً في العمرة، فأذن لهما ، فلحقا بمكة ، وأحب أهل المدينة أن يعلموا ما رأي علي في معاوية وانتقاضه ، ليعرفوا بذلك رأيه في قتال أهل القبلة ، أيجسُر عليه او ينكل عنه ؟ وقـد بلغهم أن الحسن بن علي دخل عليه ودعاه الى القعود وترْك الناس ، فدسوا اليه زياد بن حنظلة التميمي — وكان منقطعاً الى علي — فدخل عليه فجلس اليه ساعة ، ثم قال له علي: يا زياد، تيسّر ، فقال : لأي شيء؟ فقال : تغزو الشام ، فقال زياد : الأناة والرفق أمثل ، فقال:

ومن لا يصانع في أمور كثيرة يُضَرّس بأنياب ويوطأ بمنسم

فتمثل علي وكأنه لا يريده :

متى تجمعِ القلب الذكيّ وصارماً وأنفاً حمِيّاً تجتنبْك المظالمُ

فخرج زياد على الناس ، والنـاس ينتظرونه ، فقالوا : ما وراءك ؟ فقال : السيف يا قوم ، فعرفوا ما هو فاعل . ودعا علي محمد بن الحنفية ، فدفع اليه اللواء ، وولى عبد الله بن عباس ميمنته ، وعمر بن أبي سلمة — او عمرو بن سفيان

---

(١) عن محمد وطلحة ، ط ٤ — ٤٤٤ .

ابن عبد الأسد – ولاه ميسرته ، ودعا أبا ليلى بن عمر بن الجراح ، ابن أخي أبي عبيدة بن الجراح ، فجعله على مقدمته ، واستخلف على المدينة قُثَم بن عباس ، ولم يولِ ممن خرج على عثمان أحداً ، وكتب الى قيس بن سعد ان يندب الناس الى الشآم ، والى عثمان بن حُنيف والى أبي موسى مثل ذلك ، وأقبل على التهيؤ والتجهز ، وخطب أهل المدينة فدعاهم الى النهوض في قتال أهل الفرقة ، وقال: إن الله عز وجل بعث رسولاً هادياً مهدياً بكتاب ناطق وأمر قائم واضح ، لا يهلك عنه إلا هالك ، وإن المبتدَعات والشبهات هن المهلكاتِ إلا من حفظ الله ، وإن في سلطان الله عصمة أمركم، فأعطوه طاعتكم غير ملويّة ولا مستكرَه بها، والله لتفعلُن او لينقلُن الله عنكم سلطان الاسلام ثم لا ينقله اليكم أبداً حتى يأرز الأمر اليها [1] ، انهضوا الى هؤلاء القوم الذين يريدون يفرقون جماعتكم ، لعل الله يصلح بكم ما أفسد أهلُ الآفاق ، وتقضون الذي عليكم . فبينا هم كذلك إذ جاء الخبر عن أهل مكة بنحو آخر وتمامٍ على خلاف ، فقام فيهم بذلك ، فقال : إن الله عز وجل جعل لظالم هذه الأمة العفو والمغفرة ، وجعل لمن لزم الأمر واستقام الفوز والنجاة ، فمن لم يسعه الحق أخذ بالباطل . ألا وإن طلحة والزبير وأم المؤمنين قد تمالؤوا على سخط إمارتي ، ودعوا الناس الى الإصلاح، وسأصبر ما لم أخف على جماعتكم، وأكف إن كفوا ، وأقتصر على ما بلغني عنهم .

استنفار أهل المدينة :

ثم أتاه أنهم يريدون البصرة لمشاهدة الناس والاصلاح، فتعبى للخروج اليهم، وقال : إن فعلوا هذا فقد انقطع نظام المسلمين وما كان عليهم في المقام فينا

---

(١) أي الى المدينة .

مَؤُونة ولا إكراه. فاشتد على أهل المدينة الأمرُ ، فتثاقلوا ، فبعث الى عبدالله ابن عمر كُميلاً النَّخَعي ، فجاء به ، فقال : انهض معي ، فقال : أنا مع أهل المدينة ، إنما أنا رجل منهم وقد دخلوا في هذا الأمر فدخلت معهم فلا أفارقهم ، فإن يخرجوا أخرج وإن يقعدوا أقعد . قال : فاعطني زعيماً بألا تخرج ، قال : ولا أعطيك زعيماً ، قال : لولا ما أعرف من سوء خُلقك صغيراً وكبيراً لأنكرتني ، دعوه فأنابه زعيم . فرجع عبد الله بن عمر الى المدينة وهم يقولون : لا والله ما ندري كيف نصنع ، فإن هذا الأمر لمشتَبه علينا ، ونحن مُقيمون حتى يضيء لنا ويسفِر .

فخرج من تحت ليلته وأخبر ام كلثوم بنت علي بالذي سمع من أهل المدينة ، وأنه يخرج معتمراً مقيماً على طاعة علي ما خلا النهوض ، وكان صدوقاً فاستقرَّ عندها ، وأصبح علي فقيل له : حدث البارحة حدثٌ هو أشدّ عليك من طلحة والزبير وأم المؤمنين ومعاوية ، قال : وما ذلك ؟ قال : خرج ابن عمر الى الشأم ، فأتى علي السوق ودعا بالظّهر فحمل الرجال ، وأعدّ لكل طريق طلاباً . وماج أهل المدينة ، وسمعت ام كلثوم بالذي هو فيه ، فدعت ببغلتها فركبتها في رَحل ثم أتت علياً وهو واقف في السوق يفرق الرجال في طلبه ، فقالت : ما لك لا تَزَنَّد (١) من هذا الرجل ؟ إن الأمر على خلاف ما بُلِّغته وحدثته . قالت : أنا ضامنة له ، فطابت نفسه وقال : انصرفوا ، لا والله ما كذبَتْ ولا كَذَب ، وإنه عندي ثِقة فانصرفوا .

ولما رأى علي (٢) من أهل المدينة ما رأى لم يرضَ طاعتهم حتى يكون معها نُصرته ، قام فيهم وجمع اليه وجوه أهل المدينة ، وقال : إن آخر هذا الأمر

---

(١) تزند : ضاق صدره . رجل مزند : سريع الغضب .

(٢) عن محمد وطلحة ، ط ٤ – ٤٤٧ .

لا يَصلُح إلا بما صلَح أوله ، فقــد رأيتم عواقبَ قضاء الله عز وجل على من مضى منكم ، فانصروا الله ينصركم ويصلح لكم أمركم . فأجابه رجلان من أعلام الانصار ، أبو الهيثم بن التيِّهان – وهو بدريّ – وخزيمــة بن ثابت – وليس بذي الشهادتين ، مات ذو الشهادتين في زمن عثمان رضي الله عنه .

[وقد سُئل الحَكَم] (١) : أشَهِدَ خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين الجمل ؟؟ فقال : ليس به ، ولكنه غيره من الأنصار ، مــات ذو الشهادتين في زمن عثمان ابن عفان رضي الله عنه .

قال الشعبي (٢) : بالله الذي لا إله إلا هو ، مــا نهض في تلك الفتنة إلا ستة بدريين ما لهم سابع ، أو سبعة ما لهم ثامن .

[وفي رواية أخرى] عن الشعبي (٣) ، قــال : بالله الذي لا إله إلا هو مــا نهض في ذلك الأمر إلا ستة بدريين ما لهم سابع . فقلت : اختلفتما . قال : لم نختلف ، إن الشعبي شك في أبي أيوب : أخَرَج حيث أرسلته أم سلمة إلى علي بعد صفين ، أم لم يخرج ! إلا أنه قدم عليه فمضى إليه ، وعلي يومئذ بالنهروان .

وعن سعيد بن زيد أنه قال (٤) : مــا اجتمع أربعة من أصحاب النبي ﷺ ففازوا على الناس بخير يحوزونه إلا وعلي بن أبي طالب أحدهم .

---

(١) عن محمد ، عن عبيد الله ، عن الحكم ، ط ٤ – ٤٤٧ .

(٢) عن مجالد ، عن الشعبي .

(٣) عن عمرو بن محمد ، عن الشعبي .

(٤) عن عبد الله بن سعيد بن ثابت ، عن رجل .

ثم إن زياد بن حنظلة لما رأى تثاقل الناس عن علي ابتدر إليه وقال : من تثاقل عنك فإنا نخف معك ونقاتل دونك . وبينما علي يمشي في المدينة إذ سمع زينب ابنة أبي سفيان وهي تقول : ظلامتنا عند مُدَمّم وعند مكحلة ، [هما محمد بن ابي بكر ، ومحمد بن جعفر] فقال : إنها لتعلم ما هما لها بثأر .

وصول الخبر إلى عائشة :

قتل عثمان في ذي الحجة [1] لثمان عشرة خلت منه ، وكان على مكة عبد الله ابن عامر الحضرمي ،وعلى الموسم يومئذ عبدالله بن عباس ،بعثه عثمان وهو محصور فتعجل أناسٌ في يومين فأدركوا مع ابن عباس ، فقدموا المدينة بعدما قتل وقبل أن يُبايَع علي، وهرب بنو أمية فلحقوا بمكة ، وبويع علي لخمس بقين من ذي الحجة يوم الجمعة ، وتساقط الهرّاب إلى مكة ، وعائشة مقيمة بمكة تريد عمرة المحرم ، فلما تساقط إليها الهرّاب استخبرتهم فأخبروها أن قد قتل عثمان رضي الله عنه ولم يجبهم إلى التأمير أحد، فقالت عائشة رضي الله عنها : ولكن أكياس، هذا غِبّ ما كان يدور بينكم من عتاب الاستصلاح . حتى إذا قضت عمرتها وخرجت فانتهت إلى سَرِف ، لقيها رجل من أخوالها من بني ليث — وكانت واصلة لهم ، رفيقة عليهم — يقال له عبيد بن أبي سلمة يعرف بأمه أم كلاب ، فقالت : مَهيم ! فأصم ودمدم، فقالت : ويحك ! علينا أو لنا ؟ فقال: لا تدري ؟ قتل عثمان وبقوا ثمانياً ، قالت : ثم صنعوا ماذا ؟ فقال : أخذوا أهل المدينة بالاجتماع على علي ، والقوم الغالبون على المدينة . فرجعت إلى مكة وهي لا تقول شيئاً ولا يخرج منها شيء ،حتى نزلت على باب المسجد ، وقصدت للحِجْر فستّرت فيه، واجتمع الناس إليها ، فقالت : يا أيها الناس إن الغوغاء

---

(١) عن محمد وطلحة ، ط ٤ — ٤٤٨ .

من أهل الأمصار وأهل الميـاه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا أن عاب الغوغاء على هـذا المقتول بالأمس الإرب واستعمال من حدثت سنه ، وقد استُعمل أسنانهم قبله ، ومواضع من مواضع الحمى حماها لهم ، وهي أمورٌ قـد سُبق بها لا يصلح غيرها ، فتابعهم ونزع لهم عنها استصلاحاً لهم ، فلما لم يجدوا حجة ولا عذراً خلجوا وبادوا بالعدوان ونبا فعلهم عن قولهم ، فسفكوا الدم الحرام واستحلوا البلد الحرام وأخذوا المال الحرام ، واستحلوا الشهر الحرام . والله لإصبع عثمان خيرٌ من طباق الأرض أمثالهم . فنجاة من اجتماعكم عليهم حتى يَنْكل بهم غيرهم ويشرد مَنْ بعدهم ،ووالله لو أن الذي اعتدوا به عليه كان ذنباً لخَلُـص منه كما يخلص الذهب من خبثه أو الثوب من درنه إذ ماصُوه [1] كما يماص الثوب بالماء . فقال عبد الله بن عامر الحضرمي : هأنذا لها أول طالب — وكان أول مجيب ومنتدِب .

توجه عائشة الى المدينة وعودتها :

خرجت عائشة [2] رضي الله عنها نحو المدينة من مكة بعد مقتل عثمان ، فلقيها رجل من أخوالها ، فقالت : ما وراءك ؟ قال : قُتل عثمان واجتمع الناس على علي ، والأمر أمر الغَوْغاء. فقالت: ما أظن ذلك تاماً ، رُدُّوني . فانصرفت راجعة الى مكة ، حتى إذ دخلتها أتاها عبد الله بن عامر الحضرميّ — وكان

---

(١) في نهاية ابن الأثير : « في حديث عائشة قالت عن عثمان : مصتموه كما يماص الثوب ، ثم عدوتم عليه فقتلتموه ، الموص : الغسل بالأصابع ، يقـال : مصته أموصه موصاً ، أرادت أنهم استتابوه عما نقموا منه ، فلما أعطاهم ما طلبوه قتلوه .

(٢) عن عمرو بن محمد ، عن الشعبي ، ط ٤ — ٤٤٩ .

أميرَ عثمان عليها – فقال : ما ردّك يا أمّ المؤمنين ؟ قالت : ردني أنّ عثمان قُتل مظلوماً ، وأن الأمر لا يستقيم ولهذه الغوغاء أمرٌ . فاطلبوا بدَم عثمان تُعِزّوا الاسلامَ . فكان أول من أجابها عبد الله بن عامر الحضرمي ، وذلك أول ما تكلمت بنو أمية بالحجاز ورفعوا رؤوسهم ، وقام معهم سعيد بن العاص ، والوليد بن عقبة ، وسائر بني أمية . وقد قدِم عليهم عبد الله بن عامر من البصرة [1] ، ويعلي بن أمية من اليمن ، وطلحة والزبير من المدينة ، واجتمع ملؤهم بعد نظر طويل في أمرهم على البصرة ، وقالت [عائشة] : أيها الناس ، إن هذا حدَث عظيمٌ وأمرٌ منكر ، فانهضوا فيه الى اخوانكم من أهل البصرة فأنكروه ، فقد كفاكم أهل الشام ما عندهم ، لعل الله عز وجل يدرك لعثمان وللمسلمين بثأرهم .

[وفي رواية اخرى] [2] :

كان أول من أجاب الى ذلك عبد الله بن عامر وبنو أمية ، وقد كانوا سقطوا اليها بعد مقتل عثمان ، ثم قدم عبد الله بن عامر ، ثم قدم يعلي بن أمية ، فاتفقا بمكة ، ومع يعلي ستمائة بعير وستمائة الف [3] ، فأناخ بالأبطح معسكراً ، وقدِم معهما طلحةُ والزبير ، فلقيا عائشة رضي الله عنها . فقالت : ما وراءكما ؟ فقالا : وراءنا أنـّا تحملنا بقلـّيتنا [4] هُرّاباً من المدينة من غوغاء وأعراب ، وفارقنا قوماً حيارَى لا يعرفون حقاً ولا ينكرون باطلاً ولا يمنعون أنفسَهم . قالت : فائتمِرُوا أمراً ، ثم انهضوا الى هذه الغوغاء . وتمثلَتْ :

ولو أنّ قومي طاوعَتني سَراتُهم لأنقذتهم من الحِبالِ أو الخَبْلِ

---

(١) بعدها في ابن الأثير « بمال كثير » .
(٢) عن محمد وطلحة ، ط ٤ – ٤٥٠ .
(٣) أي ستمائة الف درهم .
(٤) ارتحل القوم بقليتهم : لم يدعوا وراءهم شيئاً .

وقال القومُ فيما ائتمروا به : الشأم . فقال عبد الله بن عامر : قد كفاكم الشأمَ من يستمر في حَوْزَته ، فقال له طلحة والزبير : فأين ؟ قال : البصرة ، فإن لي بها صنائع ولهم في طلحة هوىً ، قالوا : قبّحك الله ! فوالله ما كنتَ بالمسالم ولا بالمحارب ، فهلاّ أقمت كما أقام معاوية فنكتفي بك ، ونأتي الكوفة فنسدّ على هؤلاء القوم المذاهبَ ! فلم يجدوا عنده جواباً مقبولاً ، حتى إذا استقام لهم الرأي على البصرة قالوا : يا ام المؤمنين ، دعي المدينة فإن من معنا لا يُقرنون لتلك الغوغاء التي بها ، واشخصي معنا الى البصرة ، فإنا نأتي بلداً مضيّعاً ، وسيحتجون علينا فيه ببيعة علي بن أبي طالب فتُنهضينهم كما أنهضت أهل مكة ثم تقعدين ، فإن أصلح الله الأمر كان الذي تريدين ، وإلا احتسبنا ودَفَعْنا عن هذا الأمر بجهدنا حتى يقضي الله ما أراد .

فلما قالوا ذلك لها – ولم يكن ذلك مستقيماً إلا بها – قالت : نعم ، وقد كان أزواج النبي ﷺ معها على قصد المدينة ، فلما تحوّل رأيها الى البصرة تركنَ ذلك ، وانطلق القوم بعدها الى حفصة فقالت : رأيي تَبَعٌ لرأي عائشة ، حتى إذا لم يبقَ إلا الخروج ، قالوا : كيف نستقلّ وليس معنا مالٌ نجهز به الناس ! فقال يعلي بن أمية : معي ستمائة ألف وستمائة بعير فاركبوها . وقال ابن عامر : معي كذا وكذا فتجهزوا به . فنادي المنادي : إن أمَّ المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة ، فمن كان يريد إعزاز الإسلام وقتال المحلين والطلب بثأر عثمان ، ومن لم يكن عنده مركب ولم يكن له جهاز فهذا جهازٌ وهذه نفقة . فحملوا ستمائة رجل على ستمائة ناقة سوى من كان له مَركب – وكانوا جميعاً ألفاً – وتجهزوا بالمال ، ونادوا بالرحيل واستقلّوا ذاهبين . وأرادت حفصة الخروج فأتاها عبد الله بن عمر فطلب إليها أن تقعد ، فقعدت ، وبعثت إلى عائشة : أن عبد الله حال بيني وبين الخروج ، فقالت : يغفر الله لعبد الله ! وبعثت أم الفضل بنت الحارث رجلاً من جُهينة يدعى ظفراً ، فاستأجرته على أن يطويَ ويأتي علياً بكتابها ، فقدم على علي بكتاب أم الفضل بالخبر .

[و] خرج المغيرة (١) وسعيد بن العاص معهم مرحلة من مكة ، فقال سعيد للمغيرة : مـا الرأي ؟ قال : الرأي والله الاعتزال ، فإنهم ما يفلح أمرهم ، فإن أظفره الله أتيناه ، فقلنا : كان هوانا وصَغْوُنا (٢) معك ، فاعتزلا فجلسا ، فجاء سعيد مكة فأقام بها ، ورجع معها عبد الله بن خالد بن أسيد .

[وفي رواية اخرى] :

لما انتهت عائشة رضي الله عنها (٣) إلى سَرِف راجعة في طريقها إلى مكة ، لقيها عبد بن ام كلاب – وهو عبد بن أبي سلمة ، يُنسب إلى امه – فقالت له : مَهيَم ؟ قال: قتلوا عثمان رضي الله عنه، فمكثوا ثمانياً ، قالت : ثم صنعوا ماذا؟ قال : أخذها أهل المدينة بالاجتماع، فجازت بهم الامور إلى خير مجاز ، اجتمعوا على علي بن أبي طالب . فقالت : والله ليت أن هذه انطبقت على هــذه إن تمّ الأمرُ لصاحبك ! رُدّوني رُدّوني، فانصرفت إلى مكة وهي تقول : قُتل والله عثمان مظلوماً ، والله لأطلبن بدمه ، فقال لها ابن ام كلاب : ولِمَ ؟ فوالله إن أول من أمال حرفه لأنت ! ولقد كنتِ تقولين: اقتلوا نعثلاً فقد كفر ، قالت : إنهم استتابوه ثم قتلوه ، وقد قلت وقالوا ، وقولي الأخير خير من قولي الأول . فقال لها ابن ام كلاب :

فَمِنكِ البَداءُ ومِنكِ الغِيَرْ ومنكِ الرياحُ ومنكِ المَطَرْ
وأنتِ أمرتِ بقتل الإمام وقلتِ لنا إنه قــد كَفَرْ
فَهَبْنا أطعْناكِ في قَتْلِه وقاتلُهُ عِنـدنا من أمَرْ
ولم يَسقُطِ السقفُ من فَوقِنا ولم تنكَسِفْ شمسُنا والقَمَرْ

---

(١) عن محمد وطلحة ، ط ٤ – ٤٥٢ .
(٢) صغونا : ميلنا .
(٣) عن سيف بن عمر ، عن محمد بن نويرة وطلحة بن الأعلم الحنفي ، ط ٤ – ٤٥٨ .

وقَـدْ بايَعَ الناس ذا تُدرإ[1] يُزيلُ الشَّبا وُيقيمُ الصَّعَرْ
ويلبَسُ للحربِ أثوابَها وما مَنْ وَفى مِثلُ مَنْ قد غَدَرْ

فانصرفت إلى مكة فنزلت على باب المسجد فقصدت للحِجر ، فستَّرت ، واجتمع اليها الناس ، فقالت : يا أيها النـاس ، إنّ عثمان قُتِل مظلوماً ، ووالله لأطلبن بدمه .

توجه عائشة وطلحة والزبير الى البصرة :

لما اجتمع[2] إلى مكة بنو امية ويعلي بن منية وطلحة والزبير ، ائتَمَروا أمرهم ، وأجمعَ ملؤهم على الطلب بدمِ عثمان وقِتال السبئية حتى يثأروا ويَنتقموا ، فأمرتهم عائشة رضي الله عنها بالخروج إلى المدينة ، واجتمع القوم على البصرة وردُّوها عن رأيها ، وقال لها طلحة والزبير : إنا نأتي أرضاً قـد أضيعت وصارت إلى علي ، وقـد أجبرنا على بيعته ، وهم محتجون علينا بذلك وتاركوا أمرنا إلا أن تخرجي فتأمري بمثل ما أمرت بمكة ، ثم ترجعي . فنادى المنادي: إن عائشة تريد البصرة وليس في ستمائة بعير ما تُغنون به غوغاء وجلبة الأعراب وعبيداً قد انتشروا وافترشوا أذرعهم مسمدين لأول واعية . وبعثت إلى حفصة ، فأرادت الخروج ، فعزم عليها ابن عمر ، فأقامت . فخرجت عائشة ومعها طلحة والزبير ، وأمَّرت على الصلاة عبد الرحمن بن عتَّاب بن أسيد ، فكان يصلي بهم في الطريق وبالبصرة حتى قتل ، وخرج معها مروان وسائر بني امية إلا من َخشَع ، وتيامنت عن أوطاس ، وهم ستمائة راكب سوى من كانت له مطية ، فتركت الطريق ليلة وتيامنت عنها كأنهم سيارة ونَجَعة ، مساحِلين

---

(١) ذو تدرأ : ذو عدة وقوة .

(٢) عن محمد بن قيس ، عن الأغر، ط ٤ - ٤٥٣ .

لم يدنُ من المنكدِر ولا واسط ولا فلـج منهم أحد ، حتى أتوا البصرة في عـام خصيب . وتمثلت :

دَعي بلادَ جموع الظـُلم إذ صلُحَت فيها المياهُ وسيري سيْرَ مذعورِ
تَـخَيَّري النـَّبتَ فارعي ثمَّ ظاهِرَةً وبَطـْنَ وادٍ من الضـَّمّارِ مَمْطـُورِ

[وقد] جمع الزبير[1] بَنيه حين أراد الرحيل، فودّع بعضهم وأخرج بعضهم، وأخرج ابني أسماء جميعاً ، فقال : يا فلان أقم ، يا عمرو أقم . فلما رأى ذلك عبد الله بن الزبير ، قال : يا عروة أقم ، ويا منذر أقم ، فقال الزبير : ويحك ! استصحب ابني واستمتع منهما ، فقال : إن خرجت بهم جميعاً فاخرج ، وإن خلفت منهم أحداً فخلـّفنيها ولا تُعَرِّض أسماء للثكل من بين نسائك . فبكى وتركها ، فخرجوا حتى إذا انتهوا الى جبال أوطاس تيامنوا ، وسلكوا طريقاً نحو البصرة ، وتركوا طريقها يساراً ، حتى إذا دنوا منهـا فدخلوها ركبوا المنكدِر .

خرج الزبير وطلحة[2] ففصلا، ثم خرجت عائشة فتبعها أمهاتُ المؤمنين الى ذات عِرق ، فلم يُرَ يومٌ كان أكثر باكياً على الإسلام او باكياً له من ذلك اليوم ، كان يسمى يوم النحيب . وأمَّرَت عبد الرحمن بن عتاب ، فكان يصلي بالناس ، وكان عدلاً بينهم .

[و] لما تيامَن[3] عسكرها عن أوطاس أتـوا على مَليح بن عوف السلمي، وهو

---

(١) عن سعيد بن عبد الله ، عن ابن أبي مليكة ، ط ٤ - ٤٦٠ .

(٢) عن ابن الشهيد ، عن ابن أبي مليكة ، ط ٤ - ٤٦٠ .

(٣) عن محمد بن عبد الله ، عن يزيد بن معن السلمي ، ط ٤ - ٤٦١ .

مطلع ماله ، فسلم على الزبير ، وقال : يا أبا عبد الله ، ما هذا ؟ قال : عُدِي على أمير المؤمنين رضي الله عنه فقتل بلا ترة ولا عذر ، قال : ومن ؟ قال : الغوغاء من الأمصار ونزّاع القبائل، وظاهرهم الأعراب والعبيد ، قال : فتريدون ماذا ؟ قال : نُنهض الناس فيدرَك بهذا الدم لئلا يُبْطل ، فإن في إبطاله توهينَ سلطان الله بيننا أبداً . إذا لم يُفطَم الناس عن أمثالها لم يبقَ إمامٌ إلا قتله هذا الضرب ، قال : والله إن ترك هذا لشديد ، ولا تدرون إلى أين ذلك يسير ! . فودّع كل واحد منهما صاحبه ، وافترقا ومضى الناس .

موقف عبد الله بن عمر :

لما اجتمع الرأي[1] من طلحة والزبير وأم المؤمنين ومَن بمكة من المسلمين على السير الى البصرة والانتصار من قَتَلة عثمان رضي الله عنه ، خرج الزبير وطلحة حتى لقيا ابن عمر ودعَوَاه الى الخفوف [2] ، فقال : إني امرؤٌ من أهل المدينة ، فإن يجتمعوا على النهوض أنهض، وإن يجتمعوا على القُعود أقعد ، فتركاه ورجعا.

خروج علي الى الربذة يريد البصرة :

كان عليّ في همّ مَنْ توجه القوم [3] لا يدري إلى أين يأخذون ! وكان أن يأتوا البصرة أحب إليه . فلما تيقن أن القوم يعارضون طريق البصرة سرّ بذلك

---

(١) عن سيف ، عن محمد وطلحة ، ط ٤ — ٤٦٠ .
(٢) أي الخفة معهم وإعانتهم على ما يريدون .
(٣) عن محمد وطلحة ، ط ٤ — ٤٥٩ .

وقال : الكوفة فيهـا رجالُ العرب وبيوتاتهم ، فقال له ابن عباس : إن الذي يسرك من ذلك ليسوءني ، إن الكوفة فسطاط فيه أعلام من أعلام العرب ، ولا يحملهم عدّة القوم ، ولا يزال فيهم من يسمو إلى أمر لا يناله ، فإذا كان كذلك شغب على الذي نال حتى يفثأه فيفسد بعضهم على بعض . فقال علي : إن الأمر ليشبه ما تقول، ولكن الأثـْرة لأهل الطاعة والـْحَقُ بأحسنهم سابقة وقدمة، فإن استووا أعفيناهم واجتبرناهم ، فإن أقنعهم ذلك كان خيراً لهم ، وإن لم يقنعهم كلفونا إقامتهم وكان شراً على من هو شر له . فقال ابن عباس : إن ذلك لأمرٌ لا يدرك إلا بالقنوع .

جاء علياً الخبر[١] عن طلحة والزبير وأم المؤمنين ، فأمرّ على المدينة تمام بن العبـــاس ، وبعث إلى مكة قُثَـم بن العباس ، وخرج وهو يرجو أن يأخذهم بالطريق، وأراد أن يعترضهم ، فاستبان له بالرّبذَةِ أن قد فاتوه ، وجاءه بالخبر عطاء بن رئاب مولى الحارث بن حَزْن .

بلغ علياً الخبر[٢] – وهو بالمدينة – باجتماعهم على الخروج إلى البصرة وبالذي اجتمع عليه ملؤهم ، طلحة والزبير وعائشة ومن تبعهم ، وبلغـه قول عائشة ، وخرج علي يبادرهم في تعبيته التي كان تعبّى بها إلى الشام، وخرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين متخففين في سبعمائة رجل ، وهو يرجو أن يدركهم فيحول بينهم وبين الخروج ، فلقيه عبد الله بن سلام ، فأخذ بعنـانه ، وقال : يا أمير المؤمنين ، لا تخرج منها ، فوالله لئن خرجت منها لا ترجع إليها ولا يعود إليهـا سلطان المسلمين أبداً ، فسبُّوه ، فقال : دعوا الرجل ، فنعم الرجل من أصحاب محمـد ﷺ ، وسار حتى انتهى إلى الرّبذة فبلغه َمرُّهم ، فأقام حين فاتوه يأتمر الرّبَذَة .

---

(١) عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ، ط ٤ – ٤٥٥ .
(٢) عن محمد وطلحة ، ط ٤ – ٤٥٥ .

قال طارق بن شهاب [١] : خرجنا من الكوفة معتمرين حين أتانا قتل عثمان رضي الله عنه فلما انتهينا إلى الرَّبذة – وذلك في وجه الصبح – إذا الرفاق وإذا بعضهم يحدو بعضاً فقلت: ما هذا ؟ فقالوا : أمير المؤمنين، فقلت : ما له؟ قالوا : غلبه طلحة والزبير ، فخرج يعترض لهما ليردهما ، فبلغه أنهما قد فاتاه ، فهو يريد أن يخرج في آثارهما ، فقلت ، إنا لله وإنا إليه راجعون ! آتي علياً فأقاتل معه هذين الرجلين وأمَّ المؤمنين أو أخالفه ؟ إن هذا لشديد . فخرجت فأتيته ، فأقيمت الصلاة بغلَس ، فتقدم فصلى ، فلما انصرف أتاه ابنه الحسن فجلس فقال : قد أمرتك فعصيتني ، فتقتل غداً بضيعة لا ناصر لك، فقال علي: إنك لا تزال تحن حنين الجارية ! وما الذي أمرتني فعصيتك ؟ قال : أمرتك يوم أحيط بعثمان رضي الله عنه أن تخرج من المدينة فيقتل ولست بها ، ثم أمرتك يوم قتل ألا تبايع حتى يأتيك وفود أهل الأمصار والعرب وبيعةُ كل مصر، ثم أمرتك حين فعل هذان الرجلان ما فعلا أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا ، فإن كان الفساد كان على يدي غيرك ، فعصيتني في ذلك كله ، قال : أي بني ، أما قولك : لو خرجت من المدينة حين أحيط بعثمان ، فوالله لقد أحيط بنا كما أحيط به . وأما قولك : لا تبايع حتى تأتي بيعة الأمصار ، فإن الأمر أمرُ أهل المدينة ، وكرهنا أن يضيع هذا الأمر . وأما قولك حين خرج طلحة والزبير ، فإن ذلك كان وهناً على أهل الإسلام ، ووالله ما زلت مقهوراً مذ وليتُ ، منقوصاً لا أصل إلى شيء مما ينبغي . وأما قولك : إجلس في بيتك ، فكيف لي بما قد لزمني؟ أوَ مَنْ تريدني؟ أتريد أن أكون مثل الضبُع التي يحاط بها ويقال : دَباب دَباب [٢] ليست هاهنا حتى يحلّ عرقوباها ثم تخرج ، وإذا لم أنظرْ فيما لزمني من هذا الأمر ويعنيني فمن ينظر فيه ! فكفّ عنك أي بني .

---

(١) عن خالد بن مهران البجلي ، عن مروان بن عبد الرحمن الخميسي ، ط ٤ - ٤٥٥ .

(٢) دباب كقطام : دعاء الضبع للضبع ، أي دبي ، ط ٤ - ٤٥٨ .

الموقف في البصرة :

ومضى الناس[١] حتى إذا عاجوا عن الطريق وكانوا بفناء البصرة، لقيهم عمير ابن عبد الله التميمي ، فقال : يا ام المؤمنين ، أنشدك بالله أن تقدمي اليوم على قوم تراسلي منهم أحداً فيكفيكهم ! فقالت : جئتني بالرأي ، امرؤ صالح ، قال: فعجلي ابن عامر فليدخل، فإن له صنائع فليذهب إلى صنائعه فليلقوا الناس حتى تقدمي ويسمعوا ما جئتم فيه . فأرسلته فاندس الى البصرة. فأتى القوم. وكتبت عائشة رضي الله عنها الى رجال من أهل البصرة ، وكتبت الى الأحنف ابن قيس وصبرة بن شيمان وأمثالهم من الوجوه ، ومضت حتى اذا كانت بالحفير انتظرت الجواب بالخبر ، ولما بلغ ذلك أهل البصرة دعا عثمان بن حنيف عمران ابن حصين — وكان رجل عامة — وألزه[٢] بأبي الأسود الدؤلي — وكان رجل خاصة — فقال: انطلقا الى هذه المرأة فاعلما علمها وعلم من معها، فخرجا فانتهيا اليها وإلى الناس وهم بالحفير، فاستأذنا ، فأذنت لهما ، فسلما وقالا : إن أميرنا بعثنا اليك نسألك عن مسيرك ، فهل أنت مخبرتنا ؟ فقالت : والله ما مثلي يسير بالأمر المكتوم ولا يغطي لبنيه الخبر. إن الغوغاء من أهل الأمصار ونزاع القبائل غزوا حرم رسول الله ﷺ وأحدثوا فيه الأحداث ، وآووا فيه المحدثين ، واستوجبوا فيه لعنة الله ولعنة رسوله ، مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين بلا ترة ولا عذر، فاستحلوا الدم الحرام فسفكوه ، وانتهبوا المال الحرام، وأحلوا البلد الحرام ، والشهر الحرام ، ومزقوا الأعراض والجلود ، وأقاموا في دار قوم كانوا كارهين لمقامهم ضارين مضرين ، غير نافعين ولا متقين ، لا يقدرون على امتناع ولا يأمنون ، فخرجت في المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء القوم وما فيه الناس وراءنا ، وما ينبغي لهم أن يأتوا في إصلاح هذا . وقرأت : ﴿ لا خيرَ في

---

(١) عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٤٦١ .
(٢) أي ألصقه ، ألحقه .

كثير من نجواهُم إلا من أمرَ بصدقةٍ أو معروفٍ أو إصلاحٍ بين الناس [1] ﴾. ننهض في الإصلاح ممن أمر الله عز وجل وأمر رسول الله ﷺ الصغير والكبير والذكر والانثى ، فهذا شأننا الى معروفٍ نأمركم به ، ونحضكم عليه ، ومنكر ننهاكم عنه ، ونحثكم على تغييره .

فخرج أبو الأسود [2] وعمران من عندها فأتيا طلحة ، فقالا : ما أقدمك ؟ قال : الطلب بدم عثمان ، قالا : ألم تبايع علياً ؟ قـال : بلى ، واللـُّجُ [3] على عنقي ، وما استقيل علياً إن هو لم يحل بيننا وبين قتلة عثمان . ثم أتيا الزبير فقالا : ما أقدمك ؟ قال : الطلب بدم عثمان، قالا : ألم تبايع علياً ؟ قال : بلى، واللجّ على عنقي ، وما أستقيل علياً إن هو لم يحل بيننا وبين قتلة عثمان . فرجعا الى ام المؤمنين فودعاها فودّعت عمران، وقالت: يا أبا الأسود إياك أن يقودك الهوى إلى النار ﴿كُونـُوا قوّامينَ لِلهِ شُهداءَ بالقِسطِ ..﴾ [4] فسَرّحتها، ونادى مناديها بالرحيل ، ومضى الرجلان حتى دَخلا على عثمان بن حُنَيْف ، فبدر أبو الأسود عمران فقال :

يابْنَ حُنَيْفٍ قد أتيتَ فانفِرِ   وطاعِنِ القَوْمَ وجَالِدْ واصبِرِ
وابرُزْ لهم مُستَلْئِماً وَشَمِّرِ

فقال عثمان : إنا لله وإنا اليه راجعون ! دارت رحى الإسلام ورب الكعبة ، فانظروا بأي زَيَفان تزيف ؟ فقال عمران : إي والله لتعرُكنكم عركاً طويلاً ثم

---

(١) سورة النساء ، الآية : ١١٤ .
(٢) عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٤٦٢ .
(٣) اللج : السيف .
(٤) سورة المائدة ، الآية : ٨ .

لا يساوي مـــا بقيَ منكم كثير شيء ، قال : فأشِرْ عليّ يا عمران ، قال : إني قاعد فاقعد ، فقال عثمان : بل أمنعهم حتى يأتي أمير المؤمنين علي، قال عمران: بل يحكم الله ما يريد ، فانصرف الى بيته ، وقـام عثمان في أمره ، فأتاه هشام بن عامر فقال : يا عثمان ، إن هـذا الأمر الذي تروم يُسلم الى شرٍّ مما تكره ، إن هذا فتقٌ لا يُرتَق ، وصدعٌ لا يُجبر، فسامحهم حتى يأتي أمر علي ولا تحادّهم، فأبى ، ونادى عثمان في النـاس وأمرهم بالتهيُّؤ ، ولبسوا السلاح ، واجتمعوا الى المسجد الجامع ، وأقبل عثمان على الكيد فكادَ الناسَ لينظر ما عندهم ، وأمرهم بالتهيُّؤ ، وأمر رجلا ودسّه الى الناس خَدِعاً كوفياً قيسياً ، فقام فقال : يا أيها النـاس ، أنا قيس بن الفَقَدية الُحمَيسي ، إن هؤلاء القوم الذين جاؤوكم إن كانوا جاؤوكم خائفين فقد جاؤوا من المكان الذي يأمن فيه الطير ، وإن كانوا جاؤوا يطلبون بدَم عثمان رضي الله عنه فما نحن بقَتَلَة عثمان . أطيعوني في هؤلاء القوم فردّوهم من حيث جاؤوا . فقام الأسود ابن سريع السعدي ، فقال : أوَزعموا أنّا قتَلَة عثمان رضي الله عنه ؟ فإنمـا فزعوا الينا يستعينون بنا على قَتَلَة عثمان منا ومن غيرنا ، فإن كان القوم أُخرجوا من ديارهم كما زعمت ، فمَنْ يمنعهم من إخراجهم الرجال او البلدان ، فحصبه النـــاس ، فعرف عثمان أن لهم بالبصرة ناصراً ممن يقوم معهم ، فكسره ذلك . وأقبلت عائشة رضي الله عنهـا فيمن معها ، حتى اذا انتهوا الى المِرْبد ودخلوا من أعـلاه ، أمسكوا ووقفوا حتى خرج عثمان فيمن معه ، وخرج اليها من أهل البصرة مَن أراد أن يخرج اليها ، ويكون معها ، فاجتمعوا بالمربد وجعلوا يثوبون حتى غصّ بالناس .

فتكلم طلحةُ وهو في ميمنة المربد ومعه الزبير ، وعثمان في ميسرته ، فأنصتوا له فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر عثمان رضي الله عنه وفضله والبلد وما استحلّ منه ، وعظم ما أتِيَ اليه ، ودعا الى الطلب بدمه ، وقال : إن في ذلك

إعزاز دين الله عز وجل وسلطانه ، وأما الطلب بدم الخليفة المظلوم فإنه حدٌّ من حدود الله ، وإنكم إن فعلتم أصبتم وعاد أمركم اليكم، وإن تركتم لم يقم لكم سلطان ، ولم يكن لكم نظام .

فتكلم الزبير بمثل ذلك . فقال من في ميمنة المربد : صدقا وبرّا ، وقالا الحق ، وأمرا بالحق . وقال من في ميسرته : فجَرا وغدَرا ، وقالا الباطل ، وأمرا به ، قد بايعا ثم جاءا يقولان ما يقولان ! وتحاثى[1] الناس وتحاصبوا وأرهجوا . فتكلمت عائشة – وكانت جهورية يعلو صوتها كثرة كأنه صوت امرأة جليلة – فحمدت الله عز وجل وأثنت عليه، وقالت: كان الناس يتجنّون على عثمان رضي الله عنه ، ويُزْرون على عماله ويأتوننا بالمدينة فيستشيروننا فيما يخبروننا عنهم ، ويرون حسناً من كلامنا في صلاح بينهم، فننظر في ذلك فنجده بريّاً تقيّاً وفيّاً ونجدهم فجَرَة كَذَبَة ، يحاولون غير ما يظهرون . فلما قوُوا على المكاثرة كاثروه فاقتحموا عليه دارَه ، واستحلّوا الدَّمَ الحرام ، والمالَ الحرام ، والبلدَ الحرام ، بلا تِرةٍ ولا عذْر ، ألا إن مما ينبغي لا ينبغي لكم غيره ، أخْذ قتَلة عثمان رضي الله عنه ، وإقامة كتاب الله عز وجل : ﴿ ألم ترَ الى الذين أُوتوا نصيباً من الكتاب يُدعَوْن الى كتاب الله ليحكُمَ بينهم ﴾[2].

فافترق أصحاب عثمان بن حُنَيف فرقتين ، فقالت فرقة : صدقَتْ والله وبَرَّتْ ، وجاءت والله بالمعروف ، وقال الآخرون : كذبتم والله ما نعرف ما تقولون ، فتحاثَوْا وتحاصَبوا وأرْهَجوا ، فلما رأت ذلك عائشة انحدرت وانحدر أهل الميمنة مفارقين لعثمان حتى وقفوا في المربد في موضع الدبّاغين ، وبقي أصحاب عثمان على حالهم يتدافَعون حتى تحاجزوا ، ومال بعضُهم الى

---

(١) الحثي كالرمي : ما رفعت به يدك ، ط ٤ - ٤٦٤ .
(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٢٣ .

عائشة ، وبقي بعضُهم مع عثمان على فم السكة . وأتى عثمان بن حُنَيف فيمن معه ، حتى إذا كانوا على فم السكة ، سكة المسجد عن يمين الدبّاغين ، استقبلوا الناس فأخذوا عليهم بفمها .

وأقبل جارية بن قدامة السعديّ [1] فقال : يا امّ المؤمنين ، والله لَقتلُ عثمان بن عفان أهونُ من خُروجك من بيتك على هذا الجَمل الملعون عُرضة للسلاح ! إنه قد كان لك من الله سترٌ وحرمة، فهتكت سترك وأبحت حُرمتك، إنه من رأى قتالك فإنه يرى قتلك ، وإن كنت أتيتِنا طائعة فارجعي الى منزلك ، وإن كنت أتيتنا مستكرهَةً فاستعيني بالناس . قال : فخرج غلام شاب من بني سعد الى طلحة والزبير، فقال: أما أنت يا زُبير فحواريّ رسول الله ﷺ وأما أنت يا طلحة فوَقيت رسول الله ﷺ بيدك ، وأرى أمّكما معكما فهل جئتما بنسائكما ؟ قالا : لا ، قال : فما أنا منكما في شيء ، واعتزل .

وقال السعديّ في ذلك :

صُنتم حلائلكُمْ وقُدتم أمّكُمْ   هذا لَعَمْرُكَ قِلَّةُ الانصافِ
أُمِرَتْ بجَرّ ذيولها في بيتها   فهَوَتْ تشُقُّ البيد بالإيجافِ
غرَضاً يُقاتلُ دونها ابناؤها   بالنَّبل والخطّيّ والأسيافِ
هُتكت بطلحة والزبير سُتورُها   هذا المخبرُ عنهمُ والكافي

وأقبل غلام من جهينة على محمد بن طلحة — وكان محمد رجلاً عابداً — فقال:

---

[1] نصر بن مزاحم ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم .

أخبرني عن قتلة عثمان ! فقال : نعم ، دم عثمان ثلاثة أثلاث ، ثلث على صاحبة الهودج — يعني عائشة — وثلث على صاحب الجمل الأحمر — يعني طلحة — وثلث على علي بن أبي طالب ، فضحك الغلام وقال: ألا أراني على ضلال ! ولحق بعلي ، وقال في ذلك شعراً :

سألتُ ابن طلحة عن هالكٍ ... بجوف المدينة لم يُقبرِ
فقال ثلاثة رهْطٍ هُمُ ... أماتوا ابن عفان واستعبرِ
فثلث على تلك في خدرها ... وثلث على راكب الأحمر
وثلث على ابن ابي طالبٍ ... ونحن بدَوِّيّةٍ قَرقَرِ
فقلتُ صَدقتَ على الأولَيْن ... واخطأت في الثالث الأزهر

قتال عائشة وعثمان بن حنيف :

فخرج أبو الأسود [١] وعمران وأقبل حُكيم بن جبلة ، وقد خرج وهو على الخيل ، فأنشب القتال ، وأسرع أصحاب عائشة رضي الله عنها رماحهم وامسكوا ليمسكوا ، فلم ينته ولم يُثْنَ ، فقاتلهم واصحاب عائشة كافّون إلا ما دافعوا عن انفسهم ، وحكيم يذمُر خيله ويركبهم بها ، ويقول : إنها قريش ليرديَنَّها جُبنها والطيش ، واقتتلوا على فم السكة ، وأشرف أهل الدور ممن كان له في واحد من الفريقين هوى ، فرموا باقي الآخرين بالحجارة ، وأمرت عائشةُ أصحابها فتيامنوا حتى انتهوا الى مقبرة بني مازن، فوقفوا بها ملياً ، وثار اليهم الناس ، فحجز الليل بينهم . فرجع عثمان إلى القصر ، ورجع الناس إلى

---

(١) من هنا يرجع الحديث إلى رواية سيف عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٤٦٦ .

قبائلهم ، وجاء أبو الجرَباء — أحد بني عثمان بن مالك بن عمرو بن تميم — إلى عائشة وطلحة والزبير ، فأشار عليهم بأمثل من مكانهم فاستنصحوه وتابعوا رأيه ، فساروا من مقبرة بني مازن فأخذوا على مُسنَّاة البصرة من قبل الجبّانة حتى انتهوا إلى الزابوقة ، ثم أتوا مقبرة بني حصن وهي متنحية إلى دار الرزق ، فباتوا يتأهبون ، وبات الناس يسيرون اليهم ، وأصبحوا وهم على رجل في ساحة دار الرّق ، وأصبح عثمان بن حنيف فغاداهم ، وغدا حُكيم بن جَبلة وهو يُبرْبر وفي يده الرمح ، فقال له رجل من عبد القيس : من هذا الذي تسبّ وتقول له ما أسمع ؟ قال : عائشة ، قال : يابن الخبيثة ، ألأم المؤمنين تقول هذا ؟ فوضع حكيم السنان بين ثدييه فقتله . ثم مرّ بامرأة وهو يسبُّها — يعني عائشة — فقالت : من هذا الذي ألجأك إلى هذا ؟ قال : عائشة ، قالت : يابن الخبيثة ، ألأم المؤمنين تقول هذا ؟ فطعنها بين ثدييها فقتلها . ثم سار ، فلما اجتمعوا واقفوهم ، فاقتتلوا بدار الرزق قتالاً شديداً من حين بزغت الشمس الى أن زال النهار . وقد كثر القتلى في أصحاب ابن حنيف وفشت الجراحة في الفريقين ، ومنادي عائشة يناشدهم ويدعوهم الى الكف فيأبون ، حتى إذا مسهم الشر وعضّهم (١) ، نادوا أصحاب عائشة الى الصلح والمتاب ، فأجابوهم ، وتواعدوا ، وكتبوا بينهم كتاباً على أن يبعثوا رسولاً الى المدينة ، وحتى يرجع الرسول من المدينة ، فإن كانا أكرها خرج عثمان وأخلى لهما البصرة . وإن لم يكونا أكرها خرج طلحة والزبير :

الاتفاق على وقف القتال بين عثمان بن حنيف وعائشة :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما اصطلح عليه طلحة والزبير ومن معهما من المؤمنين والمسلمين ، وعثمان بن حنيف ومن معه من المؤمنين والمسلمين . إن عثمان

---

(١) في ابن الأثير : « وعضتهم الحرب » .

يقيم حيث أدركه الصلح على ما في يده ، وإن طلحة والزبير يقيمان حيث أدركهما الصلح على ما في أيديهما ، حتى يرجع أمين الفريقين ورسولهم كعب بن سور من المدينة . ولا يضار واحد من الفريقين الآخر في مسجد ولا سوق ولا طريق ولا فُرضة ، بينهم عيبــة مفتوحة حتى يرجع كعب بالخبر ، فإن رجع بأن القوم أكرهوا طلحة والزبير فالأمر أمرُهما،وإن شاء عثمان خرج حتى يلحق بطيّته، وإن شاء دخل معهما ، وإن رجع بأنهما لم يكرها فالأمر أمر عثمان ، فإن شاء طلحة والزبير أقــاما على طاعة علي ، وإن شاءا خرجا حتى يلحقا بطيّتهما ، والمؤمنون أعوانُ الفالح منهما .

فخرج كعب حتى يقدم المدينة ، فاجتمع الناس لقدومه ، وكان قدومه يوم جمعة ، فقام كعب فقال : يا أهل المدينة ، إني رسول أهل البصرة اليكم ، أأكرَه هؤلاء القوم هذين الرجلين على بيعة علي، أم أتيا طائعين ؟ فلم يجبه أحدٌ من القوم إلا مــا كان من أُسامة بن زيد ، فإنه قام فقال : اللهم إنهما لم يبايعا إلا وهما كارهان . فأمر به تمّام، فواثبه سهل بن حُنيف والناس ، وثار صهيب بن سنان وأبو أيوب بن زيد ، في عدة من أصحاب رسول الله ﷺ ، فيهم محمد بن مسلمة ، حين خافوا أن يُقتــل أسامة ، فقــال : اللهم نعم ، فانفرجوا عن الرجل ، فانفرجوا عنه ، وأخذ صهيب بيده حتى أخرجه فأدخله منزله ، وقال : قـد علمت أن أمّ عامر حامقة ، أما وسعك ما وسعنا من السكوت ؟ قال : لا والله ما كنت أرى أن الأمر يترامى الى ما رأيت ، وقد أبسَلَنا [1] لعظيم . فرجع كعب وقد اعتدّ طلحة والزبير فيما بين ذلك بأشياء كلها كانت مما يعتد به ، منها أن محمد بن طلحة — وكان صاحب صلاة — قام مقاماً قريباً من عثمان بن حنيف،

---

(١) أبسلت فلاناً : أسلمته للهلكة ، ط ٤ - ٤٦٨ .

فخشي بعض الزط والسيابجة [1] أن يكون جاء لغير ما جاء له، فبعثا إلى عثمان، هذه واحدة . وبلغ علياً الخبر الذي كان بالمدينة من ذلك ، فبادر بالكتاب إلى عثمان يعجزّه ويقول : والله ما أكرِها إلا كَرْهاً على فرقة ، ولقد أكرِها على جماعة وفضل ، فإن كانا يريدان الخلع فلا عذر لهما ، وإن كانا يريدان غير ذلك نظرنا ونظرا . فقدم الكتاب على عثمان بن حنيف .

عودة القتال وانتصار عائشة :

وقدم كعب فأرسلوا إلى عثمان أن اخرج عنا ، فاحتج عثمان بالكتاب وقال: هـــذا أمر آخر غير ما كنا فيه ، فجمع طلحة والزبير والرجال في ليلة مظلمة باردة ذات رياح وندى ، ثم قصدا المسجد فوافقـــا صلاة العشاء – وكانوا يؤخرونها – فأبطأ عثمان بن حنيف، فقدّما عبد الرحمن بن عتاب ، فشهر الزُّط والسيابجة السلاح ثم وضعوه فيهم ، فأقبلوا عليهم فـاقتتلوا في المسجد وصبروا لهم ، فأناموهم وهم أربعون ، وأدخلوا الرجال على عثمان ليخرجوه إليهما ، فلما وصل إليهما توطؤوه ومـا بقيت في وجهه شعرة ، فاستعظما ذلك ، وأرسلا إلى عائشة بالذي كان ، واستطلعا رأيها ، فأرسلت إليهما أن خلوا سبيله فليذهب حيث شاء ولا تحبسوه،فأخرجوا الحرس الذين كانوا مع عثمان في القصر ودخلوه، وقد كانوا يعتقبون حرس عثمان في كل يوم وفي كل ليلة أربعون،فصلى عبدالرحمن بن عتاب بالناس العشاء والفجر ، وكان الرسول فيما بين عائشة وطلحة والزبير هو ، أتاهما بالخبر ، وهو رجع إليهما بالجواب ، فكان رسول القوم .

---

(١) السيابجة : قوم من السند كانوا بالبصرة .

فأصبح طلحة والزبير [1] وبيت المـال والحرس في أيديهما ، والناس معهما ، ومن لم يكن معهما مغمور مستسرّ ، وبعثا حين أصبحا بأن حُكيماً في الجمع ، فبعثت : لا تحبسا عثمان ودَعاه . ففعلا ، فخرج عثمان فمضى لطلبته ، وأصبح حكيم بن جَبَلَة في خيله على رجل فيمن تبعه من عبد القيس ومن نزع إليهم من أفناء ربيعة ، ثم وجهوا نحو دار الرزق وهو يقول : لست بأخيه إن لم أنصره ، وجعل يشتم عائشة رضي الله عنهـــا فسمعته امرأة من قومه ، فقالت : يا ابن الخبيثة ، أنت أولى بذلك ، فطعنها فقتلها ، فغضبت عبد القيس إلا من كان اغتُمِر منهم ، فقالوا : فعلت بالأمس وعدت لمثل ذلك اليوم ! والله لندعنك حتى يقيدك الله . فرجعوا وتركوه ، ومضى حكيم بن جبلة فيمن غزا معه عثمان ابن عفان وحصره من نزّاع القبائل كلها ، وعرفوا أن لا مقام لهم بالبصرة ، فاجتمعوا إليه ، فانتهى بهم إلى الزّابوقة عند دار الرزق ، وقالت عائشة : لا تقتلوا إلا من قاتلكم ، ونادوا من لم يكن من قتلة عثمان رضي الله عنه فليكفف عنا ، فإنا لا نريد إلا قتلة عثمان ولا نبدأ أحداً ، فأنشب حُكيم القتـــال ولم يُرَعْ للمنادي، فقال طلحة والزبير: الحمد لله الذي جمع لنا ثأرنا من أهل البصرة اللهم لا تبق منهم أحداً، وأقِدْ منهم اليوم فاقتلهم . فجادّوهم القتال ، فاقتتلوا أشد قتال ومعه أربعة قواد ، فكان حُكيم بجيال طلحة، وَذريح بجيال الزبير، وابن المحرّش بجيال عبد الرحمن بن عتّاب، وحُرقوص بن زهير بجيال عبدالرحمن ابن الحارث بن هشام ، فزحف طلحة لحكيم وهو في ثلثمائة رجل، وجعل حكيم يضرب بالسيف ويقول :

أضرِبُهُم باليابسِ ضربَ غُلامٍ عابسِ
من الحيـــاة آيس في الغُرفات نافسِ

---

(١) ما زال الحديث حديث سيف عن محمد وطلحة ، ط ٤ – ٤٧٠ .

فضرب رجل رِجله فقطعها، فحبا حتى أخذها فرمى بهـا صاحبه، فأصاب جسده فصرعه ، فأتاه حتى قتله ، ثم اتكأ عليه وقال :

يا فخذِ لن تراعي إنَّ معي ذراعي
أحمي بها كراعي

وقال وهو يرتجز :

ليس عليَّ أن أموتَ عارُ والعار في النـاس هو الفرار
والمجد لا يفضحُهُ الدمار

فأتى عليه رجلٌ وهو رثيث[1] ، رأسه على الآخر، فقال : مالك يا حُكيم؟ قال : قُتلت ، قال : من قتلك ؟ قـال : وسادتي ، فاحتمله فضمه في سبعين من أصحابه ، فتكلم يومئذ حكيم وإنه لقائم على رجل ، وإن السيوف لتأخذهم فما يتعتع، ويقول : إنا خلفنا هذين وقد بايعا علياً وأعطياه الطاعة، ثم أقبلا مخالفين محاربين يطلبان بدم عثمان بن عفان، ففرقا بيننا، ونحن أهل دار وجوار . اللهم إنهما لم يريدا عثمان . فنادى منادٍ : يا خبيث جزعت حين عضك نكال الله عزّ وجل إلى كلام من نَصبَك وأصحابك بمـا ركبتم من الإمام المظلوم ، وفرّقتم من الجماعة، وأصبتم من الدماء، ونلتم من الدنيا ! فذق وبال الله عز وجل وانتقامه، وأقيموا فيمن أنتم .

وقتل ذَريح ومن معه ، وأفلت حُرقوص بن زهير في نفر من أصحابه ، فلجؤوا إلى قومهم ، ونادى منادي الزبير وطلحة بالبصرة : ألا من كان فيهم من

---

(١) الرثيث : الجريح وبه رمق .

قبائلكم أحدٌ ممن غزا المدينة فليأتنا بهم. فجيء بهم كما يُجاء بالكلاب ، فقـُتِلوا ، فما أفلت منهم من أهل البصرة جميعاً إلا حرقوص بن زهير ، فإن بني سعد منعوه ، وكان من بني سعد ، فمسَّهم في ذلك أمرٌ شديد ، وضربوا لهم فيه أجلاً وخشَّنُوا صدور بني سعد وإنهم لعثمانية حتى قالوا : نعتزل ، وغضبت عبد القيس حين غضبت سعد لمن قتل منهم بعد الوقعة ومن كان هرب اليهم إلى ما هم عليه من لزوم طاعة علي ، فأمرا للناس بأُعطياتهم وأرزاقهم وحقوقهم ، وفضّلا بالفضل أهل السمع والطاعة. فخرجت عبدالقيس وكثيرٌ من بَكر بن وائل حين زووا عنهم الفضول ، فبادروا إلى بيت المـــال ، وأكبَّ عليهم الناس فأصابوا منهم ، وخرج القوم حتى نزلوا على طريق علي ، وأقام طلحة والزبير ليس معهما بالبصرة ثأر إلا حرقوص ، وكتبوا إلى أهل الشأم بمـا صنعوا وصاروا اليه : إنا خرجنا لوضع الحرب ، وإقامة كتاب الله عز وجل بإقامة حدوده في الشريف والوضيع والكثير والقليل ، حتى يكون الله عز وجل هو الذي يردنا عن ذلك ، فبايَعنَا خيار أهل البصرة ونجباؤهم ، وخالفنا شرارهم ونزّاعهم ، فردونا بالسلاح وقالوا فيما قالوا : نأخـــذ ام المؤمنين رهينة ، أن أمرتهم بالحق وحثتهم عليه . فأعطاهم الله عز وجل سنة المسلمين مرة بعـــد مرة ، حتى إذا لم يبق حجة ولا عذراً استبسل قتلة أمير المؤمنين ، فخرجوا إلى مضاجعهم فلم يُفلت منهم مخبر إلا حرقوص بن زهير ، والله سبحانه مُقيْده إن شاء الله . وكانوا كما وصف الله عز وجل ، وإنا نناشدكم الله في أنفسكم إلا نهضتم بمثل ما نهضنا به ، فنلقى الله عز وجل وتلقونه وقد أعذرنا وقضينا الذي علينا .

وبعثوا به مع سيار العجلي ، وكتبوا إلى أهل الكوفة بمثله مع رجل من بني عمرو بن أسد يدعى مظفر بن معرض . وكتبوا إلى أهل اليمامة ، وعليها سبرة بن عمرو العنبري مع الحارث السَّدوسي . وكتبوا إلى أهل المدينـــة مع ابن قدامة القشيري ، فدسّه إلى أهل المدينة .

وكتبت عائشة رضي الله عنها إلى أهل الكوفة مع رسولهم : أما بعد فإني أذكركم الله عز وجل والاسلام ، أقيموا كتاب الله بإقامة ما فيه ، إتقوا الله واعتصموا بحبله[1] وكونوا مع كتابه. فإنا قدمنا البصرة فدعوناهم إلى إقامة كتاب الله بإقامة حدوده . فأجابنا الصالحون إلى ذلك . واستقبلنا من لا خير فيه بالسلاح، وقالوا : لنُتبِعَنَّكم عثمان ، ليزيدوا الحدود تعطيلاً، فعاندوا فشهدوا علينا بالكفر وقالوا لنا المنكر ، فقرأنا عليهم : ﴿ ألمْ ترَ إلى الذينَ أُوتوا نصيباً من الكتابِ يُدْعَوْنَ إلى كتاب الله ليحكم بينهم ﴾[2] . فأذعن لي بعضهم ، واختلفوا بينهم ، فتركناهم وذلك ، فلم يمنع ذلك من كان منهم على رأيه الأول من وضع السلاح في أصحابي ، وعزم عليهم عثمان بن حُنَيف إلا قاتلوني حتى منعني الله عز وجل بالصالحين فردّ كيدهم في نحورهم ، فمكثنا ستاً وعشرين ليلة ندعوهم إلى كتاب الله وإقامة حدوده — وهو حقن الدماء أن تُهرَاق دون من قد حلّ دمه — فأبوا واحتجُّوا بأشياء ، فاصطلحنا عليها ، فخافوا وغدروا وخانوا ، فجمع الله عز وجل لعثمان رضي الله عنه ثأرهم ، فأقادهم فلم يُفلت منهم إلا رجلٌ وأرْدَأنا الله ، ومنعنا منهم بعُمير بن مرثد ومرثد بن قيس ، ونفر من قيس ، ونفر من الرّباب والأزد . فالزموا الرضا إلا عن قتلة عثمان بن عفان حتى يأخذ الله حقه ، ولا تخاصموا الخائنين ولا تمنعوهم ، ولا ترضَوا بِذُوِي حدود الله فتكونوا من الظالمين. فكتبتُ إلى رجال بأسمائهم. فثبّطوا الناس عن منع هؤلاء القوم ونُصرتهم واجلسوا في بيوتكم ، فإن هؤلاء القوم لم يرضوا بما صنعوا بعثمان بن عفان رضي الله عنه ، وفرّقوا بين جماعة الأمة ، وخالفوا الكتاب والسُّنّة ، حتى شهدوا علينا فيما أمرناهم به ، وحثثناهم عليه من إقامة كتاب الله وإقامة حدوده بالكفر ، وقالوا لنا المنكر ، فأنكر

(١) ط ٤ - ٤٧٣ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٢٣ .

ذلك الصالحون وعظموا ما قالوا ، وقالوا : ما رضيتم أن قتلتم الإمام حتى خرجتم على زوجة نبيكم ﷺ ، أن أمرتكم بالحق ، لتقتلوها وأصحابَ رسول الله ﷺ وأئمة المسلمين ! فعزموا وعثمان بن حُنيف معهم على من أطاعهم من جهّال الناس وغوغائهم على زُطهم وسيابجهم ، فلُذنا منهم بطائفة من الفسطاط ، فكان ذلك الدّأب ستة وعشرين يوماً ، ندعوهم إلى الحق وألا يحولوا بيننا وبين الحق ، فغدروا وخانوا فلم نقايسهم[1] ، واحتجّوا ببيعة طلحة والزبير ، فأبردوا بريداً فجاءهم بالحجة ، فلم يعرفوا الحق ولم يصبروا عليه ، فغادَوْني في الغَلَس ليقتلوني ، والذي يحاربهم غيري ، فلم يبرحوا حتى بلغوا سدّة بيتي ومعهم هادٍ يهديهم إليّ ، فوجدوا نفراً على باب بيتي ، منهم عُمير بن مَرْثَد ، ومرثد بن قيس ، ويزيد بن عبد الله بن مرثد ، ونفر من قيس ، ونفر من الرّباب والأزد ، فدارت عليهم الرحى ، فأطاف بهم المسلمون فقتلوهم ، وجمع الله عز وجل كلمة أهل البصرة على ما أجمع عليه الزبير وطلحة ، فإذا قتلنا بثأرنا وسعنا الغدر .

وكانت الوقعة لخمس ليالٍ بقينَ من ربيع الآخر سنة ست وثلاثين .

وكتب عبيد بن كعب في جُمادى .

مسير علي بن أبي طالب الى البصرة :

لما أتى علياً الخبرُ[2] وهو بالمدينة بأمر عائشة وطلحة والزبير أنهم قد توجّهوا نحو العراق ، خرج يبادر وهو يرجو أن يدركهم ويردّهم ، فلما انتهى إلى الربذة [كما مرّ معنا ص ١١٩] أتاه عنهم أنهم قد أمعنوا . فأقام بالربَذة

---

(١) أي لم نجارهم ونقابلهم المثل بالمثل .

(٢) عن عبيدة بن معتب ، عن يزيد الضخم ، ط ٤ - ٤٧٧ .

أياماً ، وأتاه عن القوم أنهم يريدون البصرة ، فسري بذلك عنه ، وقــال : إن أهل الكوفة أشدّ إليّ حُباً ، وفيهم رؤوس العرب وأعلامهم . فكتب اليهم : إني قد اخترتكم على الأمصار وإني بالأثرة [١] .

[و] لما قدم علي الرَّبذَة [٢] أقام بها وسرّح منها إلى الكوفـة محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر ، وكتب إليهم : إني اخترتكم على الأمصار وَفزعت اليكم لما حدث ، فكونوا لدين الله أعواناً وأنصاراً ، وأيّدونا وانهضوا إلينا فالاصلاح ما نريد ، لتعود الأمة اخواناً ومن أحب ذلك وآثره فقد أحب الحق وآثره ، ومن أبغض ذلك فقد أبغض الحق وغمصه [٣]. فمضى الرجلان وبقي علي بالرَّبذَة يتهيأ ، وأرسل إلى المدينة فلحقه مــا أراد من دابة وسلاح ، وأمِر أمرُه [٤] وقام في الناس فخطبهم ، وقال : إن الله عز وجل أعزنا بالإسلام ورفعنا بــه وجعلنا به إخواناً بعد ذلّة وقلّة وتباغض وتبــاعد ، فجرى الناس على ذلك مــا شاء الله . الإسلام دينهم ، والحق فيهم ، والكتاب أمامهم ، حتى أُصيب هذا الرجل بأيدي هؤلاء القوم الذين نزغهم الشيطان لينزغ بين هــذه الأمة ، ألا إن هذه الأمة لا بدّ مفترقة كما افترقت الأمم قبلهم ، فنعوذ بالله من شر ما هو كائن . ثم عاد ثانية ، فقال : إنه لا بد مما هو كائن أن يكون ، ألا وإن هــذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ، شرّها فرقـة تنتحلني ولا تعمل بعملي ، فقد أدركتم ورأيتم ، فالزموا دينكم واهدوا بهدي نبيكم ﷺ ، واتبعوا سنته ،

---

(١) الأثرة : الحال غير المرضية – الكرمة المتوارثة . (أقرب الموارد)
(٢) عن محمد وطلحة ، ط ٤ – ٤٧٨ .
(٣) غمصه : أي تهون به .
(٤) أمر أمره : اشتد أمره .

وأعرضوا ما أشكل عليكم على القرآن ، فما عرّفه القرآن فالزموه وما أنكره فردّوه ، وارضوا بالله جل وعز رباً وبالاسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً، وبالقرآن حكماً وإماماً .

[و] لما أراد علي[1] الخروج من الربذة الى البصرة قام اليه ابن لرفاعة بن رافع، فقال : يا أمير المؤمنين ، أي شيء تريد؟ وإلى أين تذهب بنا ؟ فقال : أما الذي نريد وننوي فالاصلاح ، إن قبلوا منا وأجابونا اليه ، قال : فإن لم يجيبوا اليه ؟ قال : ندعُهم بعذرهم ونعطيهم الحق ونصبر، قال: فإن لم يرضوا؟ قال : ندعهم ما تركونا ، قال : فإن لم يتركونا ؟ قال : امتنعنا منهم ، قال : فنعم إذاً . وقام الحجاج بن غزية الأنصاري فقال : لأرضينك بالفعل كما أرضيتني بالقول ، وقال :

دَرَاكها دراكها قبل الفوت وانفر بنا واسمُ نحو الصوت
لا وَألَتْ نفسي إن هِبتُ الموت

والله لأنصرن الله عز وجل كما سمانا أنصاراً . فخرج أمير المؤمنين وعلى مقدمته أبو ليلى بن عمر بن الجراح ، والراية مع محمد بن الحنفية ، وعلى الميمنة عبد الله بن عباس ، وعلى الميسرة عمر بن أبي سلمة أو عمرو بن سفيان بن عبد الأسد ، وخرج علي وهو في سبعمائة وستين ، وراجز علي يرجز به :

سيروا أبابيلَ وحُثُّوا السَّيرَا إذا عزم السَّيْرَ وقولوا خيرا
حتى يلاقوا وتلاقوا خيراً نغزو بها طلحة والزبيرا

وهو أمام أمير المؤمنين ، وأمير المؤمنين علي على ناقة له حمراء يقود فرساً

---

(٢) عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٤٧٨ .

كميتاً . فتلقاهم بفَيْدَ غلامٌ من بني سعد بن ثعلبة بن عامر يدعى مرة ، فقال: من هؤلاء ؟ فقيل : أمير المؤمنين، فقال : سفرة فانية فيها دماء من نفوس فانية، فسمعها علي ، فدعاه ، فقال : ما اسمك؟ قال : مُرّة ، قال : أمرّ الله عيشك، كاهن سائر اليوم؟ قال : بل عائف[1] . فلما نزل بفيد أتته أسد وطيء فعرضوا عليه أنفسهم ، فقال : الزموا قراركم ، في المهاجرين كفاية . وقدم رجلٌ من أهل الكوفة فيْداً قبل خروج علي فقال : من الرجل ؟ قال : عامر بن مطر ، قال : الليثي ؟ قال : الشيباني ، قال : أخبرني عما وراءك ، قال : فأخبره حتى سأله عن أبي موسى ، فقال : إن أردت الصلح فأبو موسى صاحب ذلك ، وإن أردت القتال فأبو موسى ليس بصاحب ذلك ، قال : والله ما أُريد إلا الاصلاح حتى يُردَّ علينا ، قال : قد أخبرتك الخبر ، وسكت وسكت علي .

ولما نزل علي الثعلبية[2] أتاه الذي لقي عثمان بن حنيف وحرسه ، فقام وأخبر القوم الخبر ، وقال : اللهم عافني مما ابتليتَ به طلحة والزبير من قتل المسلمين ، وسلمنا منهم أجمعين. ولما انتهى إلى الإساد أتاه ما لقي حكيم بن جبلة وقَتَلَةُ عثمان بن عفان رضي الله عنه ،فقال : الله أكبر ، ما ينجيني من طلحة والزبير إذ أصابا ثأرهما أو ينجيهما؟ وقرأ: ﴿ ما أصابَ من مُصيبةٍ في الأرضِ ولا في أنفُسِكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها ﴾[3] . وقال :

دعا حُكيمٌ دعوة الزّماع ... حلَّ بها منزلةَ النّزاع

---

(١) العائف : هو الذي يزجر الطير (يتكهن بجهة طيران الطير ويتنبأ به) .
(٢) عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٤٨١ .
(٣) سورة الحديد ، الآية : ٢٢ .

ولما انتهوا إلى ذي قار انتهى اليه فيها عثمان بن حنيف ، وليس في وجهه شعر ، فلما رآه علي نظر إلى أصحابه فقال : انطلق هذا من عندنا وهو شيخٌ ، فرجع الينا وهو شاب . فلم يزل بذي قار يتلوم محمداً ومحمداً . وأتاه الخبر بما لقيت ربيعة وخروج عبد القيس ونزولهم بالطريق ، فقال : عبد القيس خيرُ ربيعة ،وفي كل ربيعة خير . وقال :

يا لهفَ نفسي على ربيعةْ ربيعة السامِعةِ المطيعةْ
قد سبقتني فيهم الوقيعة دعا عليٌّ دعوةً سميعة
حَلـُّوا بها المنزلة الرفيعة

قال : وعرضت عليه بكر بن وائل ، فقال لهم مثل ما قال لطيء وأسد .

موقف أبي موسى الأشعري :

ولما قدم محمد ومحمد على الكوفة ، وأتيا أبا موسى بكتاب أمير المؤمنين ، وقاما في الناس بأمره ، فلم يُجابا إلى شيء ، فلما أمسوا دخل ناسٌ من أهل الحجى على أبي موسى فقالوا : ما ترى في الخروج ؟ فقال : كان الرأي بالأمس ليس باليوم ، إن الذي تهاونتم به فيما مضى، هو الذي جرّ عليكم ما ترون ، وما بقي إنما هما أمران : القعود سبيل الآخرة ، والخروج سبيل الدنيا ، فاختاروا . فلم ينفر اليه أحدٌ، فغضب الرجلان وأغلظا لأبي موسى، فقال ابو موسى : والله إن بيعة عثمان رضي الله عنه لفي عنقي وعنق صاحبكما ، فإن لم يكن بدٌ من قتال ، لا نقاتل احداً حتى يُفرَغ من قتلة عثمان حيث كانوا . فانطلقا الى علي فوافياه بذي قار وأخبراه الخبر ، وقد خرج مع الأشتر وقد كان يعجل إلى الكوفة ، فقال علي : يا أشتر ، أنت صاحبنا في أبي موسى والمعترض في كل شيء ، إذهب انت وعبد الله بن عباس فأصلح ما أفسَدت .

فخرج عبد الله بن عباس ومعه الأشتر ، فقدما الكوفة وكلما أبا موسى واستعانا عليه بأناس من الكوفة ، فقال للكوفيين: انا صاحبكم يوم الجرَعَة وأنا صاحبكم اليوم ، فجمع الناس فخطبهم وقال : أيها النـاس ، إن اصحاب النبي ﷺ الذين صحبوه في المواطن أعلم بالله جل وعز وبرسوله ﷺ ممن لم يصحبه ، وإن لكم علينا حقاً فأنا مؤديه اليكم ؟ كان الرأي ألا تستخفوا بسلطان الله عز وجل ، ولا تجترئوا على الله عز وجل ، وكان الرأي الثاني أن تأخذوا من قدم عليكم من المدينة فتردوهم اليها حتى يجتمعوا، وهم أعلم بمن تصلح له الإمامة منكم، ولا تكلّفوا الدخول في هـذا ، فأما إذ كان ما كان فإنها فتنة صماء ، النائم فيها خير من اليقظان ، واليقظان فيها خير من القاعد ، والقـاعد خير من القائم ، والقائم خير من الراكب، فكونوا جرثومة من جراثيم العرب،فاغمدوا السيوف وأنصلوا الأسنة ، واقطعوا الأوتار ، وآووا المظلوم والمضطهد حتى يلتئم هـذا الأمر ، وتنجلي هذه الفتنة .

ولما رجع [١] ابن عباس إلى علي بالخبر دعا الحسن بن علي فأرسله ، فأرسل معه عمـار بن ياسر ، فقال له : انطلق فأصلح ما أفسدت ، فأقبلا حتى دخلا المسجد ، فكان أول من أتاهمـا مسروق بن الأجدع ، فسلم عليهما ، وأقبل على عمار فقال : يا أبا اليقظان ، علام قتلتم عثمان رضي الله عنه ؟ قال : على شتم أعراضنا وضرب أبشارنا ! فقال: والله ما عاقبتم بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لكان خيراً للصابرين . فخرج أبو موسى ، فلقي الحسن فضمه إليه ، وأقبل على عمـار فقال : يا أبا اليقظان ، أعَدَوتَ فيمن عدا على أمير المؤمنين ، فأحللت نفسك مع الفُجّار ؟ فقال : لم أفعل ، ولم تسؤني ؟ وقطع عليهما الحسن فأقبل على أبي موسى ، فقال : يا أبا موسى ، لم تثبط الناس عنا ؟ فوالله مـا أردنا إلا

(١) ما زال الحديث عن محمد وطلحة ، ط ٤ – ٤٨٣ .

الإصلاح، ولا مثل أمير المؤمنين يُخاف على شيء. فقال: صدقت بأبي أنت وأمي، ولكن المستشار مؤتمن، سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إنها ستكون فتنة، القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الراكب » قد جعلنا الله عز وجل إخواناً، وحرّم علينا أموالنا ودماءنا، وقال: ﴿ يا أيُّها الذينَ آمنُوا لا تأكُلوا أموالَكمُ بينكم بالباطل ﴾ [1]، ﴿ ولا تقتلُوا أنفُسَكم إنّ الله كان بكم رحيماً ﴾ [2]. وقال جل وعز: ﴿ ومن يقتلْ مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم ﴾ [3]، فغضب عمارٌ وساءه وقام وقال: يا أيها الناس، إنما قال له خاصة: أنت فيها قاعداً خير منك قائماً. وقام رجل من بني تميم فقال لعمار: أسكت أيها العبد، أنت أمس مع الغوغاء واليوم تسافه أميرنا، وثار زيد بن صوحان وطبقته، وثار الناس وجعل أبو موسى يكفكف الناس، ثم انطلق حتى أتى المنبر، وسكن الناس، وأقبل زيد على حمار حتى وقف بباب المسجد ومعه الكتابان من عائشة رضي الله عنها إليه وإلى أهل الكوفة، وقد كان طلب كتاب العامة فضمه إلى كتابه، فأقبل بهما ومعه كتاب الخاصة وكتاب العامة: أما بعد، فثبّطوا أيها الناس واجلسوا في بيوتكم إلا عن قتلة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

فلما فرغ من الكتاب قال: أُمِرَتْ بأمر وأُمِرنا بأمر. أُمرت ان تقرّ في بيتها وأُمرنا ان نقاتل حتى لا تكون فتنة، فأمرتنا بما أُمرت به، وركبت ما أُمرنا به. فقام اليه شبثُ بن ربعي فقال: يا عُماني — وزيد من عبد القيس عمان وليس من أهل البحرين — سرقتَ بجلولاء فقطعك الله، وعصيتَ أم المؤمنين فقتلك الله! ما أمرَتْ إلا بما أمر الله عز وجل به بالإصلاح بين الناس، فقلت:

(١ — ٢) سورة النساء، الآية: ٩٢.
(٣) سورة النساء، الآية: ٩٣.

ورب الكعبة ، وتهاوى الناس . وقام ابو موسى فقال : أيها الناس ، أطيعوني تكونوا جرثومة من جرائيم العرب يأوي اليكم المظلوم ويأمن فيكم الخائف ، إنّا أصحاب محمد ﷺ أعلم بما سمعنا ، إن الفتنة إذا أقبلت شبّهت وإذا أدبرت بينت ، وإن هذه الفتنة باقرة كَدَاء البطن تجري بها الشمال والجنوب والصَّبا والدَّبور ، فتسكن أحياناً فلا يُدرى من أين تؤتى ، تذر الحليم كابن أمس ، شيموا [1] سيوفكم وقصّدوا [2] رماحكم ، وأرسلوا سهامكم ، واقطعوا أوتاركم ، والزموا بيوتكم . خلّوا قريشاً - إذا أبوا إلا الخروج من دار الهجرة وفراق أهل العلم بالإمرة - تُرتق فتقها وتشعَب صدعها، فإن فعلت فلأنفسها سعت ، وإن أبت فعلى أنفسها منت [3] ، سمنها تهريق في أديمها ، استنصحوني ولا تستغشّوني ، وأطيعوني يسلم لكم دينكم ودنياكم ، ويشقى بحرّ هذه الفتنة من جناها .

فقام زيد فشال يَده المقطوعة فقال : يا عبد الله بن قيس ، ردّ الفرات عن دراجه [4] ، اردده من حيث يجيء حتى يعود كما بدأ ، فإن قدرت على ذلك فستقدر على ما تريد ، فدعْ عنك ما لست مُدركه . ثم قرأ . ﴿ الم . أحَسِبَ النَّاسُ أن يُترَكوا ﴾ [5] إلى آخر الآيتين ، سيروا إلى أمير المؤمنين وسيد المسلمين ، وانفروا اليه أجمعين تصيبوا الحق .

فقام القعقاع بن عمرو فقال : إني لكم ناصح ، وعليكم شفيق ، احب ان ترشُدوا ، ولأقولن لكم قولاً هو الحق ، أما ما قال الأمير فهو الأمر لو أن اليه

---

(١) شام السيف : أغمده .
(٢) قصدوا رماحكم : اكسروها .
(٣) أي جلبت لنفسها المنية .
(٤) أي منحدره وطريقه .
(٥) سورة العنكبوت ، الآية ٢ .

سبيلا ، وأمـا ما قال زيد فزيدٌ في الأمر فلا تستنصحوه فإنه لا ينتزع أحد من الفتنة طعن فيها وجرى اليها ، والقول الذي هو القول إنه لا بد من إمارة تنظم الناس وتزغ الظالم وتُعِزّ المظلوم ، وهذا علي يلي بما ولي ، وقد أنصف في الدعاء وإنما يدعو الى الإصلاح ، فانفروا و كونوا من هذا الأمر بمرأى ومسمع .

وقال سَيْحان : أيهـا الناس ، إنه لا بد لهذا الأمر وهؤلاء الناس من والٍ يدفع الظالم ويُعِزّ المظلوم ويجمع الناس ، وهـذا واليكم يدعوكم لينظر فيما بينه وبين صاحبيه ، وهو المأمون على الأمة ، الفقيه في الدين ، فمن نهض اليـه فإنـّا سائرون معه .

ولانَ عمار بعد نزوته الاولى . فلما فرغ سَيْحان من خطبته ، تكلم عمار فقال : هـذا ابن عم رسول الله ﷺ يستنفركم الى زوجة رسول الله ﷺ وإلى طلحة والزبير [1] . وإني أشهد أنهـا زوجته في الدنيا والآخرة ، فانظروا ثم انظروا في الحق فقاتلوا معه . فقال رجل : يا أبا اليقظان ، لهو مع من شهدتَ له بالجنة على من لم تشهد له . فقـال الحسن : اكفف عنا يا عمـار ، فإن للإصلاح أهلا .

وقام الحسن بن علي ، فقال : يا أيها النـاس ، أجيبوا دعوة أميركم ، وسيروا الى إخوانكم ، فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر اليه ، والله لأن يليَه أُولو النهي أمثلُ في العاجلة وخير في العاقبة ، فأجيبوا دعوتنا وأعينونا على مـا ابتلينا به وابتليتم . فسامح الناس وأجابوا ورضوا به . وأتى قوم من طيء عديّاً فقالوا: ماذا ترى وماذا تأمر ؟ فقال : ننتظر ما يصنع الناس،فأخبِر بقيـام الحسن وكلام من تكلم ، فقال : قد بايعنا هـذا الرجل ، وقد دعانا الى جميل ، وإلى هذا الحدَث العظيم لننظر فيه ، ونحن سائرون وناظرون .

---

(١) ما زالت الرواية عن محمد وطلحة ، ط ٤ – ٤٨٥ .

وقام هند بن عمرو ، فقال : إن أمير المؤمنين قد دعانا وأرسل الينا رُسله حتى جاءنا ابنه ، فاسمعوا الى قوله ، وانتهوا الى أمره ، وانفروا الى أميركم فانظروا معه في هذا الأمر وأعينوه برأيكم .

وقام حُجر بن عدي ، فقال : أيها الناس أجيبوا أمير المؤمنين وانفروا خفافاً وثقالاً ، وأنا أولكم . وقام الأشتر فذكر الجاهلية وشدتها ، والإسلام ورخاءه ، وذكر عثمان رضي الله عنه فقام إليه المقطع بن الهيثم بن فجيع العامري ثم البكائي ؛ فقال : اسكت قبحك الله ! كلبٌ خُلـّي والنـُّباح ، فثار الناس فأجلسوه .

وقام المقطـّع ، فقال : إنا والله لا نحتمل بعدها أن يبوء أحد بذكر أحد من أئمتنا ، وإن علياً عندنا لمقـْنع ، والله لئن يكن هذا الضرب لا يرضى به علي ، فعضٌّ امرؤ على لسانه في مشاهدنا ، فأقبلوا على ما أحثاكم .

فقال الحسن : صدق الشيخ ، وقال الحسن : أيها الناس إني غادٍ فمن شاءَ منكم أن يخرج معي على الظهر ، ومن شاء فليخرج في الماء ، فنفر معه تسعة آلاف فأخذ بعضهم البر ، وأخذ بعضهم الماء وعلى كل سُبْع رجُلٌ ، أخذ البرّ ستة آلاف ومائتان ، وأخذ الماء ألفان وثمانمائة .

نزول أمير المؤمنين «عليّ» ذا قار :

لما التقوا بذي قار [1] تلقاهم علي في أناس ، فيهم ابن عباس فرحب بهم ،

---

(١) عن عمرو ، عن الشعبي ، ط ٤ - ٤٨٧ .

وقال : يا أهل الكوفة ، أنتم وليتم شوكة العجم وملوكهم ، وفضضتم جموعهم ، حتى صارت إليكم مواريثهم ، فأغنيتم حوزتكم ، وأعنتم الناس على عدوهم ، وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة ، فإن يرجعوا فذاك ما نريد وإن يلجوا داويناهم بالرفق، وبايناهم حتى يبدؤونا بظلم ، ولن ندع أمراً فيه صلاحٌ إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله ولا قوة إلا بالله .

فاجتمع بذي قار سبعة آلاف ومائتان ، وعبد القيس بأسرها في الطريق بين علي وأهل البصرة ينتظرون مرور علي بهم ، وهم آلاف — وفي الماء الفان وأربعمائة .

مساعي الاصلاح :

[وفي رواية أخرى] [1] .

لما نزل علي ذا قار أرسل ابن عباس والأشتر بعد محمد بن ابي بكر ومحمد بن جعفر ، وارسل الحسن بن عليّ وعماراً بعد ابن عباس والأشتر ، فخف في ذلك الأمر جميع من كان نفَر فيه ، ولم يقدُم فيه الوجوه اتبـــاعهم ، فكانوا خمسة آلاف اخذ نصفهم في البر ونصفهم في البحر ، وخف من لم ينفر فيها ولم يعمل لها . وكان على طاعته [2] ملازماً للجماعة ، فكانوا اربعة آلاف . فكان رؤساء الجمـــاعة : القعقاع بن عمرو ، وسعد[3] بن مالك ، وهند بن عمرو ، والهيثم بن شهاب ، وكان رؤساء النـّفـّار : زيد بن صوحان ، والأشتر مالك بن الحارث ، وعدي بن حاتم ، والمسيّب بن نَجبَة ، ويزيد بن قيس ومعهم اتباعهم وامثال

(١) عن محمد وطلحة ، ط ٤ — ٤٨٦ .
(٢) في نسخة « وكان علي ظاعناً » .
(٣) في نسخة : « سعد » .

لهم ليسوا دونهم إلا انهم لم يؤمّروا ،منهم حُجر بن عدي وابن مَحْدوج البكريّ وأشباه لهما لم يكن في اهل الكوفة احد على ذلك الرأي غيرهم . فبادروا في الوقعة إلا قليلاً ، فلما نزلوا على ذي قار دعا القعقاعَ بن عمرو فأرسله إلى اهل البصرة وقال له : الق هذين الرجلين يابن الحنظلية – وكان القعقاع من اصحاب النبي ﷺ – فادعهما إلى الالفة والجماعة ، وعظّم عليهما الفرقة ، وقال له : كيف أنت صانع فيما جاءك منهما مما ليس عندك فيه وصاة مني ؟ فقال : نلقاهم بالذي أمرتَ به ، فإذا جاء منهما أمر ليس عندنا منك فيه رأي اجتهدنا الرأي وكلمناهم على قدر ما نسمع ونرى أنه ينبغي . قال : أنت لها . فخرج القعقاع حتى قدم البصرة ، فبدأ بعائشة رضي الله عنها فسلم عليها ، وقال : أي أمّه ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة ؟ قالت : أي بنيّ ، إصلاح بين الناس ، قال : فابعثي إلى طلحة والزبير حتى تسمعي كلامي وكلامهما ، فبعثت اليهما فجاءا ، فقال : إني سألت ام المؤمنين ما أشخصها وأقدمها هذه البلاد ؟ فقالت : إصلاح بين الناس ، فما تقولان أنتما ؟ أمتابعان أم مخالفان ؟ قالا : متابعان ، قال : فأخبراني ما وجه هذا الإصلاح ؟ فوالله لئن عرفنا لنُصلحنّ ، ولئن أنكرناه ، لا نصلح. قالا : قتلة عثمان رضي الله عنه ، فإن هذا إن تُرك كان تركاً للقرآن ، وإن عُمل به كان إحياء للقرآن . فقال : قد قَتَلْتُما قتلة عثمان من أهل البصرة ، وأنتم قبل قتلهم اقرب إلى الاستقامة منكم اليوم ، قتلتم ستمائة إلا رجلاً ، فغضب لهم ستة آلاف واعتزلوكم وخرجوا من بين أظهركم ، وطلبتم ذلك الذي أُفلت – يعني حُرقوص بن زهير – فمنعه ستة آلاف وهم على رِجْل ، فإن تركتموه كنتم تاركين لما تقولون ، وإن قاتلتموهم والذين اعتزلوكم فأديلوا عليكم فالذي حذِرتم وقربتم به هذا الأمر اعظم مما أراكم تكرهون ، وأنتم أحميتم مضر وربيعة من هذه البلاد ، فاجتمعوا على حربكم وخذلانكم نصرة لهؤلاء ، كما اجتمع هؤلاء لأهل هذا الحدث العظيم والذنب الكبير . فقالت ام المؤمنين : فتقول أنت

ماذا ؟ قال : اقول هذا الأمر دواؤه التسكين ، وإذا سكن اختُلِجوا ، فإن أنتم بايعتمونا فعلامة خير وتباشير رحمة ودَركٌ بثأر هـذا الرجل ، وعافية وسلامة لهذه الامة ، وإن أنتم أبيتم إلا مكابرة هـذا الأمر واعتسافه ، كانت علامة شر ، وذهاب هذا الثأر ، وبعثة الله في هـذه الامة هَزاهزها ، فآثروا العافية ترزقوها ، وكونوا مفاتيح الخير كما كنتم تكونون ، ولا تعرّضونا للبلاء ولا تعرّضوا له فيصرعنا وإياكم. وأيم الله إني لأقول هذا وأدعوكم اليه وإني لخائف ألا يتم حتى يأخذ الله عز وجل حاجته من هذه الامة التي قلّ متاعُها ونزل بهـا ما نزل ، فإن هـذا الأمر الذي حدث أمر ليس يقدّر ، وليس كالأمور ، ولا كقتل الرجل الرجل ، ولا النفر الرجل، ولا القبيلة الرجل . فقالوا : نعم ، إذاً قد أحسنت وأصبت المقالة ، فارجع فإن قدم علي وهو على مثل رأيك صلح هذا الأمر . فرجع إلى علي فأخبره فأعجبه ذلك ، وأشرف القوم على الصلح ، كرِهَ ذلك من كرهه ، ورضيَه من رضيه .

وأقبلت وفود البصرة نحو علي حين نزل بذي قار ، فجاءت وفود تميم وبكر قبل رجوع القعقاع لينظروا ما رأي اخوانهم من اهل الكوفة ، وعلى أي حال، نهضوا إليهم، وليعلموهم أن الذي عليه رأيهُم الإصلاح ، ولا يخطر لهم قتالٌ على بال . فلمـا لقوا عشائرهم من اهل الكوفة بالذي بعثهم فيه عشائرهم من اهل البصرة وقال لهم الكوفيون مثل مقالتهم،وأدخلوهم على علي فأخبروه خبرهم، سأل علي جرير بن شرس عن طلحة والزبير ، فأخبره عن دقيق أمرهما وجليله حتى تمثل له :

ألا أبْلغْ بني بكرٍ رسولاً فليس الى بني كعب سبيلُ
سيرجع ظلمُكم منكمُ عليكمْ طويلُ الساعدين له فضول

وتمثل علي عندها :

ألم تعـــلم أبا ِسمعان أنا ... نردُ الشيخ مثلك ذا الصُّداعِ
ويَذهَل عقله بالحرب حتى ... يقومَ فيستجيبَ لغير داعِ
فدافعَ عن خزاعة جمعُ بكرٍ ... وما بك يا ُسراقة من دفاع

[و] لما جاءت[١] وفود اهل البصرة الى اهل الكوفة ورجع القعقاع من عند ام المؤمنين وطلحة والزبير بمثل رأيهم ، جمع علي الناس ، ثم قام على الغرائر ، فحمد الله عز وجل وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ. وذكر الجاهلية وشقاءها والاسلام والسعادة وإنعام الله على الامة بالجماعة بالخليفة بعـد رسول الله ﷺ ، ثم الذي يليه ، ثم حدث هذا الحدث الذي جرّه على هذه الامة أقوامٌ طلبوا هذه الدنيا ، حسدوا من أفاءها الله عليه على الفضيلة ، وأرادوا ردّ الأشياء على أدبارها ، والله بالغ أمره ، ومصيب ما أراد . ألا وإني راحلٌ غداً فارتحلوا ، ألا ولا يرتحلن غداً أحـدٌ أعان على عثمان بشيء في شيء من امور النـاس ، وليُغْنِ السفهاء عني أنفسهم .

رؤوس الفتنة يحبطون مساعي الاصلاح :

فاجتمع نفر ، منهم ِعلباء بن الهيثم ، وعدي بن حاتم ، وسالم بن ثعلبة العبسي و ُشريح بن أوفى بن ضبيعة ، والأشتر ، في عدّة ممن سار إلى عثمان ، ورضي بسير من سار ، وجاء معهم المصريون : ابن السوداء وخالد بن ملجم وتشاوروا فقالوا : ما الرأي ؟ وهذا والله علي ، وهو أبصر الناس بكتاب الله وأقرب ممن

---

(١) عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٤٩٣ .

يطلب قتلة عثمان وأقربهم إلى العمل بذلك ، وهو يقول ما يقول ، ولم ينفر إليه إلا هم والقليلُ من غيرهم ، فكيف به إذا شام القوم وشاموه [1] ، وإذا رأوا قلتنا في كثرتهم ؟ أنتم والله ترادون ، ومـا أنتم بأنجى من شيء . فقال الأشتر : أما طلحة والزبير فقد عرفنا أمرهما ، وأما علي فلم نعرف أمره حتى كان اليوم ورأي الناس فينـــا والله واحد ، وإن يصطلحوا وعلي ، فعلى دمائنا ، فهلموا فلنتواثب على علي فلنلحقه بعثمان ، فتعود فتنة يرضى منا فيها بالسكون .

فقـال عبد الله بن السوداء : بئس الرأي رأيت ! أنتم يا قتلة عثمان من أهل الكوفة بذي قار ألفان وخمسمائة أو نحو من ستمائة ،وهذا ابن الحنظلية وأصحابه في خمسة آلاف بالأشواق إلى أن يجدوا إلى قتالكم سبيلا ،فارقأ على ظَلْعك [2] .

وقال عِلباء بن الهيثم : انصرفوا بنا عنهم ودعوهم ، فإن قلّوا كان أقوى لعدوهم عليهم ، وإن كثروا كان أحرى أن يصطلحوا عليكم ، دعوهم وارجعوا فتعلقوا ببلد من البـلدان حتى يأتيكم فيه من تتقون به ، وامتنعوا من الناس .

فقال ابن السوداء : بئس ما رأيت ! ودّ والله الناس أنكم على جديلة [3] ، ولم تكونوا مع أقوام برآء ، ولو كان ذلك الذي تقول لتخطفكم كل شيء . فقال عدي بن حاتم : والله ما رضيت ولا كرهت ، ولقد عجبت مِن تردد مَن تردّدَ عن قتـــله في خوض الحديث ، فأما إذ وقع مـا وقع ونزل من الناس

---

(١) أي حققوا حملات الحرب .

(٢) أرقأ على ظلعك : أي أصلح أمرك أولاً .

(٢) أي على رأي واحد .

بهذه المنزلة ، فإن لنا عتاداً من خيول وسلاح محموداً ، فإن أقدمتم أقدمنا وإن أمسكتم أحجمنا . فقال ابن السوداء : أحسنت .

وقال سالم بن ثعلبة : من كان أراد بما أتى الدنيا فإني لم أرد ذلك ، والله لئن لقيتهم غداً لا أرجع الى بيتي ، ولئن طال بقائي إذا أنا لاقيتهم لا يزد على جزر جزور ، وأحلف بالله إنكم لتفرَقون السيوف فرَق قوم لا تصير امورهم إلا الى السيف . فقال ابن السوداء : قد قال قولاً .

وقال شريح بن أوفى : أبرموا اموركم قبل أن تخرجوا ، ولا تؤخروا أمراً ينبغي لكم تعجيله ، ولا تعجّلوا أمراً ينبغي لكم تأخيره ، فإنا عند الناس بشرّ المنازل ، فلا أدري ما الناس صانعون غداً إذا ما هم التقوا .

وتكلم ابن السوداء فقال : يا قوم ، إن عزكم في خلطة الناس ، فصانعوهم ، وإذا التقى الناس غداً فأنشبوا القتال ، ولا تفرّغوهم للنظر ، فإذا مَن أنتم معه لا يجد بداً من أن يمتنع ، ويشغل الله علياً وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكرهون . فأبصروا الرأي ، وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون .

وأصبح عليّ على ظهر ، فمضى ومضى الناس حتى إذا انتهى الى عبد القيس نزل بهم وبمن خرج من أهل الكوفة وهم أمام ذلك ، ثم ارتحل حتى نزل على أهل الكوفة وهم أمام ذلك [1] والناس متلاحقون به وقد قطعهم ، ولما بلغ أهل البصرة رأيهم ونزل علي بحيث نزل ، قام أبو الجرباء الى الزبير بن العوّام فقال: إن الرأي أن تبعث الآن ألف فارس فيمسُّوا هذا الرجل ويصبِّحوه قبل ان يوافي أصحابه ، فقال الزبير : يا أبا الجرباء ، إنا لنعرف امور الحرب ،

---

(١) ط ٤ – ٤٩٥ .

ولكنهم أهل دعوتنا ، وهذا أمر حدث في أشياء لم تكن قبل اليوم ، هذا أمرٌ مَن لم يلقَ الله عز وجل فيه بعذر انقطع عذره يوم القيامة ، ومع ذلك إنه قد فارقنا وافدُهم على أمرٍ ، وأنا أرجو ان يتمّ لنا الصلح فابشروا واصبروا . وأقبل صَبرة بن شَيمان فقال : يا طلحة ، يا زبير ، انتهزا بنا هذا الرجل فإن الرأي في الحرب خيرٌ من الشدة . فقالا : يا صبْرة إنا وهم مسلمون، وهذا أمرٌ لم يكن قبل اليوم فينزل فيه قرآن ، أو يكون فيه من رسول الله ﷺ سُنّة ، إنما هو حدث ، وقد زعم قومٌ أنه لا ينبغي تحريكه اليوم . وهمّ علي ومَن معه ، فقلنا : نحن لا ينبغي لنا ان نتركه اليوم ولا نؤخره . فقال علي : هذا الذي ندعوكم اليه من إقرار هؤلاء القوم شر وهو خير من شر منه ، وهو كأمر لا يدرك ، وقد كاد ان يبين لنا ، وقد جاءت الأحكام بين المسلمين بإيثار أعمّها منفعةً وأحوطِها .

وأقبل كعب بن سور فقال : ما تنتظرون يا قوم بعد تورُّدكم أوائلهم ؟ اقطعوا هذا العُنق من هؤلاء . فقالوا : يا كعب ، إن هذا أمر بيننا وبين إخواننا ، وهو أمرٌ ملتبس ، لا والله ما أخذ أصحاب محمد ﷺ مذ بعث الله عز وجل نبيّه طريقاً إلا علموا أين مواقع أقدامهم ، حتى حدث هذا فانهم لا يدرون أمُقبلون هم أم مُدبرون ! إن الشيء يحسن عندنا اليوم ويقبح عند إخواننا ، فإذا كان من الغد قَبُحَ عندنا وحَسُنَ عندهم ، وإنا لنحتج عليهم بالحجة فلا يرونها حجة ، ثم يحتجون بها على أمثالها ، ونحن نرجو الصلح إن أجابوا اليه وتموا ، وإلا فإن آخر الدواء الكيّ .

وقام الى علي بن ابي طالب أقوامٌ من أهل الكوفة يسألونه عن إقدامهم على القوم، فقام اليه فيمن قام الأعورُ بن بُنان المِنقريّ ، فقال له علي: على الإصلاح

وإطفاء النائرة[1] لعل الله يجمع شمل هذه الأمة بنا ويضع حربهم، وقد أجابوني، قال: فإن لم يجيبونا؟ قال: تركناهم ما تركونا، قال: فإن لم يتركونا؟ قال: دفعناهم عن أنفسنا، قال: فهل لهم مثل ما عليهم من هذا؟ قال: نعم.

وقام اليه ابو سلامة الدألاني فقال[2]: أترى لهؤلاء القوم حجّة فيما طلبوا من هذا الدم، إن كانوا أرادوا الله عز وجل بذلك؟ قال: نعم، قال: فترى لك حجّة بتأخيرك[3] ذلك؟ قال: نعم، إن الشيء إذا كان لا يُدرك، فالحكم فيه أحوطه وأعمّه نفعاً، قال: فما حالنا وحالكم إن ابتلينا غداً؟ قال: إني لأرجو ألا يقتل أحدٌ نقّى قلبه لله منا ومنهم إلا أدخله الله الجنة.

وقام اليه مالك بن حبيب، فقال: ما أنت صانع إذا لقيت هؤلاء القوم؟ قال: قد بان لنا ولهم أن الإصلاح الكف عن هذا الأمر، فإن بايعونا فذلك، فإن أبوا وأبينا إلا القتال فصدْع لا يلتئم، قال: فإن ابتلينا فما بال قتلانا؟ قال: من أراد الله عز وجل نفعه ذلك وكان نجاءه.

وقام عليّ، فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا أيها الناس، املِكوا أنفسكم، كفُّوا أيديكم وألسنتكم عن هؤلاء القوم، فإنهم إخوانكم، واصبروا على ما يأتيكم، وإياكم أن تسبقونا، فإن المخصوم غداً من خصَم اليوم.

ثم ارتحل وأقدم ودفع تعبيته التي قدم فيها، حتى إذا أطلّ على القوم بعث اليهم حَكيم بن سلامة ومالك بن حبيب: إن كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع بن عمرو، فكفُّوا وأقِرّونا ننزل وننظر في هذا الأمر.

---

(١) النائرة: العداوة والشحناء. (المنجد)
(٢) ط ٤ – ٤٩٦.
(٣) ابن الأثير: «بتأخير ذلك»، النويري: «بتأخير ذلك الى اليوم».

فخرج إليه الأحنف بن قيس وبنو سعد مشمّرين ، قد منعوا حرقوص بن زهير ، ولا يرون القتال مع علي بن أبي طالب . فقال : يا عليّ ، إنّ قومنا بالبصرة يزعمون أنك إن ظهرت عليهم غداً أنك تقتل رجالهم وتسبي نساءهم . فقال : ما مثلي يُخاف هذا منه ، وهل يحل هذا إلا ممن تولّى وكفر ، ألم تسمع إلى قول الله عز وجل : ﴿لَستَ عليهم بمصيطر . إلا مَن تولى وكفر﴾[1] . وهم قوم مسلمون ! هل أنت مغنٍ عني قومك ؟ قال : نعم ، واختر مني واحدة من ثنتين ، إما أن أكون آتيك فأكون معك بنفسي ، وإما أن أكف عنك عشرة آلاف سيف . فرجع إلى الناس فدعاهم إلى القعود وقد بدأ فقال : يالَ خِندف ، فأجابه ناسٌ ، ثم نادى يالَ تميم ، فأجابه ناس ، ثم نادى : يالَ سعد ، فلم يبقَ سعدي إلا أجابه ، فاعتزل بهم ، ثم نظر ما يصنع الناس ، فلما وقع القتال وظفر علي جاؤوا وافرين ، فدخلوا فيما دخل فيه الناس .

[كذلك] أرسل عمرانُ بن حصين[2] في الناس يخذّل من الفريقين جميعاً ، كما صنع الأحنف ، وأرسل إلى بني عدي فيما أرسل ، فأقبل رسولُه حتى نادى على باب مسجدهم : ألا إن أبا نُجيْد عمران بن الحصين يقرئكم السلام ، ويقول لكم : والله لأن أكون في جبل حضَن[3] مع اعنُز خضر وضأن ، أجزُّ أصوافها وأشرب ألبانها ، أحبُّ إليَّ من أن أرمي في شيء من هذين الصفين بسهم ، فقالت بنو عديّ جميعاً بصوت واحد : إنا والله لا ندع ثقل رسول الله ﷺ لشيء — يعنون أمّ المؤمنين .

---

(١) سورة الغاشية ، الآية ٢٢ - ٢٣ .
(٢) عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٥٠٢ .
(٣) في نسخة « حصين » .

وأهل البصرة فِرَق[1] : فرقة مع طلحة والزبير ، وفرقة مع علي ، وفرقة لا ترى القتال مع احد من الفريقين ، وجاءت عائشة رضي الله عنها من منزلها الذي كانت فيه حتى نزلت في مسجد الحُدّان في الأزد ، وكان القتال في ساحتهم ، ورأس الأزد يومئذ صَبْرة بن شَيْمان ، فقال له كعب بن سور : إن الجموع إذا تراءَوا لم تستطع ، وإنما هي بحور تدفّق ، فأطِعني ولا تشهدهم ، واعتزل بقومك ، فإني اخاف ألا يكون صُلح ، وكن وراء هذه النطفة ، ودع هذين الغارين من مُضَر وربيعة ، فهما اخَوان ، فان اصطلحا فالصّلح ما أردنا ، وإن اقتتلا كنا حكاماً عليهم غداً — وكان كعبٌ في الجاهلية نصرانياً — فقال صبرة : أخشى أن يكون فيك شيء من النصرانية ، أتأمرني أن أغيب عن إصلاح بين الناس ، وأن أخذُل ام المؤمنين وطلحة والزبير إن ردّوا عليهم الصلح ، وأدَع الطلب بدم عثمان ! لا أفعلُ ذلك أبداً ، فأطبقَ اهلُ اليمن على الحضور .

[و] لما رجع الاحنف[2] بن قيس من عند علي لقيه هلال بن وكيع بن مالك ابن عمرو ، فقال : ما رأيك ؟ قال : الاعتزال ، فما رأيك ؟ قال : مكانفة ام المؤمنين ، أفتدعَنا وأنت سيّدنا ؟ قال : إنما أكون سيّدكم غداً إذا قُتِلتَ وبقيتُ ، فقال هلال : هذا وأنت شيخُنا ؟ فقال : أنا الشيخ المعصي ، وأنت الشاب المطاع . فاتّبعت بنو سعد الأحنف ، فاعتزل بهم الى وادي السباع ، واتبعت بنو حنظلة هلالاً ، وتابعت بنو عمرو أبا الجرباء فقاتلوا .

---

(١) حديث سيف هنا عن محمد وطلحة ، ط ٤ — ٥٠٣ .

(٢) عن الضريس البجلي ، عن ابن يعمر ، ط ٤ — ٥٠٤ .

[و] لما أقبل الأحنف نادى : يا لأدّ [١] ، اعتزلوا هذا الأمر ، وولّوا هذين الفريقين كيْسَه وعَجْزه ، فقام المنجاب بن راشد فقال : يالَ الرباب لا تعتزلوا ، واشهدوا هذا الأمر ، وتولوا كَيْسه ، ففارقوا . فلما قال : يالَ تميم ، اعتزلوا هذا الأمر وولوا هذين الفريقين كيسه وعَجْزه ، قام أبو الجرباء – وهو من بني عثمان بن مالك بن عمرو بن تميم – فقال : يالَ عمرو ، لا تعتزلوا هذا الأمر وتولوا كيسه . فكان ابو الجرباء على بني عمرو بن تميم ، والمنجاب بن راشد على بني ضبّة ، فلما قال : يال زيد مناة ، اعتزلوا هذا الأمر ، وولوا هذين الفريقين كيسه وعجزه ، قال هلال بن وكيع : لا تعتزلوا هـذا الأمر ، ونادى : يالَ حنظلة تولوا كيسه ، فكان هلالٌ على حنظلة ، وطاوعت سعدٌ الأحنف ، واعتزلوا الى وادي السباع .

كان على هوازن [٢] وعلى بني سُليم والأعجاز مجاشع بن مسعود السُلَمي ، وعلى عامر زُفَر بن الحارث ، وعلى غطفان أعصُر بن النعمان الباهلي ، وعلى بكر بن وائل مالك بن مِسمع ، واعتزلت عبد القيس إلى علي إلا رجلاً فإنـه أقام ، ومن بكر بن وائل قُيَّام ، واعتزل منهم مثل من بقي منهم ، عليهم سنان ، وكانت الأزد على ثلاثة رؤساء : صبرة بن شيمان ، ومسعود ، وزياد بن عمرو ، والشواذب عليهم رجلان : على مضر الخِرّيت بن راشد ، وعلى قضاعة والتوابع الرّعبي الجَرْمي – وهو لقب – وعلى سائر اليمن ذو الآجرة الحميري .

فخرج طلحة والزبير فنزلا بالناس من الزابوقة ، في موضع قرية الأرزاق ، فنزلت مضر جميعاً وهم لا يشكّون في الصلح ، ونزلت ربيعة فوقهم جميعاً وهم لا

---

(١) عن محمد ، عن أبي عثمان ، ط ٤ – ٥٠٤ . في نسخة «يا لزيد» وهو أد بن طابخة ، أصل تميم .
(٢) عن محمد وطلحة ، ط ٤ – ٥٠٥ .

يشكون في الصلح ، ونزلت اليمن جميعاً أسفل منهم ، وهم لا يشكون في الصلح، وعائشة في الحدّان ، والناس في الزابوقة ، على رؤسائهم هؤلاء وهم ثلاثون ألفاً ، وردّوا حكيماً ومالكاً إلى علي،بأنّا على ما فارقنا عليه القعقاع فاقدم.فخرجا حتى قدما عليه بذلك ، فارتحل حتى نزل عليهم بحيالهم ، فنزلت القبائل الى قبائلهم، مضر الى مضر، وربيعة الى ربيعة، واليمن الى اليمن ، وهم لا يشكون في الصلح ، فكان بعضهم بحيال بعض ، وبعضهم يخرج الى بعض ، ولا يذكرون ولا ينوون إلا الصلح ، وخرج امير المؤمنين فيمن معه ، وهم عشرون ألفاً ، وأهل الكوفة على رؤسائهم الذين قدموا معهم ذا قار ، وعبد القيس على ثلاثة رؤساء : جذَيمة وبكر على ابن الجارود ، والعمور على عبد الله بن السوداء ؛ وأهل هَجَر على ابن الأشج ، وبكر بن وائل من أهل البصرة على ابن الحارث ابن نهار ، وعلى دنور بن علي الزط والسبابجة ، وقدِم علي ذا قار في عشرة آلاف وانضم اليه عشرة آلاف .

فلما نزل الناس واطمأنوا ، خرج علي وطلحة والزبير ، فتواقفوا ، وتكلموا فيما اختلفوا فيه ، فلم يجدوا أمراً هو أمثل من الصلح ووضع الحرب حين رأوا الأمر قد أخذ في الانقشاع ، وأنه لا يُدرك ، فافترقوا عن موقفهم على ذلك ، ورجع علي الى عسكره ، وطلحة والزبير الى عسكرهما .

المعركة :

وبعث علي من العشيّ [1] عبد الله بن عباس الى طلحة والزبير، وبعثا هما من العشي محمد بن طلحة إلى علي ، وأن يكلم كل واحد منهما أصحابه فقالوا : نعم ،

---

(١) عن محمد وطلحة ، ط ٤ — ٦ ٥ .

فلما أمسوا ، وذلك في جمادى الآخرة ، أرسل طلحة والزبير إلى رؤساء أصحابهما ، وأرسل علي إلى رؤساء أصحابه ، ما خلا أولئك الذين هضّوا عثمان. فباتوا على الصلح ، وباتوا بليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية من الذي أشرفوا عليه ، والنزوع عما اشتهى الذين اشتهوا وركبوا ما ركبوا ، وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشرّ ليلة باتوها قط ، قد أشرفوا على الهلكة ، وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها ، حتى اجتمعوا على إنشاب الحرب في السر ، واستسروا بذلك خشية أن يُفطن بما حاولوا من الشر ، فغدوا مع الغَلَسَ ، وما يشعر بهم جيرانهم ، انسلّوا إلى ذلك الأمر انسلالا ، وعليهم ظلمة ، فخرج مُضَريُّهم إلى مضريهم وربعيّهم إلى ربعيّهم ، ويمانيهم إلى يمانيّهم ، فوضعوا فيهم السلاح ، فثار أهل البصرة ، وثار كل قوم في وجوه أصحابهم الذين بَهتوهم [1] .

وخرج الزبير وطلحة في وجوه الناس من مضر فبعثا إلى الميمنة ،وهم ربيعة. يعبؤها [2] عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وإلى الميسرة عبد الرحمن بن عتاب ابن أسيد ، وثبتا في القلب ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : طرقنا أهل الكوفة ليلاً فقالا : قد علمنا أن علياً غير منته حتى يسفك الدماء ، ويستحل الحرمة ، وأنه لن يطاوعنا ، ثم رجعا بأهل البصرة ، وقصف أهل البصرة ، أولئك حتى ردوهم إلى عسكرهم ، فسمع علي وأهل الكوفة الصوت ، وقد وضعوا رجلاً قريباً من علي ليخبره بما يريدون،فلما قال : ما هذا ؟ قال ذاك الرجل ما فجئنا إلا وقوم منهم بيتونا ، فرددناهم من حيث جاؤوا ، فوجدنا القوم على رجل فركبونا ، وثار الناس، وقال علي لصاحب ميمنته : إئتِ الميمنة ، وقال لصاحب ميسرته: إئتِ الميسرة، ولقد علمتُ أن طلحة والزبير غير منتهيين حتى يسفكا

---

(١) بهتوهم : كذبوهم .
(٢) أي يرأسها .

الدمـــاء ، ويستحلا الحرمة ، وأنهما لن يطاوعانا ، والسبئية لا تفتر انشاباً . ونادى علي في النـــاس : أيها الناس ، كفوا فلا شيء ، فكان من رأيهم جميعاً في تلك الفتنة ألا يقتتلوا حتى يُبدؤوا ، يطلبون بذلك الحجة ، ويستحقون [١] على الآخرين ، ولا يقتلوا مدبراً ، ولا يجهزوا على جريح ، ولا يتبعوا . فكان مما اجتمع عليه الفريقان ونادوا فيما بينهما .

وأقبل [٢] كعب بن سور حتى أتى عائشة رضي الله عنها ، فقال : أدركي ، فقد أبى القوم إلا القتــــال ، لعل الله يُصلح بك . فركبت . وألبسوا هودجها الادراع ، ثم بعثوا جملها ، وكان جملها يدعى عسكراً ، حملها عليه يعلي بن أمية ، اشتراه بمائتي دينار . فلمــا برزت من البيوت – وكانت بحيث تسمع الغوغاء – وقفت ، فلم تلبث أن سمعت غوغاء شديدة ، فقالت : ما هــذا ؟ قالوا : ضجة العسكر ، قالت : بخير او بشرّ ؟ قــالوا : بشرّ . قالت : فأي الفريقين كانت منهم هذه الضجة فهم المهزومون . وهي واقفة ، فوالله مــا فجئَها إلا الهزيمة ، فمضى الزبير من سننِه [٣] في وجهه ، فسلك وادي السباع ، وجــاء طلحة سهم غَـرْب [٤] يخلّ ركبته بصفحة الفرس ، فلما امتلأ موزَجه [٥] دماً وَثَقُلَ ، قال لغلامه : أردفني وأمسكني ، وابْغِنِي [٦] مكاناً أنزل فيه ، فدخل البصرة وهو يتمثل مثله ومثل الزبير :

---

(١) يستحقون : يطلبون الحق .
(٢) عن محمد وطلحة وأبي عمر ، ط ٤ – ٧ ٥ .
(٣) سنان الرمح : نصله .
(٤) سهم غرب : لا يدرى راميه .
(٥) موزجه : خفه ، والموزج معرب من الفارسية ، جمعه موازج . (أقرب الموارد)
(٦) ابغني مكاناً : التمس لي مكاناً .

فإن تكنِ الحوادِثُ أقصدتني — وأخطأهُنَّ سهمي حين أرمي
فقد ضُيّعتُ حين تبِعتُ سهماً — سفاهاً ما سَفِهتُ وضلَّ حلمي
ندمتُ ندامةَ الكُسَعِيِّ لمّا — شَرَيْتُ رضا بَني سهمٍ برغمي
أطعتُهُمُ بفرقةِ آل لأيٍ — فألقَوْا للسِّبَاعِ دَمِي ولحمي

[وفي رواية اخرى] :

ولما انهزم النـــاس (١) في صدر النهار ، نادى الزبير : أنا الزبير ، هلمّوا إليّ أيها النـــاس . ومعه مولىً له ينادي : أعن حواريّ رسول الله ﷺ تنهزمون ؟ وانصرف الزبير نحو وادي السباع ، واتّبعه فُرسان ، وتشاغل النـــاس عنه بالناس ، فلما رأى الفرسان تتبعه عطَف عليهم ، ففرق بينهم ، فكرُّوا عليه ، فلما عرفوه قالوا : الزبير ! فدعوه ، فلما نفر فيهم علباء بن الهيثم ، ومرّ القعقاع في نفر بطلحة وهو يقول : إليّ عباد الله ، الصبر الصبر ! قال له : يا أبا محمد ، إنك لجريح ، وإنك عما تريد لعليل ، فادخل الأبيات ، فقال : يا غلام ، أدخلني وابغني مكاناً . فأدخِل البصرة ومعه غلام ورجلان ، فاقتتل الناس بعده ، فأقبل الناس في هزيمتهم تلك وهم يريدون البصرة . فلما رأوا الجمل أطافت به مضر ، عادوا قلبـاً كما كانوا حيث التقوا ، وعادوا الى أمر جديد . ووقفت ربيعـــة البصرة ، منهم ميمنة ومنهم ميسرة ، وقالت عائشة : خلّ يا كعب عن البعير ، وتقدمْ بكتاب الله عز وجل فادعهم اليه ، ودفعت اليه مصحفاً . وأقبل القوم وأمامهم السبئية يخافون ان يجري الصلح ، فاستقبلهم كعب بالمصحف وعلي من خلفهم يزَعُهم ويأبون إلا إقداماً ، فلمـــا دعاهم كعب رشقوه رشقاً واحداً ، فقتلوه ، ورموا عائشة في هودجها ، فجعلت تنادي : يا بني ، البقيـة البقيـة — ويعـلو صوتها كثرة — الله الله ، اذكروا الله عز وجل والحساب ، فيأبون إلا

---

(١) حديث سيف ، عن محمد وطلحة ، ط ٤ — ٥١٢ .

إقداماً ، فكان أول شيء أحدثته حين أبوا أن قالت : أيها الناس ، إلعنوا قتلة عثمان وأشياعهم ، وأقبلت تدعو .

وضجّ أهل البصرة بالدعاء ، وسمع علي بن أبي طالب الدعاء ، فقال : ما هذه الضجة ؟ فقالوا : عائشة تدعو ويدعون معها على قتلة عثمان وأشياعهم ، فأقبل يدعو ويقول: اللهم العن قتلة عثمان وأشياعهم . وأرسلت إلى عبد الرحمن ابن عتّاب وعبدالرحمن بن الحارث : اثبُتا مكانكما ، وذمرت الناس حين رأت أن القوم لا يريدون غيرهما ، ولا يكفون عن الناس ، فازدلفت مضر البصرة ، فقصفت مضرُ الكوفة حتى زُوحم علي ، فنخس علي قفا محمد ، وقال : احمل ، فنكَل ، فأهوى علي إلى الراية ليأخذها منه ، فحمل فترك الرايه في يده ، وحملت مضر الكوفة ، فاجتلدوا قدام الجمل حتى ضرِسوا ، والمجنّبات [1] على حالها ، لا تصنع شيئاً [2] ، ومع علي أقوام غير مُضر ، فمنهم زيد بن صوحَان ، فقال له رجل من قومه : تنح إلى قومك ، ما لك ولهذا الموقف ، ألست تعلم أن مضر بحيالك ، وأن الجمل بين يديك ، وأن الموت دونه ؟ فقال : الموت خير من الحياة ، الموت ما أريد ، فأصيب وأخوه سيْحَان ، وارْتُثّ صعصعة ، واشتدت الحرب . فلما رأى ذلك علي بعث إلى اليمن وإلى ربيعة : أن اجتمعوا على من يليكم ، فقام رجل من عبد القيس فقال : ندعوكم إلى كتاب الله عز وجل ، قالوا : وكيف يدعونا إلى كتاب الله من لا يقيم حدود الله سبحانه ، ومن قتل داعي الله كعب بن سور ! فرمته ربيعة رشقاً واحداً فقتلوه وقام مسلم بن عبد الله العجلي مقامه ، فرشقوه رشقاً واحداً ، فقتلوه ، ودعت يَمَنُ الكوفة يمن البصرة فرشقوهم .

---

(١) ابن الأثير : « والجنبتان على حالها » .

(٢) ط ٤ - ٥١٤ .

[و] كان القتال الأول يستحر إلى انتصاف النهار (١) ، واصيب فيه طلحة رضي الله عنه ، وذهب فيه الزبير ، فلما أووا إلى عائشة وأبى أهل الكوفة إلا القتال ، ولم يريدوا إلا عائشة ، ذمرتهم (٢) عائشة ، فاقتتلوا ، حتى تنـــادوا فتحاجزوا ، فرجعوا بعد الظهر فاقتتلوا ، وذلك يوم الخميس في جمادى الآخرة، فاقتتلوا صدر النهـــار مع طلحة والزبير ، وفي وسطه مع عائشة ، وتزاحف الناس ، فهزمت يمن البصرة يمن الكوفة ، وربيعة البصرة ربيعة الكوفة ، ونهد علي بمضر الكوفة إلى مضر البصرة ، وقال : إن الموت ليس منه فوت ، يدرك الهارب ولا يترك المقيم .

[و] اقتتلت المجنبتان(٣) حين تزاحفتا قتالاً شديداً ، يشبه ما فيه القلبان، واقتتل أهل اليمن ، فقتل على راية أمير المؤمنين من أهل الكوفة عشرة ، كلما أخذها رجل قتل، خمسة من همذان وخمسة من سائر اليمن، فلما رأى ذلك يزيد ابن قيس أخذها ، فثبتت في يده وهو يقول :

قد عِشتِ يا نفسُ وقد غنيتِ دهراً فقطْكِ اليومَ ما بقيتِ
أطْلُبُ طولَ العُمْرِ ما حييتِ

وإنما تمثّلها ، وهو قول الشاعر قبله . وقال نِمران بن ابي نمران الهمداني :

جَرّدتُ سيفي في رجالِ الأزدِ أضربُ في كُهولِهم والمُرْدِ
كلّ طويلِ الساعِدَيْنِ نَهْدِ

---

(١) عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٥١٤ .

(٢) زمر : حض .

(٣) أي قلب جيش علي وقلب جيش عائشة ، ط ٤ - ٥١٥ .

وأقبلت ربيعـة ، فقـُتِل على راية الميسرة من أهل الكوفة زيد ، وصُرع صعصعة ، ثم سَيْحان ، ثم عبد الله بن رقبة بن المغيرة ، ثم ابو عبيدة بن راشد ابن سُلمَى وهو يقول : اللهم أنت هديتنا من الضلالة ، واستنقذتنا من الجهالة ، وابتليتنا بالفتنة ، فكنا في شُبهة وعلى ريبة ، حتى قُتِل ، ثم الحصين بن معبد ابن النُّعمان ، فأعطاها ابنه معبداً ، وجعل يقول : يا معبد ، قرِّب لهـا بوّها تحدَب ، فثبتت في يده .

[و] لما رأت الكُماة من مضر الكوفة ومضر البصرة الصبر تنادَوا في عسكر عائشة وعسكر علي : يا أيها النـاس ، طرِّفوا إذا فرِغ الصبر ، ونزِع النصر . فجعلوا يتوجؤون (١) الأطراف : الأيدي والأرجل ، فما رُئيت وقعة قط قبلها ولا بعدها ، ولا يسمع بهـا أكثر يداً مقطوعة ورجلاً مقطوعة منها ، لا يُدرَى مَن صاحبها ، وأُصيبت يد عبد الرحمن بن عتاب يومئذ قبل قتله ، وكان الرجل من هؤلاء وهؤلاء إذا أُصيب شيء من أطرافه استقتل إلى أن يقتل .

[و] اشتد (٢) الأمر حتى أرزت ميمنة الكوفـة إلى القلب ، حتى لزقت به ولزقت ميسرة البصرة بقلبهم ، ومنعوا ميمنة أهل الكوفة أن يختلطوا بقلبهم ، وإن كانوا إلى جنبهم ، وفعل مثل ذلك ميسرة الكوفة وميمنة البصرة ، فقالت عائشة رضي الله عنها لمن عن يسارها : مَنِ القوم ؟ قال صبرة بن شيمان : بَنـُوكِ الأزد ، قالت : يا آل غسان ، حافظوا اليوم جلادكم الذي كنا نسمع به ، وتمثلت :

---

(١) يتوجؤون الأطراف : يضربونهم في أيديهم وأرجلهم ، ط ٤ - ٥١٦ .
(٢) عن الصعب بن عطية بن بلال ، عن أبيه ، ط ٤ - ٥١٦ .

وجالَـدَ من غسَّانَ أهلُ حِفاظِها وهِنبٌ وأوسٌ جالدت وشبيبُ

وقالت لمن عن يمينها : مَنِ القوم ؟ قالوا : بكر بن وائل ، قالت : لكم يقول القائل :

وجاءوا الينا في الحديد كأنهم من العزة القعساء بكر بنُ وائلِ

إنما بازائكم عبدُ القيس . فاقتتلوا أشد القتال من قتالهم قبل ذلك ، وأقبلت على كتيبة بين يديها ، فقالت: مَن القوم ؟ قالوا : بنو ناجية ، قالت : بَخٍ بَخٍ سيوفٌ أبطحية ، وسيوف قرشية ، فجالدوا جلاداً يتفادى منه . ثم أطافت بها بنو ضبة ، فقالت : ويهاً جمرة الجمرات ! حتى إذا رقّوا خالطهم بنو عديّ ، وكثروا حولها ، فقالت : مَن أنتم ؟ قالوا : بنو عدي خالطنا اخواننا ، فقالت: ما زال رأس الجمل معتدلاً حتى قتلت بنو ضبّة حولي ، فأقاموا رأس الجمل ، ثم ضربوا ضرباً ليس بالتعذير ، ولا يعدَلون بالتطريف ، حتى إذا كثر ذلك وظهر في العسكرين جميعاً ، راموا الجمل وقالوا : لا يُزال القومُ أو يصرع ، وأرزت مجنّبتا علي فصارتا في القلب ، وفعل ذلك أهل البصرة ، وكره القوم بعضهم بعضاً ، وتلاقوا جميعاً بقلبيهم ، وأخذ ابن يثربي برأس الجمل وهو يرتجز ، وادّعى قتل عِلباء بن الهيثم ، وزيد بن صُوحان وهند بن عمرو ، فقال :

أنا لِمَنْ يُنكِرني ابن يثربي قاتلُ عِلبـاء وهِنـدِ الجملي
وابنٍ لِصُوحانَ على دين علي

فناداه عمار : لقد لعمري لذتَ [1] بحريز ، وما إليك سبيل ، فإن كنت صادقاً فاخرج من هذه الكتيبة إليّ ، فترك الزمام في يد رجل من بني عدي حتى

---

(١) ابن الأثير : « عذت » .

كان بين أصحاب عائشة وأصحاب علي ، فزحم الناس عماراً حتى أقبل إليه ، فاتقاه عمار بدَرقته ، فضربه ، فانتشب سيفه فيها ، فعالجه فلم يخرج ، فخرج عمار إليه لا يملك من نفسه شيئاً ، فأسفّ عمار لرجليه فقطعهما ، فوقع على استه ، وحمله أصحابه ، فارْتثّ بعدُ ، فأتى به علي فأمر بضرب عنقه . ولما أصيب ابن يثربي ترك ذلك العدويُّ الزمام ، ثم خرج فنادى : من يبارز ؟ فخنس عمار وبرز إليه ربيعة العُقيليّ – والعدوي يدعى عمرة بن يَجْرة ، أشدّ الناس صوتاً – وهو [أي ربيعة] يقول :

يا أمّنـــا أعَقّ أمٍّ نعلم   والأمُّ تغذو وَلَـداً وترحمُ
ألا ترينْ كم شجاع يُكلم   وتختلى منـــه يد ومعصم

ثم اضطربا ، فأثخن كل واحدٍ منهما صاحبه ، فماتا .

وقال عطية بن بلال : ولحق بنا من آخر النهار رجل يدعى الحارث ، من بني ضبة ، فقام مقام العدوي ، فما رأينا رجلاً قط أشدّ منه ، وجعل يقول :

نحن بني ضبّة أصحاب الجمل   ننعى ابن عفان بأطراف الأسَلْ
الموت أحـلى عندنا من العسل   رُدُّوا علينا شيخنا ثم بَجَل (١)

[و] جعل (٢) أبو الجرباء يومئذ يرتجز ويقول :

أسامعٌ أنت مطيع لعـــلي   من قبل أن تذوقَ حدَّ المَشْرفيْ
وخاذلٌ في الحق أزواج النبي   أعرفُ قوماً لست فيه بِعَني

---

(١) بجل : أي حسب .
(٢) عن الصعب بن عطية ، عن أبيه ، ط ٤ – ٥٢٥ .

[وقد] كانت (١) أم المؤمنين في حلقة من أهل النَّجَدات والبصـائر من أفناء مضر ، فكان لا يأخذ أحد بالزمام إلا كان يحمل الراية واللواء لا يحسِّن تركها ، وكان لا يأخذه إلا معروف عند المطيفين بالجمل فينتسب لهـا : أنا فلان ابن فلان ، فوالله إن كانوا ليقاتلون عليه ، وإنه للموت لا يوصل إليه إلا بطلبة وعنَت ، ومـا رامه أحد من أصحاب علي إلا قتل او أُفلت ، ثم لم يعد . ولما اختلط الناس بالقلب جـاء عدي بن حاتم فحمل عليه ، ففقئت عينه ونكل ، فجاء الأشتر ، فحامله عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد وإنـه لأقـطع منـزوف ، فاعتنقه ، ثم جلد به الأرض عن دابته ، فاضطرب تحته ، فأفلت وهو جريض .

[و] كان لا يجيء(٢) رجل فيأخذ بالزمام حتى يقول: أنا فلان بن فلان يا أم المؤمنين، فجاء عبدالله بن الزبير، فقالت حين لم يتكلم: من انت؟ فقال: انا عبد الله ، أنا ابن اختك ، قالت : واثـكل أسماء ! – تعني اختها – وانتهى إلى الجمل الأشتر وعدي بن حاتم ، فخرج عبد الله بن حكيم بن حزام إلى الأشتر فمشى إليه الأشتر ، فاختلفـا ضربتين ، فقتله الأشتر ، ومشى إليه عبد الله بن الزبير ، فضربه الأشتر على رأسه ، فجرحه جرحاً شديداً ، وضرب عبـد الله الأشتر ضربة خفيفـة ، واعتنق كل واحد منهما صاحبه ، وخرّا إلى الأرض يعتركان فقال عبد الله بن الزبير : « اقتلوني ومالكاً » (٣) .

وكان مالك يقول : مـا أحب ان يكون قال : « والأشتر » وأن لي حُمْر النَّعَم . وشدّ ناس من أصحاب علي وأصحاب عائشة فافترقا ، وتنقذ كل واحد من الفريقين صاحبه .

---

(١) عن محمد وطلحة ، ط ٤ – ٥٢٥ .

(٢) عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، ط ٤ - ٥٢٥ .

(٣) فذهبت هذه الكلمة مثلا .

وجاء محمد بن طلحة[1] فأخذ بزمام الجمل، فقال : يا أمتّاه ،مريني بأمرك. قالت : آمرك ان تكون كخير بني آدم إن تُركت ، قال : فحمل فجعل لا يحمل عليه أحدٌ إلا حمل عليه ويقول : « حـم لا يُنصرون » واجتمع عليه نفر فكلهم ادعى قتله : المكعْبر الأسدي ، والمكعبر الضبي ، ومعـاوية بن شداد العبسي ، وعفان بن الأشقر النصري ، فأنفذه بعضهم بالرّمح ، ففي ذلك يقول قاتله منهم :

وأشعث قوّامٍ بآيات ربـه ... قليل الأذى فيما ترى العين مُسلِمِ
هتكت له بالرمح جيب قميصه ... فخَرَّ صريعاً لليدين وللفم
يذكّرني حـم والرمح شاجرٌ ... فهلا تلا حـم قبل التقدُّم
على غير شيء غير أن ليس تابعاً ... علياً ومن لا يتبع الحق يندم

• • •

قال القعقاع بن عمرو للأشتر يؤلبه يومئذ : هل لك في العود ؟ فـلم يجبه . فقال : يا أشتر ، بعضنا أعلم بقتال بعض منك . فحمل القعقاع ، وإن الزمام مع زُفر بن الحارث، وكان آخر من أعقب في الزمام، فلا والله ما بقي من بني عامر يومئذ شيخ إلا أُصيب قدام الجمل ، فقُتل فيمن قتل يومئذ ربيعة جد اسحاق بن مسلم ، وزفر يرتجز ويقول :

يا أمّنا يا عَيْش لن تراعي ... كلٌّ بنيك بطلٌ شجاعُ
ليس بوهّامٍ ولا براعي

---

(١) عن الصعب بن عطية ، عن أبيه ، ط ٤ - ٥٢٦ .

وقام القعقاع يرتجز ويقول :

إذا وردنا آجناً جهرناه ولا يُطاقُ وِردُ ما منعناه

تمثلها تمثلاً .

[و] كان آخر من قاتل[1] ذلك اليوم زُفَر بن الحارث، فزحف اليه القعقاع، فلم يبق حول الجمل عامري مكتهل إلا أصيب، يتسرعون الى الموت، وقال القعقاع : يا بُجير بن دُلجة، صح بقومك فليعقروا الجمل قبل أن يصابوا وتصاب ام المؤمنين، فقال : يالَ ضبة، يا عمرو بن دُلجة، ادعُ بي اليك، فدعا به، فقال : أنا آمن حتى أرجع ؟ قال : نعم. قال : فاجتث ساق البعير، فرمى بنفسه على شِقه وجرجر البعير. وقال القعقاع لمن يليه : أنتم آمنون. واجتمع هو وزفر على قطع بِطان البعير، وحملا الهودج فوضعاه، ثم أطافا به، وتفارّ مَن وراء ذلك من الناس .

• • •

لما أمسى الناس[2] وتقدم علي وأحيط بالجمل ومَن حوله، وعَقَره بُجير بن دُلجة، وقال : انكم آمنون، كفّ بعض الناس عن بعض — وقال علي في ذلك حين أمسى وانخَنسَ عنهم القتال :

---

(١) عن محمد وطلحة، ط ٤ – ٥٢٧ .

(٢) عن الصعب بن عطية، عن أبيه .

اليك أشكو عُجَري وبُجَري ومعشراً غَشُّوا عليَّ بصري
قتلت منهم مضراً بمُضري شفيت نفسي وقتلت معشري

• • •

قال طلحة يومئذ [١] : اللهم اعطِ عثمان مني حتى يرضى ، فجاء سهم غربٍ وهو واقف ،فخلّ ركبته بالسرج ، وثبت حتى امتلأ موزجُه[٢] دماً ، فلما ثقـُل قال لمولاه : أردفني وابغني مكاناً لا أعرف فيه ، فلم أرَ كاليوم شيخاً أضيع دماً [مني] [٣] . فركب مولاه وأمسكه وجعل يقول : قـد لحقنا القوم ، حتى انتهى به الى دار من دور البصرة خَرِبة ، وأنزله في فيئها ،فمات في تلك الخَربة ، ودفن رضي الله عنه في بني سعد .

• • •

كانت ربيعة[٤] مع علي يوم الجمل ثلث أهل الكوفة ،ونصف الناس يوم الوقعة . وكانت تعبيتهم مُضر ومضر ، وربيعة وربيعة ، واليمن واليمن ، فقـال بنو صوحان : يا أميرَ المؤمنين ، ائذن لنا نقف عن مضر ، ففعل ، فأتى زيد فقيل له : ما يوقفك حيال الجمل وبحيال مضر؟ الموت معك وبإزائك ، فاعتزِل الينا ، فقال : الموتَ نريد ، فأصيبوا يومئذ ، وأفلت صعصعة من بينهم .

• • •

---

(١) عن اسماعيل بن أبي خالد ، عن حكيم بن جابر ، ط ٤ – ٥٢٧ .
(٢) الموزج : الخف ، وهي كلمة فارسية معربة .
(٣) من ابن الأثير .
(٤) عن البختري العبدي ، عن أبيه .

قال الصعب بن عطية [1] : كان رجل منا يدعى الحارث ، فقال يومئذ : يالَ مُضَر ، علامَ يقتل بعضكم بعضاً ؟ تبادرون لا ندري إلا أنّا إلى قضاء ، وما تُكْفَون في ذلك.

• • •

كان القتال [2] يومئذٍ في صدر النهار مع طلحة والزبير ، فانهزم النـاس وعائشة توَقع الصلح ، فلم يفجأها إلا الناس ، فأحاطت بها مضر ، ووقف الناس للقتال فكان القتال نصف النهار مع عائشة وعلي ... [3] كعب بن سور أخذ مصحف عائشة وعلي فبدرَ بين الصفين يناشدهم الله عز وجل في دمائهم ، وأعطيَ درعه فرمى بها تحته ، وأُتي بترسه فتنكّبه ، فرشقوه رشقاً واحداً ، فقتلوه رضي الله عنه ، ولم يمهلوهم أن شدّوا عليهم ، والتحم القتال ، فكان أول مقتول بين يديْ عائشة من أهل الكوفة .

• • •

قال والدُ مخلد بن كثير [4] : أرسلْنا مسلم بن عبد الله يدعو بني أبينـا ، فرشقوه – كما صنع القلب بكعب – رشقاً واحداً ، فقتلوه ، فكان أول مَن قُتل بين يدي أمير المؤمنين وعائشة رضي الله عنهما ، فقالت ام مسلم ترثيه :

---

(١) ط ٤ - ٥٢٨ .
(٢) عن ابن صعصعة المزني - أو عن صعصعة - عن عمرو بن جأوان ، عن جرير بن أشرس .
(٣) يوجد نقص في الأصل .
(٤) عن سيف ، عن مخلد بن كثير ، عن أبيه ، ط ٤ - ٥٢٩ .

لا ُهمَّ إنَّ مسلماً أتاهمُ   مستسلماً للموتِ إذْ دعاهمُ
إلى كتابِ اللهِ لا يخشاهمُ   فرمَّلوه من دمٍ إذْ جاهُمُ
وأُمُّهم قـــائمةٌ تراهمُ   يأتمرون الغيَّ لا تنهاهمُ

• • •

لما انهزمت [1] مجنبتا الكوفة عشية الجمل ، صاروا الى القلب – وكان ابن يثربي قاضي البصرة قبل كعب بن سور ، فشهدهم هو وأخوه يوم الجمل ، وهما عبد الله وعمرو ، فكان واقفاً أمامَ الجمل على فرس – فقال علي : من رجل يحمل على الجمل ؟ فانتدب له هنـــد بن عمرو المرادي ، فاعترضه ابن يثربي ، فاختلفا ضربتين ، فقتله ابن يثربي . ثم حمـل سيحان بن صوحان ، فاعترضه ابن يثربي ، فاختلفا ضربتين ، فقتله ابن يثربي . ثم حمل علباء بن الهيثم ، فاعترضه ابن يثربي ، فقتله ، ثم حمل صعصعة فضربه ، فقتل ثلاثة أجهز عليهم في المعركة : علبـاء ، وهند ، وسَيْحان ، وارتُثَّ [2] صعصعة وزيد ، فمات أحدهما وبقي الآخر .

• • •

أخـذ الخطام [3] يوم الجمل سبعون رجلا من قريش ، كلهم يقتل وهو آخذ بالخطام ، وحمـل الأشتر فاعترضه عبد الله بن الزبير ، فاختلفا ضربتين ، ضربه الأشتر فأمَّه [4] ، وواثبه عبد الله ، فاعتنقه فخرَّ به ، وجعل يقول : « اقتلوني

---

(١) عن سيف ، عن الصعب بن حكيم بن شريك ، عن أبيه عن جده .
(٢) ارتث : حمل جريحاً .
(٣) عن عمرو بن محمد ، عن الشعبي ، ط ٤ – ٥٣٠ .
(٤) أمَّهُ : جرحه جرحاً بليغاً في رأسه .

ومالكاً » — وكان الناس لا يعرفونه بمالك، ولو قال: «والأشتر» وكانت له ألف نفس ما نجا منها شيء — وما زال يضطرب في يدي عبد الله حتى أفلت ، وكان الرجل إذا حمل على الجمل ثم نجـــا لم يعُدْ . وجُرح يومئذٍ مروان وعبد الله ابن الزبير .

• • •

ارتجز يومئذٍ ابن يثربي [1] .

أنا لمن أنكرني ابن يثْرَبي قاتِلُ عِلباء وهندِ الجملي
وابن لصوحان على دين علي

وقال : مَن يبـــارز ؟ فبرز له رجل ، فقتله ، ثم برز له آخر ، فقتله ، وارتجز وقال :

أقتُلهُمْ وقد أرى عليّاً ولو أشا أوجرته عَمريّا

فبرز له عمار بن ياسر ، وإنه لأضعف من بارزه ، وإن النـاس ليسترجعون حين قام عمار ، وأنا أقول لعمار من ضعفه : هذا والله لاحق بأصحابه ، وكان قضيفاً [2] ، حمشَ الساقين [3] ، وعليه سيف حمائله تشف عنه، قريب من إبطه ،

---

(١) عن داود بن أبي هند ، عن شيخ من بني ضبة .

(٢) القضيف : الدقيق العظم ، القليل اللحم .

(٣) حمش الساقين : دقيقها .

فيضربه ابن يثربي بسيفه ، فنشب في حَجفته [1] ، وضربه عمار وأوهطه [2] ، ورمى أصحابُ عليٍّ ابنَ يثربي بالحجارة حتى أثخنوه وارتثُّوه [3] .

• • •

لما قال الضبي يوم الجمل [4] :

نحن بني ضبة أصحاب الجمل   ننعى ابن عفان بأطراف الأسل
ردُّوا علينا شيخنا ثم بَجَل

قال عمير بن أبي الحارث :

كيف نردُّ شيخكم وقد قَحَل [5]   نحن ضربنا صدرَه حتى انجَفَل [6]

[وقد] عقر الجمل [7] [كما مر معنا] رجلٌ من بني ضبّه يقال له : ابن دُلجة – عمرو أو بُجير – وقال في ذلك الحارث بن قيس – وكان من أصحاب عائشة :

نحن ضربنا ساقه فانجدلا   من ضربة بالنّفْر كانت فيصلا
لو لم نكونْ للرسول ثَقَلا   وحُرمَةً لاقتسَمونا عُجّلا

وقد نُحِل ذلك المثنى بن مخرمة من أصحاب علي .

---

(١) الحجفة : الترس .
(٢) أوهطه : أضعفه وأثخنه ضرباً .
(٣) أي حملوه من المعركة جريحاً .
(٤) عن سيف ، عن حماد البرجمي ، عن خارجة بن الصلت .
(٥) قحل : مات وجف جلده (اللسان) .
(٦) انجفل : سقط .
(٧) عن الصعب بن حكيم ، عن أبيه عن جده ، ط ٤ - ٥٣١ .

صفة القتال يوم الجمل :

قال القعقاع [1] : ما رأيت شيئاً أشبه بشيء من قتال القلب يوم الجمل بقتال صفين ، لقد رأيتُنا ندافعهم بأسنتنا ، ونتكىء على ازجتّنا ، وهم مثل ذلك حتى لو أن الرجال مشت عليها لاستقلت بهم .

انزال هودج عائشة :

أتى محمد بن أبي بكر [2] وعمار بن ياسر عائشة ، وقد عُقِر الجمل ، فقطعا غُرْضة [3] الرحل واحتملا الهودج ، فنحّياه حتى أمرهما علي فيه أمره بعد ، قال : أدخلاها البصرة ، فأدخلاها دار عبد الله بن خلف الخُزاعي .

[و] أمر علي[4] نفراً بحمل الهودج من بين القتلى ، وقد كان القعقاع وزفر ابن الحارث أنزلاه عن ظهر البعير ، فوضعاه الى جنب البعير ، فأقبل محمد بن أبي بكر اليه ومعه نفر ، فأدخل يده فيه ، فقالت : مَن هذا ؟ قال : أخوك البَرّ ، قالت : عقوق . قال عمار بن ياسر : كيف رأيت ضرب بنيك اليوم يا أمّه ؟ قالت : مَن أنت؟ قال : أنا ابنك البار عمار ، قالت : لستُ لك بأمّ ، قال : بلى ، وإن كرهتِ . قالت : فخرتم إن ظفرتم ، وأتيتم مثل ما نقَمتم ، هيهات ، والله لن يظفر من كان هذا دأبَه . وأبرزوها بهودجها من القتلى ،

---

(١) عن محمد بن نويرة ، عن أبي عثمان ، ط ٤ - ٥٣٢ .
(٢) عن محمد بن راشد السلمي ، عن ميسرة أبي جميلة ، ط ٤ - ٥٣٣ .
(٣) الغرضة للرحل كالحزام للسرج .
(٤) عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٥٣٣ .

ووضعوها ليس قربها أحد ، وكأن هودجها فرخ مقصّب [1] مما فيه من النبل ، وجاء أعين بن ضُبيعة المجاشعي حتى اطّلع في الهودج، فقالت: إليكَ لعنك الله! فقال : والله ما أرى إلا حُميراء، قالت : هتك الله سترك، وقطع يدك ، وأبدى عورتك . فقتل بالبصرة وسلب ، وقطعت يده ، ورمي به عرياناً في خربة من خَرِبات الأزد، فانتهى اليها علي، فقال : اي أمّه، يغفر الله لنا ولكم ، قالت: غفر الله لنا ولكم .

[وفي رواية اخرى] [2] .

انتهى محمد بن أبي بكر ومعه عمار ، فقطع الانساع عن الهودج ، واحتملاه، فلما وضعاه أدخل محمد يده وقال : أخوك محمد ، فقالت : مذمّم ، قال : يا أخيَّة ، هل أصابك شيء ؟ قالت : ما أنت من ذاك ؟ قال : فمن إذن ؟ الضُّلاَّل ؟ قالت : بل الهُداة ، وانتهى إليها علي ، فقال : كيف أنت يا أمه ؟ قالت بخير قال : يغفر الله لكِ . قالت : ولك .

ولما كان [3] من آخر الليل خرج محمد بعائشة حتى أدخلها البصرة ، فأنزلها في دار عبدالله بن خلف الخزاعي على صفيَّة ابنة الحارث بن طلحة بن أبي طلحة ابن عبد العُزّى بن عثمان بن عبد الدار ، وهي أم طلحة الطلحات بن عبد الله ابن خلف .

---

(١) في نسخة « معضب »، والفرخ : الزرع اذا تهيأ للانشقاق بعدما يطلع . ومقصب : أي ذو أنابيب .

(٢) عن الصعب بن حكيم ابن شريك ، عن أبيه، عن جده ، ط ٤ ـ ٥٣٤ .

(٣) عن محمد وطلحة ، ط ٤ ـ ٥٣٤ .

[وكانت الواقعة يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ٣٦ في قول الواقدي] .

مقتل الزبير بن العوام :

لما انهزم الناس [١] يوم الجمل عن طلحة والزبير ، ومضى الزبير رضي الله عنه حتى مر بعسكر الأحنف ، فلما رآه وأخبر به قال : والله ما هذا بخيار [٢] ، وقال للناس : مَن يأتينا بخبره ؟ فقال عمرو بن جُرموز لأصحابه : أنا ، فاتبعه، فلما لحقه نظر اليه الزبير – وكان شديد الغضب – قال : ما وراءك ؟ قال : إنما أردت ان أسألك ، فقال غلام للزبير يدعى عطية كان معه : إنه مُعِدٌّ ، فقال : ما يهولك من رجل ؟ وحضرت الصلاة ، فقال ابن جرموز : الصلاة ، فقال الزبير : الصلاة ، فنزلا ، واستدبره ابن جرموز فطعنه من خلفه في جُرُبّان [٣] درعه ، فقتله ، وأخذ فرسه وخاتمه وسلاحه ، وخلى عن الغلام ، فدفنه بوادي السباع ، ورجع الى الناس بالخبر . فأما الأحنف فقال : والله ما أدري أحسنت أم أسأت ؟ ثم انحدر الى علي وابن جرموز معه ، فدخل عليه ، فأخبره ، فدعا بالسيف ، فقال : سيف طالما جلّى الكُرَب عن وجه رسول الله ﷺ ، وبعث بذلك الى عائشة ، ثم أقبل على الأحنف فقال : تربّصتَ ، فقال : ما كنت أراني إلا قد أحسنت ، وبأمرك كان ما كان يا أمير المؤمنين ، فارفق فإن طريقك الذي سلكت بعيد ، وأنت اليّ غداً أحوج منك أمسِ ، فاعرف إحساني واستصفِ مودّتي لغد ، ولا تقولنّ مثل هذا ، فإني لم أزل لك ناصحاً .

---

(١) عن سيف ، عن الوليد بن عبد الله ، عن أبيه ، ط ٤ - ٥٣٤ .
(٢) أي باختيار منه إنما اضطر الى ذلك .
(٣) الجربان : الجيب .

من انهزم يوم الجمل فاختفى ومضى في البلاد :

ومضى الزبير[1] في صدر يوم الهزيمة راجلاً نحو المدينة ، فقتله ابن جرموز ، وخرج عتبة بن أبي سفيان وعبدالرحمن ويحيى ابنا الحكم يوم الهزيمة ،قد شجّجوا في البلاد ، فلقوا عصمة بن أبير التيميّ ، فقال : هل لكم في الجوار ؟ قالوا :من أنت ؟ قال عصمة بن أبيَر . قالوا : نعم ، قال : فأنتم في جواري إلى الحوْل ، فمضى بهم ، ثم حماهم وأقام عليهم حتى برئوا ، ثم قال : اختاروا أحبّ بلد اليكم أبلغكموه ، قالوا : الشام ، فخرج بهم في أربعمائة راكب من تيم الرّباب ، حتى إذا وغلوا في بلاد كلب بدومة ، قالوا : قد وفّيت ذمتك وذممهم ، وقضيت الذي عليك فارجع ، فرجع ، وفي ذلك يقول الشاعر :

وفي ابن أبَيْرٍ والرماح شوارعٌ بآل أبي العاصي وفاءٌ مُذَكرَا

وأما ابن عامر فإنه خرج ايضاً مشججاً ، فتلقاه رجل من بني حُرقوص ، يدعى مُرَيّاً ، فدعاه للجوار ، فقال نعم ، فأجاره واقام عليه؟ وقال: اي البلدان احب اليك ؟ قال : دمشق . فخرج به في ركب من بني حُرقوص حتى بلغوا به دمشق . وقال حارثة بن بدر – وكان مع عائشة ، وأُصيب في الوقعة ابنه او اخوه زراع [2] .

أتاني من الأنباء انّ ابن عامرٍ اناخ وَالقى في دمشقَ المراسيا

---

(١) عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٥٣٥ .

(٢) في نسخة « دراع » .

وأوى مروان بن الحكم الى أهل بيت من عنزة يوم الهزيمة ، فقال لهم : اعلِموا مالك بن مِسمع بمكاني، فأتـوا مالكاً فأخبروه بمكانه، فقال لأخيه مقاتل: كيف نصنع بهذا الرجل الذي قد بعث الينا يُعلمنا بمكانه ؟ قال : ابعث ابن أخي فأجِره ، والتمسوا له الأمان من علي، فإن آمنه فذاك الذي نحب، وإن لم يؤمنه خرجنا به وبأسيافنا ، فإن عرض له جالدنا دونه بأسيافنا ، فإما أن نسلم، وإما أن نهلك كراماً . وقد استشار غيره من أهله من قبل في الذي استشار فيه مقاتلاً ، فنهاه ، فأخذ برأي أخيه ، وترك رأيهم ، فأرسل اليه فأنزله داره ، وعزم على منعه إن اضطر الى ذلك ، وقال : الموت دون الجوار وفاءٌ ، وحفظ لهم بنو مروان ذلك بعد ، وانتفعوا به عندهم ، وشرّفوهم بذلك ، وأوى عبدالله بن الزبير الى دار رجل من الأزد يدعى وزيراً ، وقال : إئت أم المؤمنين فأعلِمها بمكاني، وإياك أن يطلع على هذا محمد بن أبي بكر ، فأتى عائشة رضي الله عنها فأخبرها ، فقالت : عليّ بمحمد ، فقال : يا أم المؤمنين ، إنه قد نهاني أن يعلم به محمد ، فأرسلت اليه فقالت : إذهب مع هذا الرجل حتى تجيئني بابن اختك ، فانطلق معه ، فدخل بالأزدي على ابن الزبير ، قال [1] : جئتك والله بما كرهت ، وأبت أم المؤمنين إلا ذلك . فخرج عبد الله ومحمد وهما يتشاتمان ، فذكر محمد عثمان فشتمه، وشتم عبد الله محمداً حتى انتهى الى عائشة في دار عبدالله ابن خلف – وكان عبد الله بن خلف قبل يوم الجمل مع عائشة ، وقُتِلَ عثمان أخوه مع علي – وأرسلت عائشة في طلب مَن كان جريحاً فضمّت منهم ناساً ، وضمّت مروان فيمن ضمّت ، فكانوا في بيوت الدار .

---

(١) ط ٤ - ٥٣٧ .

وغشيَ الوجوهُ عائشة [١] وعلي في عسكره ، ودخل القعقاع بن عمرو على عائشة في أول من دخل ، فسلم عليها ، فقالت : إني رأيت رجلين بالأمس اجتلدا بين يديّ وارتجزا بكذا ، فهل تعرف كوفيّك منهما ؟ قال : نعم ، ذاك الذي قال : « أعقُ أمّ نعلم » ، وكذب والله ، إنك لأبرّ أم نعلم ، ولكن لم تطاعي ، فقالت : والله لوددت أني متُّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة . وخرج فأتى علياً فأخبره أن عائشة سألته ، فقالَ : ويحك مَن الرجلان ؟ قال : ذلك أبو هالة الذي يقول :

* كيما أرى صاحبه علياً *

فقال: والله لوددتُ أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة، فكان قولهما واحداً.

وتسلل الجرحى[٢] في جوف الليل ، ودخل البصرة من كان يطيق الانبعاث منهم ، وسألت عائشة يومئذ عن عِدّة من الناس، منهم من كان معها ، ومنهم من كان عليها ، وقد غشيها الناس ، وهي في دار عبد الله بن خلف ، فكلما نُعي لها منهم واحد قالت : يرحمه الله ، فقال لها رجل من أصحابها: كيف ذلك ؟ قالت: كذلك قال رسول الله ﷺ فلانٌ في الجنة . وفلان في الجنة ، وقال علي بن أبي طالب يومئذ : إني لأرجو ألا يكون أحدٌ من هؤلاء نقى قلبه إلا أدخله الله الجنة .

• • •

قال علي [٣] : ما نُزّل على النبي ﷺ آية أفرح له من قول الله عز وجل :

(١ – ٢) عن محمد وطلحة ، ط ٤ – ٥٣٧ .

(٣) عن عطية ، عن أبي أيوب ، عن علي ، ط ٤ – ٥٣٧ .

﴿ ومـا أصَابَكم من مُصيبةٍ فبما كسَبَت أيْديكـُمْ ويعفو عن كثير ﴾ [١] ، فقال ﷺ : « ما أصاب المسلمَ في الدنيا من مصيبة في نفسه فبذنب ، وما يعفو الله عز وجلّ عنه أكثر ، وما أصابه في الدنيا فهو كفارة له وعفوٌ منه لا يُعتدّ عليه فيه عقوبة يوم القيامة ، وما عفا الله عز وجل عنه في الدنيا فقد عفا عنه ، والله أعظم من أن يعودَ في عفوه » .

دفن القتلى وتوجع علي عليهم :

وأقام علي [٢] بن أبي طالب في عسكره ثلاثة أيام لا يدخل البصرة، ونُدب الناس إلى موتاهم ، فخرجوا إليهم فدفنوهم ، فطاف علي معهم في القتلى ، فلمـا أُتيَ بكعب بن سُور قال: زعمتم أنما خرج معهم السفهاء، وهذا الحَبْر قد ترون. وأتى على عبد الرحمن بن عتاب فقال : هـذا يَعسوب القوم – يقول الذي كانوا يُطيفون به – يعني أنهم قد كانوا اجتمعوا عليه ، ورضوا به لصلاتهم . وجعل علي كلما مرّ برجل فيه خير قال : زعم من زعم أنه لم يخرج إلينا إلا الغوغاء ، هـذا العابد المجتهد . وصلى على قتلاهم من أهل البصرة ، وعلى قتلاهم من أهل الكوفة ، وصلى على قريش من هؤلاء وهؤلاء ، فكانوا مدنيين ومكيين ، ودفن عليٌّ الأطراف في قبر عظيم ، وجمع ما كان في العسكر من شيء ، ثم بعث به إلى مسجد البصرة ، أن من عرف شيئاً فليأخذه ، إلا سلاحاً كان في الخزائن عليه سِمَة السلطان ، فإنه لما بقي لم يعرف ، خذوا ما أجلبوا به عليكم من مال الله عز وجل ، لا يحل لمسلم من مال المسلم المتوفّى شيء ، وإنما كان ذلك السلاح في أيديهم من غير تنفيل [٣] من السلطان .

---

(١) سورة الشورى ، الآية : ٣٠ .
(٢) عن محمد وطلحة ، ط ٤ – ٥٣٨ .
(٣) أي من غير عطاء من السلطان ، ط ٤ – ٥٣٩ .

عدد قتلى الجمل :

كان قتلى الجمل[1] حول الجمل عشرة آلاف،نصفُهم من أصحاب علي،ونصفهم من أصحاب عائشة ، من الأزد ألفان ، ومن سائر اليمن خمسمائة ، ومن مضر ألفان ، وخمسمائة من قيس ، وخمسمائة من تميم ، وألف من بني ضبّة ، وخمسمائة من بكر بن وائل. وقيل : قُتِل من أهل البصرة في المعركة الأولى خمسة آلاف وقتل من أهل البصرة في المعركة الثانية خمسة آلاف، فذلك عشرة آلاف قتيل من أهل البصرة ، ومن أهل الكوفة خمسة آلاف . وقتل من بني عديّ يومئذ سبعون شيخاً ، كلهم قد قرأ القرآن ، سوى الشباب ومن لم يقرأ القرآن .

وقالت عائشة رضي الله عنها : ما زلتُ أرجو النصر حتى خفيتْ أصواتُ بني عديّ .

دخول عليّ على عائشة ومعاقبته من أساء إليها :

ودخل علي البصرة يوم الاثنين،فانتهى إلى المسجد فصلى فيه،ثم دخل البصرة، فأتاه الناس،ثم راح إلى عائشة على بغلته،فلما انتهى إلى دار عبدالله بن خلف وهي أعظم دار بالبصرة، وجد النساء يبكين على عبدالله وعثمان ابني خلف مع عائشة ، وصفيّةُ[1] ابنة الحارث مختمرة[2] تبكي،فلما رأته قالت: يا علي،يا قاتل الأحبة يا مفرّق الجمع[3] ، أيتم الله بنيك منك كما أيتمت ولَد عبد الله منه . فلم يردّ عليها شيئاً ، ولم يزل على حاله حتى دخل على عائشة ، فسلم عليها ، وقعد عندها وقال لها : جبَهَتْنا صفية، أما إني لم أرها منذ كانت جارية حتى اليوم. فلما

---

(١) عن محمد وطلحة ، ط ٤ ـ ٥٣٩ .
(٢) مختمرة : أي واضعة الخمار على وجهها .
(٣) ما زال الحديث عن محمد وطلحة ، ط ٤ ـ ٥٤٠ .

خرج علي أقبلت عليه فأعادت عليه الكلام، فكفّ بغلته وقال : أما لهَمَمْتُ – وأشار إلى الأبواب من الدار – أن أفتح هذا الباب وأقتل من فيه ، ثم هـذا فأقتل من فيه ، ثم هـذا فأقتل من فيه – وكان أناس من الجرحى قد لجؤوا إلى عائشة ، فأخبِر علي بمكانهم عندها ، فتغافل عنهم – فسكتت. فخرج علي،فقال رجل من الأزد . والله لا تُفلتنا هـذه المرأة . فغضب وقال : صه ، لا تهتِكُن ستراً ولا تدخُلنّ داراً ، ولا تهيّجُنَ امرأة بأذى ، وإن شتمن أعراضكم ، وسفّهن امراءكم وصُلحاءكم ، فإنهن ضعاف ، ولقد كنا نؤمر بالكف عنهن ، وإنهن لمشركات،وإن الرجل ليكافىء المرأة ويتناولها بالضرب فيُعيَّر بها عَقِبه من بعده، فلا يبلغنّي عن أحد عرض لامرأة فأنكّل به شرار الناس. ومضى علي فلحق به رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، قـام رجلان ممن لقيتُ على الباب ، فتناولا من هو أمضّ لك شتيمة من صفيّة . قال : ويحك ، لعلها عائشة ، قال : نعم ، قام رجلان منهم على باب الدار فقال أحدهما :

* جُزيتِ عنّا أمّنا عُقوقاً *

وقال الآخر :

* يا أمّنا تُوبي فقد خَطِيتِ *

فبعث القعقاع بن عمرو إلى الباب ، فأقبل بمن كان عليه ، فأحالوا على رجلين فقال: اضربُ أعناقهما، ثم قال:لأنهَكنّهما عقوبة. فضربهما مائة مائة وأخرجهما من ثيابهما .

[و] هما رجلان من أزد الكوفة (١) يقال لهما عِجْل وسعد ابنا عبد الله .

---

(١) عن الحارث بن حصيرة ، عن أبي الكنود ، ط ٤ ـ ٥٤٠ .

بيعة أهل البصرة علياً وقسمُه ما في بيت المال عليهم :

بايع الأحنف من العشيّ لأنه كان خارجاً هو وبنو سعد ، ثم دخلوا جميعاً البصرة ، فبايع أهل البصرة على راياتهم ، وبايع علي أهل البصرة حتى الجرحى والمستأمِنة فلما رجع مروان لحق بمعاوية . وقال قائلون : لم يبرح المدينة حتى فُرِغ من صفين .

ولما فرغ علي[1] من بيعة أهل البصرة نظر في بيت المال فإذا فيه ستمائة الف وزيادة ، فقسمها على من شهد معه [الوقعة] ، فأصاب كلّ رجل منهم خمسمائة خمسمائة ، وقال : لكم إن أظفركم الله عز وجل بالشأم مِثلُها الى اعطياتكم . وخاض في ذلك السبئية ، وطعنوا على علي من وراء وراء .

سيرة علي فيمن قاتل يوم الجمل :

كان من سيرة علي[2] ألا يقتل مدبراً ولا يُذَفِّف[3] على جريح ، ولا يكشف ستراً ، ولا يأخذ مالاً ، فقال قوم يومئذ : ما يُحِلّ لنا دماءهم ، ويُحرّم علينا أموالهم ؟ فقال علي : القوم أمثالكم ، من صفح عنا فهو منا ، ونحن منه ، ومن لجّ حتى يصاب فقتاله مني على الصدر والنحر ، وإن لكم في خُمْسه لغنىً ، فيومئذ تكلمت الخوارج .

---

(١) عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٥٤١ .
(٢) عن محمد بن راشد ، ط ٤ - ٥٤١ .
(٣) لا يذفف : لا يجهز .

خروج عائشة من البصرة الى مكة :

قصدت عائشة مكة[1] فكان وجهها من البصرة، وانصرف مِروان والأسود ابن أبي البَخْتَرى إلى المدينة من الطريق ، وأقامت عائشة بمكة إلى الحج ، ثم رجعت إلى المدينة .

كتابة علي الى عامله بالكوفة :

وكتب علي بالفتح الى عامله بالكوفة[2] حين كتب في أمرها وهو يومئذ بمكة :

من عبد الله علي أمير المؤمنين . أما بعد ، فإنا التقينا في النصف من جمادى الآخرة بالخُريبة ـ فناء من أفنية البصرة ـ فأعطاهم الله عز وجل سُنّة المسلمين، وقتل منا ومنهم قتلى كثيرة ، وأصيب ممن أصيب منا ثُمامة بن المثنى ، وهند بن عمرو ، وعِلباء بن الهيثم، وسَيحان وزيد ابنا صوحان ، ومحدوج .

[وكتب عبيدالله بن رافع. وكان الرسول زُفَر بن قيس الى الكوفة بالبشارة في جمادى الآخرة] .

[وقد] علم أهل المدينة[3] بيوم الجمل يوم الخميس قبل أن تغرب الشمس من نَسْر مرّ بما حول المدينة ، معه شيء متعلقه ، فتأمله النـاس فوقع ، فإذا كفٌ فيها خاتم، نقشه « عبد الرحمن بن عتّاب » ، وجفل مَن بين مكة والمدينة من أهل

(١ ـ ٢) عن محمد وطلحة ، ط ٤ ـ ٥٤٢ .
(٣) عن محمد وطلحة ، ط ٤ ـ ٥٤٣ .

البصرة، مَنْ قَرُبَ البصرة أو بَعُدَ ، وقد علموا بالوقعة مما ينقل اليهم النسور من الأيدي والأقدام .

تجهيز علي عائشة وارسالها الى المدينة :

وجهّز [1] علي عائشة بكل شي ينبغي لهـا من مركب أو زاد أو متاع ، وأخرج معها كل من نجا ممن خرج معها إلا من أحب المقام ، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات ، وقال : تجهز يا محمد ، فبلّغها ، فلما كان اليوم الذي ترتحل فيه ، جاءها حتى وقف لهـا ، وحضر الناس ، فخرجت على النـاس وودعوها وودعتهم ، وقالت : يا بَنِيّ ، تعَتّب بعضُنا على بعض استبطاءً واستزادة، فلا يعتدّن أحدٌ منكم على أحد بشيء بلغه من ذلك ، إنه والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائهـا ، وإنـه عندي على معتبتي من الأخيار. وقال علي: يا أيها الناس، صدقتْ والله وبرّت، ما كان بيني وبينها إلا ذلك ، وإنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة .

وخرجت يوم السبت لغرّة رجب سنة ٣٦ هـ ، وشيّعها عليٌّ أميالاً ، وسرّح بنيه معها يوماً .

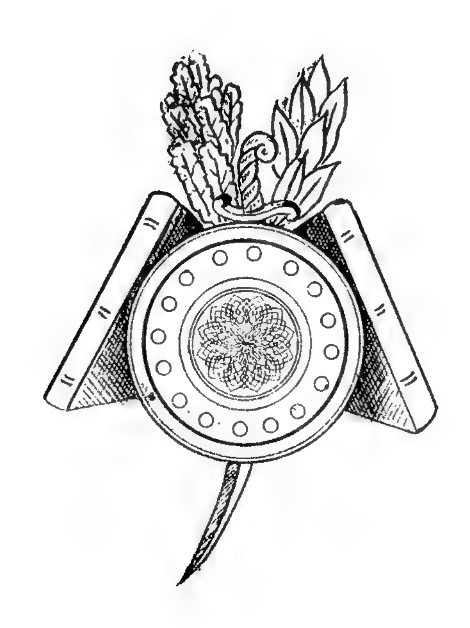
[تمت نصوص رواية سيف بن عمر المتعلقة بمقتل عثمان ووقعة الجمل] .

(١) عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٥٤٤ .

المراجع

أنساب الأشراف للبلاذري
الإمامة والسياسة لابن قتيبة
أقرب الموارد، سعيد الخوري الشرتوني (قاموس)
الاعلام لخير الدين الزركلي (قاموس تراجم)
البداية والنهاية لابن كثير
تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك للطبري
تاريخ الاسلام السياسي لحسن ابراهيم حسن
تاريخ العرب العام، ل. سيديو، ترجمة عادل زعيتر
التاريخ الاسلامي والمذهب المادي لفتحي عثمان
تاريخ بغداد للخطيب البغدادي
تاريخ ابن خلدون
تاريخ ابن الأثير (الكامل)
تهذيب التهذيب لابن حجر (تراجم)
الذيل الأول لبروكلمان (تراجم)
صحيح البخاري
عائشة والسياسة لسعيد الأفغاني

العواصم من القواصم للقاضي أبي بكر بن العربي
(تحقيق محب الدين الخطيب)
لسان العرب لابن منظور (قاموس)
الفتنة الكبرى لطه حسين
الفهرست لابن النديم (تراجم)
ميزان الاعتدال للذهبي (تراجم)
المنجد ، لويس معلوف اليسوعي (قاموس)
نظرات جديدة في تاريخ الأدب لأحمد لواساني
نهاية الأرب للنويري
وقعة صفين لنصر بن مزاحم



فهارس الكتاب

فهرس الأعلام

١ – نظراً لكثرة الأعلام في الكتاب ، وكي لا يفقد الفهرس الغاية التي وجد من أجلها ، فقد اقتصرت على ذكر أرقام الصفحات التي ورد فيها العلم (الاسم) وله دور مهم في الأحداث المذكورة فيها .

٢ – بما أن أسماء الرواة تتكرر نفسها في الحواشي ، فقد ذكرتها مجتمعة في آخر فهرس الأعلام .

أ

ب

ت ث

ج

ح

خ

ذ

ر

ز

غ

ف ق

ك ل

م

ن

هـ

و

ي

أسماء الرواة الواردة في الحواشي

اسماعيل بن أبي خـــالد (هو أبو سعيد اليحمدي ، وهو ابن علية) ـ ابن يعمر – ابن الكنود (عبد الرحمن بن عبيد) ـ ابن صعصعة المزني ـ ابن أبي ملكية (عبد الله بن عبيد الله) ـ ابن الشهيد ـ أبو حارثة (محرز العبشمي) ـ أبو عثمان (يزيد بن أسيد الغساني) .

بدر بن الخليل بن عثمان بن قطبـــة الأسدي (بدر بن عثمان) ـ البختري العبدي .

جرير بن أشرس .

حكيم بن جابر ـ الحارث الوالبي ـ الحارث بن حصيرة ـ الحسن بن أبي الحسن البصري (الحسن البصري)

خالد بن مهران البجلي .

داود بن أبي هند

سليمان بن أبي المغيرة ـ سالم بن عبد الله ـ سهل بن يوسف السلمي ـ سعيد ابن عبد الله (الجمحي)

الشعبي (عامر بن شراحيل)

الصعب بن حكيم بن شريك ـ الصعب بن عطية بن بلال ـ

الضريس البجلي

طلحة بن الأعلم الحنفي

عبيد الله (ابن رافع) ـ عبد الله بن سعيد بن ثابت (ابن الجذع الأنصاري) ـ عون بن عبد الله بن عتبة ـ عبد الرحمن بن جندب (الأزدي) ـ عبد الله بن عمير الأشجعي ـ عمرو بن محمد ـ عطية بن الحارث ـ عمارة بن القعقاع الضبي ـ عمرو بن شميب ـ عثمان بن حكيم بن عباد بن حنيف ـ عبد الله بن سعيد بن ثابت بن الجذع الأنصاري ـ عبيدة بن معتب ـ عمرو بن جاوان

قيس بن يزيد النخعي (أخو المستنير) ـ القاسم بن محمد

محمد بن راشد السلمي ـ مخلد بن كثير ـ ميسرة أبي جميلة ـ محمد بن قيس الأسدي الوالبي ـ محمد بن عبد الله بن سواد بن نويرة ـ المستنير بن يزيد النخعي ـ مجالد بن سعيد ـ مبشر بن الفضيل ـ محمد بن عبد الله ـ مروان بن عبد الرحمان الخميسي .

نصر بن مزاحم (العطار) ـ مجالد (ابن سعيد)

هشام بن عروة .

واقد بن عبد الله ـ الوليد بن عبد الله (بن أبي طيبة البجلي)

يزيد بن معن السلمي ـ يزيد الضخم ـ يزيد الفقعسي ـ يحيى بن سعيد ـ يحيى بن مسلم .

فهرس الأماكن

م

ن

هـ

ي

فهرس الموضوعات

خلافة علي بن أبي طالب

وقعة الجمل

الموضوع	الصفحة

فهارس الكتاب

من منشورات «دار النفائس»

١ ـ إعداد وتحقيق أحمد راتب عرموش :

ـ **موطأ الامام مالك** ، رواية يحيى بن يحيى الليثي .
ـ **مسند عبد الله بن عمر** ، تخريج أبي أمية الطرسوسي .
ـ **الفتنة ووقعة الجمل** ، رواية سيف بن عمر الضبي الأسدي .
ـ **الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف** ، ولي الله الدهلوي .
ـ **الحج والعمرة والأدعية المأثورة** .

٢ ـ تحقيق عاصم بهجة البيطار :

ـ **موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين** ، للغـزالي .
ـ **الفضل المبين على عقد الجوهر الثمين** ، للقـاسمي .

٣ ـ تحقيق الدكتور احسان حقي :

ـ **تاريخ الدولة العلية العثمانية** ، لمحمد فريد .

٤ ـ إعداد الدكتور محمد حميد الله :

ـ مجموعة الوثائق السياسية والإدارية للعهد النبوي .

٥ ـ تأليف أحمد عادل كمال :

ـ سلسلة استراتيجية الفتوحات الاسلامية .

٦ ـ تأليف بسام العسلي :

ـ سلسلة مشاهير قادة الإسلام .
ـ سلسلة جهاد شعب الجزائر .
ـ الأيام الحاسمة في الحروب الصليبية .